مستقبل الكتاب المطبوع

علي ابراهيم النملة

● تخرج في كلية اللغة العربية بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض، يحضر للدكتوراه في المكتبات والمعلومات بجامعة كيس وسترن رزيرف في ولاية أوهايو بالولايات المتحدة الأمريكية.

مقدمـــــة :

منذ أن هدى الله الانسان للكتابة كوسيلة لتثبيت المعلومات ونقلها من الصدور إلى وثائق يتوقع منها الدوام أكثر من دوام المعلومات والمعرفة في صدور بني آدم، منذ ذلك الحين والكتابة تسير في تطور ملحوظ يزداد و ينقص حسب المؤثرات العلمية المحيطة به. ومن الكتابة يأتي اشتقاق الكتاب ـ على اعتبار أن أصل الاشتقاق هو المصدر بدلاً من الفعل ـ وهو المادة التي يكتب عليها، وقد مرت هذه المادة بأشكال مختلفة انتهت إلى الاقتصار على الورق كوسيلة لحمل المعرفة. ولفظ الكتاب ورد في القرآن الكريم في مواطن متعددة ولأغراض مختلفة فهو تارة القرآن الكريم، وأخرى التوراة والإنجيل، وثالثة الخطاب المرسل وهكذا فالقرآن الكريم يطلق الكتاب على كل ماحوى معلومات بين طياته ومن هذا الإطلاق يأتي لفظ الكتاب في هذه المقالة ليدل على جميع ماحمل المعرفة من الكتاب ـ المتعارف عليه ـ إلى الدورية، إلى الأفلام والمصغرات الفلمية ونحوها. وليس هذا الإطلاق وليد هذه المقالة بل قد سبق إليها كثيراً خاصة عند الحديث عن جميع مايحمل المعلومات من أشكال وأحجام.

منذ أن وصلت الطباعة إلى الشكل المتعارف عليه الآن ابتداءً من مساهمة اليابانيين والصينيين والكوريين وأخيراً الألمان والإصدارات تترى حتى وصلت إلى أعداد تكاد تكون خيالية إذا ما تصفح الإنسان دليل «كتب تحت الطبع» الذي يصدر سنوياً عن «باوكر» و يشمل ماهو تحت الطبع عالمياً من الكتب فقط ماصدر منها وماسيصدر.

هذه المقالة مناقشة لهذه الظاهرة العجيبة مع التطرق للعقبات التي تقف دون نقل المعلومات وحفظها بالطرق الرسمية ثم محاولة الوصول إلى حلول لهذه العقبات وما يمكن أن يطبق منه في مجتمعنا من هذه الحلول. وسنبدأ في الكتاب المتعارف عليه ثم الدوريات مع محاولتنا التركيز على الاصدارات العلمية في العلوم الطبيعية والعلوم التطبيقية.

الكتـــاب :

كانت الصدور هي الوسيلة الوحيدة لحفظ المعلومات ولكن مع الخوف من ضياعها بفقد حامليها دعت الضرورة إلى الكتابة. وفي الاسلام كان الحرص على حفظ القرآن الكريم أحد الدوافع الرئيسية إلى التحول إلى الكتابة. فكان الوراقون يمضون الوقت الطويل في نقل المعرفة على الورق، وعند مراجعة ما كان يمر به الوراقون من جهدٍ في نقل المعلومات ندرك اليوم ذلك الفضل الكبير الذي ساهم به هؤلاء في النهضة العلمية التي شملت العالم الاسلامي عصر النهضة العلمية ـ للمسلمين ثم تعدته ـ عن طريق الترجمة ـ إلى العالم الآخر الذي تبناه وقام بتطويره.

ومن المشاكل التي واجهت الوراقين والعلماء على حد سواء هي حجم الكتب التي كانت تصدر آنذاك. والتراث الاسلامي مليء بقصص القوافل من الكتب التي كانت تقطع الأرض شرقاً وغرباً وكأنها مانسميه اليوم بالمكتبات المتنقلة.

وفي عصر النهضة الاسلامية يتزايد الاهتمام به لدرجة أن أحد الخلفاء ـ ولعله المأمون العباسي ـ كان يمنح المؤلف وزن مؤلفه ذهباً، مع اعتبار أن الكتاب مخطوط لا مطبوع مما يزيد في وزنه. وسواء صحت هذه الرواية أو داخلها شيء من المبالغة فإنها دليل على قوة حركة التأليف والانتاج الفكري والعلمي التي كانت سمة من سمات ذلك العصر. ولم يكن هناك اتفاق ولو عرفياً على حجم الكتاب من ناحية الطول والعرض أو طريقة الخط فنجد أن الأحجام تختلف اختلافاً اربك عملية الترفيف والتخزين. وبما أن الخطوط تختلف لذا نجد أحياناً ما يكتبه وراق في مئتي صفحة يكتبه آخر في مئة وخمسين صفحة وقد دعا هذا إلى استغلال الكتاب لحيز كان من الممكن أن يشغل أقل منه. هذا بالإضافة إلى أن ثمن الكتاب لم يكن باليسير مما أوجد معضلة في الأوساط الثقافية دعت إلى حلٍ شامل ـ و يشهد القرن العاشر الهجري ـ الخامس عشر الميلادي ـ اللمسات الأولى للطباعة لتساعد على اختصار حجم الكتاب مع ملئه بالمعلومات وتساعد على اختصار الوقت ـ مقارنة بالسابق ـ والجهد البشري فصار الكتاب سهل الحمل سهل القراءة سريع الوصول إلى يد القارىء سهل الحفظ والتخزين. وهذا بدوره ساعد على تنشيط حركة التأليف مما ساعد على نمو العلوم وتطورها ووصولها إلى ماوصلت إليه اليوم حتى أصبح تأليف الكتاب عند العلماء سمة ترفع العالم درجات في مكانته العلمية ومنزلته المادية وسمعته الأدبية فسادت في أواسط العلماء عبارة تدل على أن من لا يؤلف كما الميت، وصار من لا يؤلف مشكوك في مقدرته العلمية على مواصلة انتمائه إلى الوسط العلمي الذي ينتمي إليه.

و يستمر الكتاب المنهل الرئيسي للثقافة والفكر إلى القرن الحادي عشر الهجري ـ السابع عشر الميلادي ـ عندما ظهرت فكرة الدوريات في الأوساط العلمية وأصبحت منافساً قوياً للكتاب دعت إلى القول بأن الكتاب يكاد يزول كظاهرة مسيطرة على نقل المعلومات وأنه أصبح قليل التأثير لعوامل تشمل التكلفة، وعدم الاستمرارية العلمية لمضمون الكتاب وطول مدة التأليف مما سنعرض له في قسم العقبات التي تعتري الكتاب المطبوع. ومع هذه النظرة للكتاب فهو لايزال أحد مصادر المعرفة الرئيسية ولايزال يتبوأ المركز الأول في معظم الأوساط العلمية حتى يصل عدد الكتب التي صدرت وستصدر في عامي ١٤٠١ ـ ١٤٠٢هـ ـــ ١٩٨١ ـــ ١٩٨٢م مايقارب الستة ملايين وخمسمئة ألف كتاب عالمياً (٦٥٠٠٠٠٠)(١). و يبقى الكتاب المصدر الرئيسي للطالب في مدرسته وكليته إذ أن الكتب المدرسية لا تزال الصبغة الغالبة في عملية التدريس في المدارس مختلفة المراحل، مع الاستعانة ـ أحياناً ـ بالمقالات المنشورة في الدوريات، ولكن هذه الاستعانة وإن زاد التركيز عليها في مراحل الدراسات العليا إلا أنها تقل في المراحل الدراسية الأخرى. وقد وصل عدد الكتب المدرسية التي صدرت في سنة واحدة ١٣٥،٠٠٠،٠٠٠ كتاب في الولايات المتحدة وحدها. وفي هذا الرقم مبالغة واضحة ولعل المقصود هو عدد النسخ التي طبعت لا عدد العناوين.(٢).

الدوريــــات :

في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي/ ظهرت مجموعة من العلماء في بريطانيا بفكرة جديدة قامت على التجمع في جلسات غير رسمية تتبادل فيها الآراء وتتناقش فيها

المعلومات وقد أطلقت على نفسها الجمعية الملكية. كان الطابع السائد لدى هذه الجمعية هو أن يقوم العالم بطبع ما يريد مناقشته وتوزيعه على اترابه ليقرأوه ومن ثم يبدوا آراءهم فيه وعليه فإن انتاج العلماء كان يوزع مسبقاً قبل الاجتماع(٣). لاقت هذه الفكرة الاستحسان من قبل علماء ذلك العصر فتوسعت الجمعية وتفرعت واستحدثت جمعيات أخرى على شاكلتها، وقد عمدت هذه الجمعيات إلى طباعة مايدور فيها من نقاش ومايقدم إليها من مقالات على شكل «كتاب» دوري تطور حتى غلب عليه طابع الاعتياد في طريقة النشر والإصدار، وصار يطلق عليه الدورية. ومنه إطلاق المجلة أو السلسلة على اختلاف بين علماء المعلومات حول إطلاق الدورية والمجلة والسلسلة على شكل ومضمون واحد.*

ومع أن عمر الدوريات يناهز المئتي عام إلا أنها انتشرت انتشاراً - نافس الكتاب منافسة ملحوظة، خاصة في مجالي العلوم الطبيعية والعلوم التطبيقية التى تعتمد في نشر معلوماتها على الاختصار في النص والسرعة الفائقة في التقدم والنمو والتغير. وهكذا صار عدد الدوريات في علم واحد فقط يفوق أن يستوعبه العالم أو أن يلقي عليه نظرة ولو سريعة. وقد ظهر ضمن العلوم ذاتها تخصصات تطلبت هي في دورها صدور دوريات تتحدث بلسانها. ففي علوم المكتبات والمعلومات - وهو ذلك العلم الجديد - تجد دوريات متعددة في أغراضها لو صنفت لغطت مايقارب الخمسين دورية فمنها المتخصص بادارة المكتبات، ومنها المتخصص بالمكتبات المدرسية، ومنها مايركز على المكتبات الجامعية، ومنها مايعنى بالمكتبات المتخصصة، ومنها مايهتم بتعليم علوم المكتبات، ومنها المتخصص بمكتبات البحث، ومنها مايهتم بالمكتبات العامة، ومنها مايركز على التزويد، ومنها مايعنى بالآلية في المكتبات، ومنها مايعنى بمكتبات المناطق النامية، ومنها مايهتم بالفهرسة والتصنيف، ومنها المتخصص في حفظ ورعاية الكتب، ومنها مايهتم بالتحول الذي يطرأ على المكتبات.. وهكذا.

مشاكل الكتاب المطبوع :

هذا التوسع في استخدام الكتاب وطباعة الدوريات المتخصصة يعتبر ظاهرة طيبة نتيجة لتطور العلوم وتوسعها، وهي ظاهرة صحية من حيث نشر المعلومات واتاحة الفرصة للجميع للاطلاع بغض النظر عن الخلفية العلمية والاجتماعية والمادية، وذلك عن طريق افتتاح المكتبات العامة، الجامعية، المدرسية، المتخصصة، والشخصية، فصار المرء يجد ضالته في المكتبة، وإن لم يجدها طلبها فأحضرت له في مدة زمنية متعارف عليها. وتزداد طلبات المطالعين إلى أن تصل إلى الحد الذي يجعل المكتبة تتوقف متعثرة لعدم استطاعتها تلبية جميع الرغبات عن طريق التزويد، فظهرت فكرة الشبكة المكتبية كما ظهرت فكرة تبادل الوثائق خلال الاستعارة المشتركة والتى تلبي الرغبة وتقلل من التكلفة ولا تتطلب مكانا. إلا أن هذه الحلول لم تمنع من استفحال المشكلة التي يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١ ـ المكان : وصل التسابق في اقتناء الكتب إلى درجة الاهتمام بعدد المجلدات التي تحتويها المكتبة من كتب ودوريات وغيرها، وأصبح العدد مقياساً لعظمة المكتبة وقدرتها على تلبية رغبات مطالعيها. هذا التسابق حدا ببعض القائمين على المكتبات في مجتمعاتنا إلى التزود بما لا تزود به مكتبة لها طابعها الجامعي، أو المدرسي أو المتخصص، وقد رسم القائمون على المكتبات خطة أرادوا منها بلوغ عدد معين في زمن معين. هذه النظرة المشكوك فيها علمياً أوجدت مشكلة مستعصية أمام هذا الجمع الهائل من المجلدات فغصت بها المكتبات وصارت مشكلة المكان عائقاً رئيسياً في وصول المكتبة إلى هدف من أهدافها الأساسية وهو خدمة المطالع، فلجأ بعض القائمين على المكتبات إلى حلول مؤقتة تلخصت في العزوف عن التزويد لفترة من الزمن إلى أن يوجد المكان المناسب، وحل آخر هو اتباع وسيلة التخلص من بعض المجلدات التي قد يبدو عليها أنها تخطت مرحلة معينة من الزمن يعتقد فيها أن الإقبال عليها من قبل القراء بدأ يهبط، وقد حُددت هذه المرحلة الزمنية بفترات تختلف باختلاف العلوم.

٢ ـ تبعثر المعلومات وتشتتها : بسبب الانفراج في التخصص ازدادت المعلومات انتشاراً وانتاجا وطباعة، هذه الظاهرة أوجدت مشكلة جديدة تلك هي المطالع نفسه ذلك الذي يريد أن يكون على اطلاع مستمر مباشر على ما يصدر في حقله على الأقل، فوجد نفسه أمام أعداد هائلة من المجلدات لا تسمح له

* لمزيد من المعلومات حول التطور التاريخي للدوريات يرجى الرجوع إلى كتاب شعبان عبد العزيز خليفة. **الدوريات في المكتبات ومراكز المعلومات.** القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، [١٣٩٩هـ] ١٩٧٩م. ص ٢٠ - ٢٩.

ظروفه الوقتية والمادية والاستيعابية من الاطلاع عليها جميعاً وإرضاء شغفه العلمي، فإن اشترى كتاباً في موضوع ما وجد العشرات التي تتحدث عن نفس الموضوع ولكنها قد تفوق ما اشتراه علمياً وزمنيا، وإن اشترك في دورية ما وجد أن ماتغطيه لا يكفي مايتطلع إليه، مع أنه لا يستطيع الاشتراك في جميع الدوريات، وإن استعان بالمكتبة طال عليه الأمد وهو بصدد كتاب أو دوريتين. هذه الظاهرة أوجدت شيئاً من عدم الارتياح عند العلماء فبدأوا يبحثون عن بديلٍ لها يتيح لهم اشباع رغباتهم العلمية.(٤)

٣ ـ التكلفة المادية : وقف تعدد الكتب والدوريات حجر عثرة في طريق العلماء، وليست المكتبات بأقل حظاً من العلماء أنفسهم، فالمكتبة ذاتها عانت ولا تزال تعاني من هذا التعدد في الإصدار، مما أدى إلى الدعوة لزيادة ميزانية قسم التزويد، واضطرت أقسام التزويد مع مالها من زيادة في ميزانيتها أن تطلب مبالغ استثنائية لتقوم بجلب ما استجد من اصدارات وطلبات. هذا من ناحية، أما من الناحية الأخرى فهي تلكم الزيادة الملحوظة في أسعار الورق، التجليد، طريقة الطباعة، التوزيع، الدعاية واليد العاملة خاصة في الثلاثين سنة الماضية. وفي السنوات من ١٣٩٥ ـ ١٤٠٠هـ تضاعفت قيمة الورق حتى وصلت في بعض المناطق إلى ثلاثة أضعاف ماكانت عليه قبل ١٣٩٥هـ ولو بحثنا عن مثال على ذلك لأخذنا ما أنفقته جمعية علم النفس الأمريكية ـ وهي جمعية من تلكم الجمعيات التي تعنى بطباعة نتاج اعضائها ـ لنجد أنها أنفقت على الورق مامقداره (١٠٢٧٢٦٠) ريالاً أو مايعادل (٣٠٠،٠٠٠) دولار فقط، وفي عام ١٣٩٥هـ انفقت ما مقداره (١٣٦٩٦٨٠) ريالاً أو مايعادل (٤٠٠،٠٠٠) دولار، أما في عام ١٤٠٠هـ فقد قدرت نفقاتها على الورق بمبلغ مقداره (٢٧٣٩٣٦٠) ريالاً أو ما يعادل (٨٠٠،٠٠٠) دولار، هذا مع ملاحظة أن هذه المبالغ لا تشمل ما استجدت طباعته من دوريات وكتب أما في حقل الطب فنجد أن معدل ثمن الكتاب كان (٤٢،٣٦) ريالاً أو ما يعادل (١٢،٣٧) دولاراً عام ١٣٨٦هـ وقد وصل إلى (٦٤،٧٥) ريالاً أو ما يعادل (١٨،٩١) دولاراً عام ١٣٩٥هـ . أما معدل الاشتراك السنوي في دورية في الكيمياء أو الفيزياء فقد ارتفع من (٦٧،٥٦) ريالاً أو ما يعادل (١٩،٧٣) دولاراً عام ١٣٨٦هـ إلى ما مقداره (٢٢٤،٥٢) ريالاً أو ما يعادل (٦٥،٥٧) دولاراً.(٥)

٤ ـ التأخر في توصيل المعلومات : وذلك بسبب التأخر في طباعة الكتب والدوريات. فالكتاب ـ خاصة المؤلف لا المجمع ـ يتطلب وقتاً طويلاً في تأليفه، ودفعه إلى المطبعة بعد قبوله من الناشر، تصحيحه فتوزيعه، حتى لقد قيل إن الكتاب لا تتم طباعته حتى تكون عصارته الفكرية قد استنفذت بطرق أخرى غير رسمية مثل الاتصال المباشر بالمؤلف أو المؤلفين وتبادل المعلومات معهم، أما في مجال الدوريات فإن المقالة تأخذ وقتاً لطباعتها حيث تخضع لعوامل التأليف ثم لعوامل مناسبته لمواد وأهداف الدورية، وهذا يتطلب قيام لجنة خاصة مهمتها الحكم على المقالات بعد قراءتها، وقد ترفضها دورية ما ليرسلها المؤلف إلى دورية أخرى فتمر بتلكم المراحل مرة أخرى، ومع أن مدة التأخير تختلف باختلاف العلوم إلا أنه يمكن إجمال القول بأن معدل التأخير يصل إلى اثني عشر شهراً منذ قبول المقالة حتى طباعتها. ثم إنها تتطلب وقتاً لشهرتها علمياً عن طريق الرجوع إليها أوصلها بعضهم إلى السنتين بعد أن تصدر. ولعل هذا التأخير يتضح ضرره في العلوم الطبيعية والتطبيقية أكثر من العلوم الإنسانية والاجتماعية وفي كل ضرر.(٦)

٥ ـ نمو المعلومات : نمو المعلومات وتطورها يتطلب المزيد من الطباعة والانتاج وقد ظهر هذا ملموساً في الآونة الأخيرة حتى اطلق على هذه الظاهرة عبارات «تفجر المعلومات، تضخم المعلومات، أو تلوث الطباعة والنشر» هذا النمو أدى بأحد المهتمين بالمعلومات إلى الوصول بنتيجة أن الانتاج العلمي ـ فقط ـ يتضاعف كل عشر إلى خمس عشرة سنة(٧)، ومع ما في هذا من المبالغة التي ينقصها الاثبات العلمي، إلا أن الذي يكاد يتفق عليه هو أن انتاج المعلومات يزداد بنسبة ٥٪ سنوياً أي مايعادل ٥٠٪ كل عشر سنين أو ٧٥٪ كل خمس عشرة سنة وأن العالم يصدر ما مجموعة (٧٠،٠٠٠) دورية في العلوم الطبيعية والتطبيقية فقط.

لنأخذ مثالاً على النمو «الخلاصات الكيميائية» وهو مرجع يقوم على استخلاص مايصدر في العلوم الكيميائية وما اشتق منها منذ عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٧م فقد مرت هذه الخلاصات بالمراحل التالية:(٨).

العدد	المدة	الفترة	المعدل السنوي
المليون الأول	٣٠ سنة	١٣٢٧ ـ ١٣٥٧هـ	٣٣٣٣٣
المليون الثاني	١٨ سنة	١٣٥٨ ـ ١٣٧٥هـ	٥٥٥٥٦
المليون الثالث	٨ سنين	١٣٧٦ ـ ١٣٨٣هـ	١٢٥٠٠٠
المليون الرابع	٤ سنين	١٣٨٤ ـ ١٣٨٧هـ	٢٥٠٠٠٠
المليون الخامس	٣ سنين	١٣٨٨ ـ ١٣٩٠هـ	٣٣٣٣٣٣
المليون السادس			
المليون السابع			
المليون الثامن	١٢ سنة	١٣٩١ ـ ١٤٠٢هـ	٤١٦٦٦٧
المليون التاسع			
المليون العاشر			

علماً أن هذه الخلاصات تشمل المقالات المثبوتة في الدوريات، الكتب، وسجلات الاختراع من ناحية، ولكنها لا تشمل كل مايصدر عالمياً إذ أن لها مثيلتين واحدة بريطانية والأخرى ألمانية مما يحدث شيئاً من التكرار في تغطية المعلومات، وقد حدا هذا بالقائمين على هذه المؤسسات إلى ايجاد وسائل للتنسيق بينها.

ولعله من المفيد أن نذكر أن نمو المعلومات هنا مع ماله من نظرة إيجابية دالة على تطور المعرفة ذاتها إلا أنه ومع تعدد المصادر في علم معين تقل النوعية كلما ازدادت الكمية، فيجد المطالع نفسه أمام أكوام من المقالات والمؤلفات لا يخرج منها بالعصارة التي يبحث عنها، وهذه العصارة قد تصل إلى صفحات. وللتوسع في هذه الناحية لإيضاحها يميل المحلل إلى القول بأنه مع زيادة المطبوعات من كتب ودوريات في فن واحد من الفنون، هناك إغراء واضح لملء الفراغ الذي التزمت به هذه المطبوعات ونتيجة لهذا نجد أن النوعية تهمل أو توزع على أعداد الدورية أو فصول الكتاب ويملأ الفراغ بما قد يصدق عليه «الحشو الذي يغلب عليه الضعف وقلة الفائدة» ولذا فإن النوعية تقل بالمقارنة(٩) ولا تعني قلتها أنها تنزل في المقياس الرسمي بل هي ترتفع إذا أخذت بذاتها، ولكنها عندما تقارن بالكمية يلاحظ أن الكمية ترتفع ارتفاعاً مستمراً وبخطوات مندفعة، بينما تبقى النوعية محافظة على مقياسها في الارتفاع الذي يتمشى مع الظروف المحيطة بالعلم والعلماء من نواح اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية ونحوها. فالنمو من هذه الناحية مرتبط بالظروف المحيطة بالعلم والعلماء.

الحلول المقترحة :

ما الحلول التالية إلا محاولات للقضاء، أو التغلب على بعض المشاكل التي جرى ذكرها مسبقاً فهناك حل للمكان وآخر للبعثرة والانتشار وثالث قد ينظر إليه على أنه الحل الشامل ولكنه لا يخلو من عقبات تقف أمام تطبيقه ومحاولة تعميمه على المؤسسات العلمية:

١ ـ أحد هذه الحلول يقوم على **الاعتماد على الإفرادية في المقالات**، ويتم هذا من خلال ارسال الناشر إلى المشتركين قائمة بالمقالات المتوفرة لديه ليترك الفرصة للمشترك أن يختار المقالة أو المقالات التي تهمه ومن ثم يعيد القائمة للناشر ليقوم الناشر بدوره بارسال المطلوب من المقالات.(١٠) هذه الوسيلة وإن كانت سوف تقضي على مشكلة نمو وازدياد المعلومات إلا أنها سترسخ مشكلة أخرى تلك المتمثلة في تأخر وصول المعلومات لمريديها، إذ أن الطريقة التي تُتَّبع بها هذه الوسيلة تفرض التأخر ولا تعدو أن تكون احتيالاً مؤقتاً ينتفع به أولئك الذين لا ينظرون إلى أن مسألة الوقت يمكن أن تكون عائقاً في سبيل حصولهم على تلكم النوعية المطلوبة.

٢ ـ وحل آخر يتمثل في **اللجوء إلى المصغرات الفلمية** في تخزين المعلومات كخطوة متوسطة بين الكتاب المطبوع والكتاب المخزون آلياً.(١١) هذه الوسيلة ستقضي على مشكلتين مجتمعتين.

الأولى: مشكلة **المكان** حيث سيكون تخزين المجلدات التي قد تصل إلى المليون مجلد في مساحة لا تتعدى درجاً من أدراج طاولة المكتب كما أن الموسوعة المكونة من أربعة وعشرين مجلداً ـ بمعدل (١٠٥٠) صفحة للمجلد الواحد أي بما مجموعه (٢٥٢٠٠) صفحة والتي تشغل ما يقارب ١١٠م من الرفوف ـ يمكن تصغيرها لتصل إلى حجم علبة الكبريت!(١٢) مع ملاحظة سهولة حملها وقلة تكلفة نقلها من مكان إلى آخر وإن بَعُد، هذه خطوة بين بين لأنها ليست بالسهولة التي تبدو لأول وهلة، فالمبالغة في الحجم تبدو واضحة بالإضافة إلى أن هذه المصغرات الفلمية تحتاج إلى جهاز قارىء، والقارىء ـ إلى اليوم ـ جهاز له من الثقل والحجم ما يشغل حيزاً لايستهان به مع اعتبار أن الوصول إلى الصفحة أو الصفحات المطلوبة يتطلب من المرء المرور على جميع الصفحات التي تسبقها وإن كان المرور سريعاً إلا أنه له تأثيره في مسألة الوقت، وفي مثال الموسوعة أعلاه، إذا أراد القارىء أن يصل إلى معلومة في حرف الصاد فلا بد من أن يمر على الصفحات التي تغطي الحروف الثمانية عشر التي تسبق الصاد، فاذا فرضنا أن لكل حرف ما معدله (٩٠٠) صفحة، على اعتبار تقسيم (٢٥٢٠٠) صفحة على حروف الهجاء بالتساوي، فإن القارىء

لابد وأن يمر - سريعاً - على (١٦٢٠٠) صفحة حتى يصل إلى حرف الصاد. فإن كان الجهاز القارىء مما يدار باليد فإن هذا سيضاعف من الجهود، وقد يبعث على الملل و يكفي أن يتخيل القارىء نفسه أمام الموسوعة المطبوعة فينتزع منها ذلكم المجلد الذي يحتوي حرف الصاد ومن ثم و بسرعة فطرية يقلب الصفحات إلى أن يصل إلى ضالته، ثم يتخيل نفسه أمام الجهاز القارىء يديره بيده حتى يصل إلى ضالته. ومع هذا فإن الاستعمال اليدوي في المصغرات الفلمية يكاد أن يختفي من الأسواق والمكتبات بعد وصول فكرة الضغط اليسير على مفاتيح خاصة تجعل المصغر الفلمي يدور تلقائياً حتى يصل إلى الموضوع المطلوب.

المشكلة الثانية التي ستقضي عليها المصغرات الفلمية هي **مشكلة التكلفة** إذ أن ثمن الموسوعة المذكورة أعلاه سيختلف اختلافاً جذرياً عندما تنقل على المصغرات الفلمية، وعليه فإن تكلفتها وتكلفة ما يتبع تخزينها من مكان وإضاءة وتهوية أقل بكثير من الموسوعة المطبوعة. وتكلفة المليون مجلد والتي ستشغل حيزاً يعادل درجاً من أدراج طاولة المكتب كذلك له تأثيره على المكان والإضاءة والتهوية ونحوها: إلا أننا مع نظرة عملية هنا نجد أن هذا ينطبق على المصغرات الفلمية وحدها ولا يشمل الأجهزة القارئة والطابعة وهي تلكم الأجهزة التي لابد من تواجدها في المكتبة ولابد أن تتبع المصغرات الفلمية أينما ذهبت، إذ بدونها لا يمكن بشكل من الأشكال الحصول المباشر على المعلومات. هذه الأجهزة ذات قيمة مكلفة، كما أن صيانتها تتطلب الاستمرارية في تخصيص ميزانية خاصة لها، وعطلها بين الفينة والأخرى أمر مسلم به و يستدعي وجود متخصص فني لإصلاح العطب مما قد يؤدي إلى عدم جدوى الاستفادة منها حتى تتم عملية اصلاحها، أما طريقة استعمال هذه الأجهزة مع بساطتها فهي غير واضحة لجميع رواد المكتبة فتحتاج إلى ايضاح من أمين المكتبة، ولا ينتظر من أمين المكتبة أن يوضح طريقة الاستعمال لكل قارىء لذا يلجأ إلى كتابة المعلومات التوضيحية على جانب من جوانب الجهاز ليترك القارىء في دوامة محاولاً حلّ ألغاز هذه التعليمات - وهي عادة مختصرة - مما يجعله ينفق وقتاً أكثر من المتوقع للحصول على ما يريد، وهذا بدوره قد يدعو إلى تعدد الحاجة إلى الأجهزة القارئة مما قد يتطلب التوسع في التكلفة ومن ثم التوسع في الحيز المكاني، وإذا علمنا أن الجهاز القارىء في تطور تقني مستمر علمنا أن على المكتبة أن تعاصر هذا التطور وتسير معه مما قد يزيد في التكلفة عند استبدال القديم بالحديث.

٣ ــ الحل الثالث يبدو في وجود علامات - اليوم - تشير إلى التغيرات في أسلوب وطريقة الاتصال العلمي. هذه العلامات قد تظهر من خلال اتجاه المهتمين بالمعلومات إلى استعمال **الحاسب الآلي** كأحد الحلول لمواجهة المشاكل الآنف ذكرها[13]. وتعود فكرة الحاسب الآلي من حيث استعماله في استرجاع المعلومات إلى «السبعينات» من القرن الماضي ١٣٧٠ - ١٣٧٩هـ. في ذلك الوقت ظهرت فكرة أنظمة المعلومات وكان أول من تبناها في المجتمع الغربي مركز الوثائق بوزارة الدفاع الأمريكية، ومكتبة الطب الوطنية. ولعل أهم تطور في استعمال الحاسب الآلي ماحصل في العقد الماضي ١٣٩١ - ١٤٠٠هـ في مجال تحويل المعلومات من نمو ملحوظ في انشاء قواعد المعلومات الببليوغرافية حتى وصلت في الولايات المتحدة وحدها إلى ١٠٠٠ قاعدة معلومات عام ١٤٠٠هـ[14]، وقد مرت فكرة استعمال الحاسب الآلي بمراحل وأطوار كان لها من المعوقات ما يمكن حصره في عوامل منها: طول الوقت في الإجابة على المسألة العلمية، عدم قدرة «المطالع» على الاطلاع السريع على محتويات النظام، عدم قدرة «المطالع» على تطوير طريقة معينة تمكنه من الاستمرارية في استعمالها، وأخيراً عدم استطاعة «المطالع» ذاته التحكم في النظام لذا لا بد له من اللجوء إلى متخصص بالمعلومات لحل هذه المشكلة. ومع هذه المعوقات الوقتية نجد أن استعمال الحاسب الآلي سوف يقضي - تقريباً - على تلكم العقبات التي سبق ذكرها عند الحديث عن الكتاب المطبوع. فتلكم العقبات ما هي إلا فوائد في هذا المجال.

١ ــ البعثرة وتشتت المعلومات في كتب ودوريات متعددة سوف تزول لأن المطالع سوف يحصل على ما يريد مختصر جداً إذ عليه أن يستعمل تلكم المفاتيح في جهاز الحاسب الآلي ليحصل على ما يريد، فإن أحب أن يخرج هذه المعلومة أو تلك فإنه باستطاعته ذلك آلياً. ومن جهاز طابع قريب منه.

٢ ــ ستنتفي مشكلة التأخر، إذ حال حصول العالم على فكرة وجود معلومة معينة فما عليه إلا التوجه للجهاز ليجدها مخزنة فيستطيع الاستفادة - وربما الإفادة - منها دون الحاجة إلى الانتظار شهوراً تصل إلى السنة.

٣ ــ المسافة التي تحتاجها المعلومة لتصل إلى طالبها سوف تقصر قصراً ملحوظاً، كما أن الخوف من ضياع المعلومات المرسلة بالبريد سيزول لأن البريد لن يكون وسيلة لإيصال المعلومات، وإنما ستحل محله الأقمار الصناعية والأمواج المصغرة ونحوها.

٤ ــ العلماء ـ وخاصة الباحثون منهم ـ ير يدون دائماً أن يكونوا قر يبين من مصادر المعلومات أو من «مخازنها» ليصبحوا بقربهم هذا على اطلاع دائم مستمر على مسيرة العلم، و بواسطة الحاسب الآلي لن تبقى هذه الحاجة إذ يكفي أن يوفر للعالم جهاز الحاسب الآلي في مكانه النائي ليكون على اطلاع مستمر دائم لما يصدر في حقله.

٥ ــ الا تصال والتعاون المباشر «غير الرسمي» سوف يزداد وسيكون بإمكان علماء حقل من الحقول الا تصال ببعضهم البعض ولو لم يكونوا قر يبين في مواقعهم، وهذا بدوره سيساعد على نمو التأليف والتعاون فيه، كما أن ظاهرة كتابة المقالات والكتب بواسطة أكثر من مؤلف واحد سوف تزداد مما يضفي على المؤلفات «من مقالات أو كتب» العلمية المشتركة بين العلماء المشهود لهم بالسبق وإن لم يكونوا متقار بين.

٦ ــ وأخيراً التكلفة ستقل عند الاستعمال إذ من المعلوم أن تطبيق فكرة الحاسب الآلي بدأت غالية نسبياً ولكنها بدأت بالنزول الملحوظ، فبعد أن كانت عملية البحث عن المعلومة تكلف (٣٥٦١,١٦) ريالاً أو ما يعادل (١٠٤٠) دولاراً عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م وصلت إلى (٢٤٣,١٢) ريالاً أو مايعادل (٧١) دولاراً عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م مارة بالمراحل التالية: (ثمن البحث في الساعة) ([١٥]).

السنة	بالريال	بالدولار
١٣٨٨	٣٥٦١,١٦	١٠٤٠
١٣٨٩	٨٣٥,٥٠	٢٤٤
١٣٩٠	٣١٥,١٥	١٣٠
١٣٩١	٣٤٢,٤٢	١٠٠
١٣٩٢	٢٩٤,٤٨	٨٦
١٣٩٣	٢٦٧,٠٩	٧٨
١٣٩٤	٢٥٦,٨٢	٧٥
١٣٩٥	٢٤٣,١٢	٧١

وتستمر التكلفة في التنازل وإن بدأ عليه البطء نسبياً إلا أنه في تنازل مستمر بحيث يصبح في إمكان المكتبات الاستفادة من هذا الاسلوب.

والحديث عن تطبيق الحاسب الآلي لابد أن يجر إلى تلكم المشاكل التي تعتري التطبيق إذ أنه ليست بتلكم البساطة التي يتخيلها المرء، فالجلوس أمام هذا الجهاز لن يحقق تلكم الفوائد المذكورة آنفاً إلا بعد مرور هذا النظام بالمشاكل التالية والتي يمكن جمعها في ثلاث فئات:

ا ــ المشاكل التقنية
ب ــ المشاكل الفكرية أو العقلية
ج ــ المشاكل الاجتماعية

المشاكل التقنية تتلخص في مشكلة مدى امكانية التطبيق وليس في إمكانية التطبيق وللمثال على ذلك نظر ياً وجود نظام واحد يختزن السجلات البيليوغرافية (المقالات أو الكتب) في ملف واحد لكل سجل ببليوغرافي في نظام واحد، أما مهمة الأنظمة الأخرى فتقتصر على الإشارة إلى النظام الذي يحتوى السجل البيليوغرافي، إذا كانت لا تحتو يه هي، وفي هذا تجنب للتكرار بين الأنظمة، وعملية هذه الفكرة تقوم على توحيد الأنظمة والتنسيق بينها بحيث تتعاون على فكرة تخز ين المعلومات ومداها لكل نظام، ولعل هذا لا يقتصر على منطقة بذاتها بل يعم جميع المناطق المتحدثة بنفس اللغة (العربية هنا) وعليه فإن جميع الأجهزة لابد أن تكون قابلة لتقبل المعلومات وتحو يلها من نظام لآخر فيما لو امتلأت الوحدات واضطرت لتحو يل المعلومات إلى وحدات أخرى لديها الفراغ الكافي لتحمل مايحول إليها، و يتبع هذا إمكانية الوحدات ذاتها وقدرتها على أن تكون موضعاً للثقة وضمان عدم ضياع المعلومات بعد فترة محددة.

أما المشاكل العقلية أو الفكرية فيمكن أن تدخل تحت الفئات التالية:

١ ــ الحاجة إلى التساوق في مفردات الفهرسة
٢ ــ الحاجة إلى التساوق في لغة المسألة
٣ــ الحاجة إلى تكييف اللغة الطبيعية في معظم الأنظمة
٤ ــ معوقات اللغة الطبيعية عند التفكير في عمليات شبكات الأنظمة العالمية.

والمشاكل الاجتماعية يمكن تلخيصها في أن اتباع نظام الحاسب الآلي سوف يواجه عقبات مثل موقف الناشر ين والمطابع من هذا النظام، إذ أنه سوف يقضي على فكرة المطابع ودور النشر على الشكل التي هي عليه الآن وعليه فإن طباعة الكتب والدور يات ستأخذ شكلاً آخر يؤثر على سوق الكتاب، كما أن الاشتراك في الدور يات سوف يأخذ طابعاً آخر في التسجيل وتقبل الاشتراكات. كما أن اعتماد نظام الحاسب الآلي سوف يُعقّد فكرة حقوق الطبع، على ماهي عليه الآن من تعقيد: إذ أن الحاسب الآلي لا ينظر إلى فكرة حقوق الطبع بعين الاعتبار، والمجال فيه واسع مفتوح لاستصدار الأعداد الضخمة

العديدة من «النسخ» دون الرجوع إلى أذن المؤلف أو الناشر.(١٦) أما التزام العلماء بمبادىء حقوق الطبع فهي ناحية أدبية تزداد وتنقص حسب تمسُّك العالم والتزامه، ولا يتوقع فيها أن يكون العلماء جميعهم على مستوى من التمسك والالتزام بحقوق الطبع، وإن التزم العلماء بحقوق الطبع فهناك غيرهم ممن سيجدها فرصة سانحة للإتجار بأفكار الآخرين علمياً وأدبياً ومادياً.**

وقد يدخل في **المشاكل الاجتماعية، المشاكل النفسية** عندما نأخذ العلماء كل على حدة فنجد ـ مع أن العلماء ميالون إلى حب النمو والارتقاء بالعلوم ـ أن فكرة تبني النظام غير المطبوع قد تجد شيئاً من الرفض لعدم ألفة العلماء للنظام الجديد، ويمكن التخلص من هذه المشكلة بالتنويه إلى أن هذا النظام الجديد إنما يُبنى لأجيال العلماء القادمة وليس لجيل العلماء المعاصرين، فنظام الحاسب الآلي سيكون مألوفاً لدى علماء الأجيال القادمة كما الألفة التي نجدها اليوم لدى جميع الناس لفكرة جهاز الهاتف ـ مثلاً ـ مع مايدخل عليه تدريجياً من تطوير، ثم إن الأجيال القادمة سوف تتاح لها الفرصة للتعرف على هذه الأنظمة وهي على مقاعد الدراسة مما يدفع إلى الوصول إلى نتيجة أن علماء الربع الثاني من القرن الخامس عشر ربما لا يقبلون هذا النظام فحسب، بل إنهم سوف يطالبون بتبنيه وتعميمه.(١٧)

خاتمـــة :

الكتاب المطبوع ـ بعمومه ـ أصبح يشكل عقبة في طريق الحصول على المعلومات فلابد من بديل لهذه الظاهرة، والبديل الذي يمكن أن يقضي على عقبات الكتاب المطبوع يكمن في استخدام الحاسب الآلي بعد التغلب على العقبات التي تعترض مدى امكانية التطبيق لا امكانية التطبيق. وتعميم هذا النظام ـ الذي قد يفرض نفسه ـ على مجتمعنا يجب أن يمر بمراحل في منتهى الدقة والتحليل لئلا نجني على أنفسنا ومعتقداتنا في سبيل الحصول على التقنية العلمية التي قد تغلب عليها المادية في تطبيقها فاستخدام الحاسب الآلي يجب أن يقتصر أولاً وقبل كل شيء على العلوم الطبيعية والتطبيقية، كما أنه يجب ألا يكون في مستوى التفاؤل الذي عرضت به هذه المقالة عندما نصل إلى تسربه للعلوم الانسانية خاصة. إذ نحن لا نهدف إلى تطبيق التقنية بجذافيرها وإنما نهدف إلى تطبيق ما يتلاءم منها مع بيئتنا وعاداتنا وتعاليمنا ومستقبلنا خلال هذا المنطلق إذ يهمنا مستقبلنا قبل مستقبل التقنية، وعليه فإن الخوف الذي يتسرب من خلال هذا التفاؤل يجب ألا يرد إذا أقحمنا الشخصية العربية الاسلامية في مسألة التبني والتطبيق. ولعل أحدى النقاط التي أريد أن أصل إليها أن التفاؤل في تطبيق هذا النظام القائم على القضاء على الكتاب المطبوع والاكتفاء بالأعمال على الشاشة قد لا يصل إلى تصور ذلك الشخص المسلم الذي يريد أن يأخذ الكتاب بين يديه ـ القرآن ـ ليقرأ آيات منه قبل أن تقوم الصلاة أو قبل أن تغرب شمس رمضان، أو قبل أن يهم بالنوم، وهكذا، إذ لا يتوقع منه أن ينقل شاشته معه أينا كان وحيثا أراد. فهذا مثال قريب المنال قد يتبعه أو يقوم عليه أمثلة أخري تتفق جميعها في نمط واحد وهو المحاولة الصادقة الجادة للابقاء على هذا الكتاب وعدم السماح لأي وسيلة، يمكن أن يستشف منها محاولة القضاء عليه، بالقبول.

ونقطة أخرى يجب التوقف عندها بحذر وهي أنه مادام شغلنا الشاغل في هذه الحياة هوعبادة الله سبحانه فإن أي وسيلة تساعد على هذه الغاية مرغوبة مدعو لها مادامت لا تتعارض مع التعاليم ولا توجد عدم انسجام في المجتمع العربي الاسلامي، ولعل اتباع نظام الحاسب الآلي ـ ليس في مجتمعنا فقط بل في جميع المجتمعات ـ قد يساعد على الارتفاع في نسبة البطالة، لا البطالة في القوى العاملة فحسب بل البطالة في التفكير والابداع في العلوم ذاتها لا في وسائل نقلها وتحويلها. وهذه إحدى المشاكل التي تواجه استخدام الحاسب الآلي في صنوف الحياة ومتطلباتها، والتفصيل في هذه الظاهرة قد لا يناسب الغرض من هذه المقالة، إلا أن التوقف عندها يحتم على المرىء التفكير بنتائج تطبيق هذه الظاهرة على الأمة ومستقبلها بحيث لا يؤثر هذا النظام في تطبيقه على محاولة التنسيق في القوي البشرية والفكرية والعلمية التي تتوفر لدى الأمة العربية والاسلامية عموماً والتي تحتاج إلى شيء من التنسيق في توزيع هذه القوى ليتم التوازن في عملية تقسيمها وتوزيعها بين المناطق المحتاجة لها مما ليس هذا مجال التوسع فيه فكرةً وموضوعاً.***

** لمزيد من معالجة فكرة حقوق الطبع يرجى الرجوع إلى العدد الرابع من المجلد الثاني من مجلة **عالم الكتب** (ربيع الثاني ١٤٠٢هـ) فقد خصص هذا العدد بأكمله لهذه الفكرة.

*** للتوسع في هذه الفكرة يرجى الرجوع إلى:

١ ــ محمد على القليبي، «التكنولوجيا هي الاستعمار الجديد» في حوار أجراه القليبي مع عبد العزيز بن ضياء رئيس لجنة الدول النامية في الحوار التقني «التكنولوجي» مع الدول المصنعة. **المدينة المنورة** ٥٤٢٩ (الخميس ٣ ربيع الثاني ١٤٠٢هـ): ٧.

٢ ــ على ابراهيم النملة. «عوامل يلزم مراعاتها عند التخطيط لبرامج المكتبات والمعلومات في المناطق النامية». **عالم الكتب** ٣ (العدد الأول، رجب ١٤٠٢هـ):

المراجـــــع

1. *Books In Print (1981-1982).* New York: Bowker, 1981 2 Vols.

2. *Encyclopedia International.* (1978). Lexicon V. 15. p. 66.

3. Crane, Diana (1972). *Invisible Colleges; Diffusin of Knowledge in Scientific Communities.* Chicago: University of Chicago, 1972.

4. Lancaster, F.W. (1978). *Toward Paperless Information Systems.* New York: Academic Press, 1978. pp. 65-103.

5. "Are Books Too Expensive?" *Nature* 284 (April 24, 1980): 649.

6. Lancaster, F.W. (1978) Toward Paperless Information Systems.

7. Price, D.J. de Solla. (1969). "The Structure of Publication in Science and Technology." in *Factors in the Transfer of Technology.* ed. by W.H. Gruber and D.G. Marquis. Cambridge, Mass.: MIT, 1969. pp.91-104.

8. King, Linda S. (1975). "The Future of Chemical Information". in *Communicatioin of Scientific Information.* ed. by Stacey B. Day. New York: Kranger, Basel, 1975. pp. 149-158.

9. Ziman, J.M. (1980). "The Prolification of Scientific Literature: A Natural Process". *Science* 208 369-371, April 25, 1980): 369-371.

10. King, Linda S. (1975). "The Future of Chemical Information".

11. Kuney, J.H. (1970). "New Development in Primary Journal Publication". *Journal of Chemical Documentation.* 10:42-46.

12. Bush, V. (1945). "As we May Think". *the Atlantic Monthly* 176:101-108.

13. Barker, D.B, F.A. Tate, and R.J. Rowlett, JR. (1971). "Changing Patterns in the International Communication of Chemical Research and Technology." *Journal of Chemical Documentation.* 11:90-98.

14. Doszkocs, T.E., Barbara A. Rapp, and H.M. Schoolman (1980). "Automated Information Retrieval in Science and Technology". *Science* 208:25-30.

15. Lancaster, F.W. (1978). Toward Paper less Information Systems.

16. Ibid.

17. Ibid.

المصغرات الفلمية في المكتبات ومراكز المعلومات

محمد علي برناوي

● بكالوريس إدارة من جامعة الملك عبد العزيز في جدة. ماجستير مكتبات من قسم المكتبات بكلية الآداب جامعة الملك عبد العزيز في جدة، مدير الخدمة المكتبية في عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك عبد العزيز بجدة.

مقدمـــــة :

لاشك أن المصغرات الفيلمية هي إحدى أوعية الفكر الانسانى التى بدأت تغزو المكتبات ومراكز المعلومات لتأخذ مكانها بين الأوعية التقليدية. ونظرا لأهميتها فقد ظهرت بعض الدراسات الحديثة التي تناولت أهميتها في مواجهة ذلك الإنفجار الهائل المتمثل في المطبوعات.

وسوف أحاول هنا بقدر الامكان أن أُعطى في بحثي هذا فكرة موجزة عن المصغرات الفيلمية وتاريخها الهدف منها وأشكالها وأنواعها واستخدامها وأخيرا صيانتها في المكتبات ومراكز المعلومات.

تطور أوعية الفكر والمعلومات :

بدأ الانسان بتوثيق وتسجيل أفكاره وتجاربه ومعارفه ومشاهداته منذ أكثر من خمسة آلاف سنة بنقشها على جدران الكهوف التى يسكنها، ثم استخدم المواد المتاحة التى عرفها فيما بعد مثل العظام وجلود الحيوانات والألواح الطينية وأوراق البردى وفي عام ١٠٥ للميلاد ابتكر الصينيون صناعة الورق ثم انتقلت هذه الصناعة إلى بغداد عام ٧٥٧ للميلاد أى بعد سبعة قرون من الزمن وهكذا وعن طريق العرب عبرت صناعة الورق إلى أوروبا وبالذات إلى اسبانيا وذلك في عام ١١٥٠ للميلاد(١).

ومن هنا حل الورق محل جميع وسائل التسجيل الاخرى خاصة بعد ابتكار الطباعة ومع عهد النهضة الجديدة في أوروبا بدأت تزداد حركة النشر والتسجيل.

وأمام هذه الحقائق بدأ الانسان يفكر في مواجهة هذا التزايد في الانتاج الفكرى الذى تنبأ به العالم جوزيف هنرى(٢) J. Henry عام ١٨٥١ فذكر بان التقديرات الاحصائية أثبتت أن ما ينشر سنويا من مصادر المعلومات يبلغ حوالى عشرين ألف من المجلدات بما فيها النشرات(٣).

ولقد صدر الاعتراف بذلك لأول مرة من جانب الدوريات العلمية التى كانت تمثل الوسيلة الوحيدة التقليدية لتسجيل ثمار البحث العلمى ونشره وتم التسليم بان الأوعية المكتبية التقليدية كانت محددة في قدرتها على مواجهة الكثير من هذه المشكلات الجديدة.

ودفع هذا الاعتراف العام إلى بذل الجهود من أجل التغلب على مظاهر القصور وذلك باستخدام الوسائل والاجهزة الأكثر مرونة ومنها المصغرات الفيلمية(٤).

تعريف المصغرات الفيلمية :

«هي عبارة عن وسائط تستنسخ عليها الكتب أو الدوريات أو الوثائق بصورة مصغرة جدا بحيث لا يمكن قراءتها في حجمها المصغر بالعين المجردة ولكن بالامكان تكبيرها واعادتها إلى حجمها الطبيعي واستنساخ صور ورقية منها بواسطة أجهزة القراءة والاستنساخ الخاص بكل نظام من انظمتها»(٥).

والمصغرات الفيلمية من المواد البصرية التى بدأ الاهتمام بها بعد الحرب العالمية الثانية وتعتبر من الوسائل الحديثة لتسجيل المعرفة البشرية.

الهدف من المصغرات الفيلمية في المكتبات ومراكز المعلومات

إن الهدف من استخدام المصغرات الفيلمية هو عمل صورة مصغرة من المواد الكتابية مثل المخطوطات والكتب والدوريات والوثائق وغير ذلك للأسباب التالية:

١ ــ توفير المكان والحيز المخصص للحفظ التقليدي وذلك بنسبة تصل من ٩٥٪ إلى ٩٩،٩٩٪ بواسطة تقليل حجم الوثائق والأرفف والأدراج المخصصة لحفظها.

٢ ــ حماية الوثائق الحيوية والمخطوطات النادرة من الاستهلاك السريع والتقادم بفعل الاستعمال وكذلك من المؤثرات الطبيعية عن طريق حفظ الأصل واستعمال النسخ المصورة لاغراض البحث والاسترجاع.

٣ ــ توفير الأمن والطمأنينة بالنسبة للوثائق السرية والتى يخشى عليها من الافشاء وذلك بواسطة تسجيلها على مصغرات فيلمية وحفظها في خزائن حديدية لدى المسئولين الذين لهم حق الاطلاع واعدام الأصول الاصلية.

٤ ــ تأكيد أهميتها كوعاء جديد للفكر الانسانى وتأكيد بقائها وقيمتها الدائمة.

٥ ــ تعويد الانسان على التعايش مع هذه التكنولوجيا والاعتماد عليها باعتبارها جزءا ضروريا في حياته.(٦).

٦ ــ سهولة استرجاع المعلومات المسجلة على المصغرات الفيلمية يدويا وآليا.

٧ ــ سهولة استنساخ الوثائق التى يصعب نسخها يدويا مثل الخرائط والرسومات الدقيقة التى تحتاج عملية نسخ صورة منها إلى شهور عديدة.

٨ ــ باعتبارها وسيلة سريعة واقتصادية لتسجيل ونشر وتوزيع المعلومات المسجلة على أوراق كبيرة الحجم مثل الدوريات.

٩ ــ حماية الوثائق الهامة من اخطار الحرائق التى تصيب بعض المبانى وتدمرها. فمن الممكن حفظ صور المصغرات الفيلمية الأصلية في خزائن ضد الحريق.(٧)

ثالثا : نشأة المصغرات الفيلمية :

لقد أدت الحروب العالمية التى قامت في السابق إلى تلف كثير من الوثائق والكتب وقد أجبر هذا المفكرين على حل مشاكلهم الفنية بطرق جديدة أدت إلى التفكير في ايجاد وسائل للحفظ أكثر مرونة بالتطوير والاختراع ومن هنا ظهرت المصغرات الفيلمية.

ولو حاولنا تتبع تاريخ الكتابة المصغرة في العالم فسوف نجد كما يقول استيفنز Stevens أن الفضل في معرفتها يعود إلى أن الحفريات في نينوى والتى قام بها (لايارد) والتى أدت إلى اكتشاف ألواح طينية عليها كتابات تحتاج إلى مجهر لقراءتها وهناك وثائق تاريخية تثبت اقتراح استخدام النصوص المصغرة لاغراض دراسية وذلك في المراسلات المتبادلة بين السير جون هيرشل وعديله جون ستيورات عام ١٨٥٣م.

أما التصوير المصغر المعروف حاليا فيرجع الفضل في تحقيقه إلى العالم الانجليزي جون بينجامين دانس (John-Bem Jamin Dancer) الذى قام بتجارب عديدة قبيل منتصف القرن التاسع عشر و بالتحديد عام ١٨٣٩م إذ قام بتسجيل أول صورة مصغرة وذلك بنسبة ١٦٠ : ١(٨).

وقام بعد ذلك العالم الفرنسى لويس داجير (Daguerre) بتجارب عدة وجدت حماسا ودعما ابان الحرب الفرنسية البروسية وكان أول استخدام للميكروفيلم هو فيما قام به العالم الفرنسي رنيه داجرون بتسجيل ٣٫٥ مليون رسالة على الميكروفيلم في مدة ٨ أسابيع أثناء الحرب الفرنسية البروسية (١٨٧٠ - ١٨٧١) وقد نقلت هذه الرسائل بواسطة الحمام الزاجل لصعوبة الموضع انذاك.

ومنذ عام ١٨٨٧ وحتى العشرينات من هذا القرن لم تحدث أى تطورات ذات شأن يذكر في هذا المجال ولكن بعد ذلك بدأت تظهر أهمية الميكروفيلم باعتباره اختراع متطور وانتجت من أجله الكثير من التجهيزات.

و يعتبر ظهور روترى كميراز Rotary Cameras من أبرز العلامات على طريق الميكروفيلم ففي عام ١٩٢٥ سجل الامر يكى جورج ماكارثى(٩) George Macarthy اختراعه لآلة تسجيل الشيكات وقد ساعده في هذا بعض المهندسين وقد صممت لتصوير الشيكات الملغاة منعاً للغش.

وكان هذا الجهاز ضخماً وغير متقن بالاضافة إلى بعض العيوب الأخرى من بينها عدم وضوح صور الشيكات الملونة والامضاءات وخاصة اللون الأزرق، وقد أبدى بعض المسؤولين في البنوك اهتماما كبيرا بالجهاز الجديد، إلا أن عددا ضئيلا منهم هو الذى أقدم على شرائه(١٠).

واستطاع جون مكارثى أن يقنع شركة ايتسمان كوداك بتسويق آلة تصوير الشيكات، ولكن شركة كوداك أسست شركة جديدة خصصت كلها لاغراض الميكروفيلم وخدماته باسم ر يكورداك. (Recordak)

وفي عام ١٩٣٥ قامت شركة ر يكورداك بصنع كميرا ميكروفيلم ٣٥ مم ثم قامت الشركة نفسها بتوصية من مكتبة نيو يورك العامة بتصوير ونشر مجموعة من جريدة نيو يورك تايمز على المصغرات الفيلمية.

وتعود البداية الحقيقية لنشر المصغرات الفيلمية إلى عام ١٩٣٨م حينما قامت جامعة هارفارد بمشروع تصوير الصحف الأجنبية وانشاء (University Microfilms)

أشكال المصغرات الفيلمية :

وتنقسم المصغرات الفيلمية إلى نوعين نوع متصل ونوع غير متصل واستجابة لمتطلبات استخدام الميكروفيلم في عمليات التسجيل والحفظ والاسترجاع فقد أدى ذلك إلى تطوير واستحداث العديد من أشكال المصغرات الفيلمية لتتناسب مع هذه المتطلبات. نعرض لها فيما يلى.

أولا : الاشكال الملفوفة (البكرات) :

وهذا الشكل ينفع لتسجيل المعلومات ذات الكميات الكبيرة وترتب وفقا لمنطق معين ثم تسجل بعد ذلك بالترتيب نفسه على فيلم أو أكثر من الافلام الملفوفة ذات العرض الذى يتناسب مع مساحة الوثائق المسجلة.

وهذه الاشكال هى الأكثر شيوعاً لملاءمتها لتسجيل الوثائق التى تتعلق بموضوع واحد على فيلم واحد متصل.

و يتم اختيار مقاس الفيلم طبقاً للغرض المستخدم وحجم الوثيقة وطبيعتها ونوع جهاز الاسترجاع. وعوامل أخرى ككثافة الخط ومدى وضوحه ونسب التصغير. و يوجد نوعان من الافلام الملفوفة أحدهما مثقب والآخر بدون ثقوب لز يادة مساحة السطح الفعال.

ثانيا : الأشكال المسطحة Flat Form

وتعتبر هذه من الاشكال غير المتصلة وتستخدم لخدمة أغراض معينة وتحتوى أشكالها إما على صورة واحدة أو أكثر مسجلة على شريحة مسطحة.

وقد تكون هذه الشرائح محفوظة داخل قطعتين رقيقتين من البلاستيك الشفاف كما هو في نظام الجاكيت و بدون غلاف يحميها كما هو الحال في نظام الميكروفيش(١١).

ومن أنواع الاشكال المسطحة :

١ ــ البطاقة ذات الفتحة Aperture Card

وهي عبارة عن بطاقة مساحتها تساوى ٥٥ر٨٢×٣٢٠ و ١٨٧ مم أى بطاقة بطاقات التثقيب القياسية التى تستخدم في المعالجة الآلية للمعلومات والتى تحتوى على ٨٠ عمودا.

وبهذه البطاقة المذكورة فتحة مستطيلة تتوسط عرض البطاقة وتقع ما بين العمودين ٥٣، ٧٦ وتثبت على هذه الفتحة صورة واحدة مصغرة من فيلم عرض ٣٥ مم وتغطى بطبقة رقيقة من البوليستر لحمايتها من الأتربة والخدش وتستخدم الأعمدة من ١ ــ ٢٥، ٧٨ - ٨٠ في تثقيب المعلومات الخاصة بالوثيقة التى تضمها لاغراض خدمة الاسترجاع الآلي للمعلومات.

ولتحقيق قضية تكامل المعلومات فقد نشأت فكرة تعديل شكل فتحة البطاقة بالاضافة إلى زيادة عدد الفتحات بها بحيث يمكن أن تحمل البطاقة شريحة من الأفلام ١٦مم بطول ١٩مم أو شريحتين طول كل منها ٤٥مم أو ثلاثة أشرطة طول كل منها ٤٤ أو ٥٧ أو ٧٦، أو ١٠٧مم أو تحمل البطاقة شريطاً من فيلم ١٦مم مع شريط من فيلم ٣٥مم من نفس الطول(١٢).

و يستخدم هذا الشكل في تسجيل اللوحات الهندسية في أغلب الأحيان.

٢ ــ الشرائط الميكروفلمية Micro-Film Strips

بما أن الشريط الميكروفيلمى عبارة عن جزء من فيلم عرض ١٦مم أو ٣٥مم لا يقل طوله عن ١٥٥مم ولا يزيد عن ٢٢٨مم يبدأ بجزء غير حساس و يبدأ التسجيل على الشريط بعنوان للتعريف بمحتوياته كما ينتهى بلقطة عليها النهاية وتسجل الصورة المصغرة على شرائط الافلام بالطريقة البسيطة وفي أى الاتجاهين الموازى أو المتعامد مع اتجاه طول الفيلم وتحفظ الشرائط في عُلب أو حوافظ أو ألبومات خاصة.

٣ ــ قطعة من فيلم Film Chip

وهي قطع صغيرة من فيلم عرض ١٦مم أو ٣٥مم بطول لا يزيد على ٧٦مم مسجل عليها صورة مصغرة تحمل احدى الشفرات التى تستخدمها أجهزة الاسترجاع الآلى للمعلومات ويمكن أن تحمل قطعة الفيلم لقطة واحدة أو أكثر.

٤ ــ حافظة الصور الدقيقة (الجاكيت) Jacket

هي عبارة عن جيب من قطعتين مستطيلتى الشكل من البوليستر ملتحمتين من الجوانب الأربعة لكل منها فتحة جانبية تستخدم في ادخال شريط من فيلم إما يدو ياً أو آلياً. وتنتج الجاكيت بابعاد متعددة ومنها ٥٥ر٨٢×٣٢٥ر١٨٧مم و ١٠٥×١٤٨مم،١٢٧×٢٠٣مم.

وتحفظ الجاكيت الصور الميكروفلمية من الخدش والتلف حيث تسمح شفافيتها بقراءة وطبع التسجيلات دون حاجة إلى اخراج الفيلم من الجاكيت.

وتستخدم في مجال التسجيل الميكروفيلمى للمعلومات التى تتطلب الاضافة والتعديل بصفة مستمرة وهى وسيلة عملية لتقديم مرجع سريع للبيانات. ونظام الجاكيت يناسب مراكز تنظيم المعلومات ذات الكميات الضخمة مثل سجل العملاء وملفات العاملين وسجلات المستشفيات.

٥ ــ الميكروفيش Microfiche

مع بداية القرن الحالى بدأ استخدام هذا النوع إلاّ أنه لم يجد رواجا إلا في العهد القريب جدا وفي بعض مكتبات دول أوربا وفي فرنسا على وجه الخصوص وكلمة (Fiche) بالفرنسية معناها بطاقة(١٣) وهي عبارة عن مجموعة صور مصغرة ومرتبة في صفوف وأعمدة على بطاقات فهرس المكتبة وفي أعلى كل بطاقة مساحة تخصص لكتابة عنوان يقرأ بالعين المجردة و يعرف بمحتويات الميكروفيش.

ومساحاتها مختلفة منها ١٠٥×١٤٨مم أو ٥٥ر٨٢×١٨٧مم أو ٧٥×١٢٥مم والمساحة الأولى أكثر شيوعاً.

أما عدد اللقطات فهى

٥ صفوف × ٦ صور = ٣٠ صورة
أو ٥ صفوف × ١٢ صورة = ٦٠ صورة
أو ٧ صفوف × ٧ صور = ٤٩ صورة
أو ٧ صفوف × ١٤ صورة = ٩٨ صورة

وتستعمل لتسجيل الصور المصغرة لمجموعة من الوثائق أو المعلومات أو البيانات التي يربطها موضوع واحد حيث استخدم خلال السنوات الأخيرة كوسيلة لحل المشاكل المتزايدة في مجالات الفهرسة والنشر والتوزيع نظراً لأن الميكروفيش يمكن أن يغطي احتياجات توزيع المعلومات الفنية بصورة لا يمكن توافرها بالنسبة لاشكال الميكروفيلم الأخرى من حيث السهولة والسرعة وقد وجدت بعض المؤسسات الكبيرة في الميكروفيش وسطاً سهل التداول يمكن من توزيع التقارير وكتب التعليمات والمطبوعات الأخرى ذات الوزن الكبير التي يصعب توزيعها عن طريق البريد بالاضافة إلى قلة التكلفة(١٤).

٦ ــ البطاقات الورقية للمصغرات Micro-opaque Card

هي بطاقة ورقية من ورق التصوير الحساس ذات لون أبيض ويتم انتاجها عن طريق طبع الميكروفيش أو الجاكيت بطريقة التلامس في شكل صفوف وأعمدة وهذه البطاقة عادة تستخدم في مجال نشر وتوزيع الدوريات كبيرة الحجم نظراً لفوائدها الاقتصادية في عمليات النقل والحفظ.

٧ ــ الشريط الورقي للمصغرات Micro-Tape

يعد هذا الشريط بواسطة الطبع المتصل وذلك من الميكروفيلم الملفوف بانتاج نسخة موجبة على بكرة من ورق التصوير المغطى من الخلف بمادة لاصقة ثم يقطّع الفيلم إلى شرائح ويلصق كل شريط على بطاقة من بطاقات الفهرس العادية وذلك لسهولة التعديل والتغيير عن طريق استبدال جزء منه وتستخدم في ملفات الشخصيات.

٨ ــ الالترافيش Ultrafiche

هي عبارة عن شريحة فيلمية متناهية في الصغر وهي أحدث ماتوصلت إليه التكنولوجيا وذلك بنسبة ١:١٥٠ ويسجل عليها أكثر من ٣٠٠٠ لقطة ومساحتها تساوي ١٠٥×١٤٨مم وتحفظ بين طبقتين من البلاستيك الشفاف وتستخدم لها أجهزة قراءة خاصة تتوفر فيها قوة تكبير عالية جداً.

استخدام المصغرات الفيلمية :

إن ازدياد حجم الوثائق والدوريات ونشأة مشاكل استرجاعها وكلفة الأرشيف ودواعي الأمن كل ذلك جعلنا نستخدم نظم المصغرات الفيلمية وأكثر ما تستخدم في الحكومات والجيوش والخدمات العامة ووكالات الأنباء والتجارة والبنوك والهندسة والادارات والشرطة وتسجيل العقارات والمحاكم ومراكز البحوث والجامعات والمكتبات العامة والمستشفيات وغير ذلك. وقد أثبتت الدراسات أن استخدام المصغرات الفيلمية في مراكز المعلومات يرفع من كفاءة نظم المعلومات ويجعلها أكثر قدرة على أداء مهام الحفظ والتنظيم والاسترجاع(١٥) كما ثبت أيضاً أن المادة التي تصنع منها المصغرات الفيلمية أقوى وأطول عمرا من المواد العادية للكتب والوثائق وبالتالي فالمصغرات الفيلمية يمكن أن تعيش أكثر من مائة عام كما يمكن تجديدها بسهولة لكي تعيش إلى مدة أطول كما أن التصوير على الميكروفلم ضمانا ضد الفقد والتلف والأخطار المتعددة حيث من السهل الاحتفاظ بالأصل في مكان أمن بعيد عن التداول وطرح النسخ المستنسخة للاستخدام كما أن استخدام المصغرات الفيليمية يوفر حيزا كبيراً حيث أن الفيلم الذي طوله قدم يمكن ان يحمل ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ لقطة (صورة) صفحة عادية(١٦).

استخدام المصغرات الفيلمية في الحاسبات الآلية

وتستخدم المصغرات الفيلمية في تسجيل مخرجات الحاسبات الالكترونية Outputs كما تستخدم أيضا كمدخلات للحاسبات الالكترونية Outputs وهناك مصطلحين عن الاستعمال في هذا المجال هما 1- COM (Computer Output Microfilming)

ويعني التسجيل الميكروفيلمي لمخرجات الحاسبات الالكترونية ويتم هذا التسجيل مباشرة على الميكروفيلم أو على شريط ممغنط أو أسطوانه ممغنطه تنقل بعد ذلك إلى الميكروفيلم ونأخذ المخرجات الميكروفيلمية عن أشكال منها الملفوف أو الميكروفيش أو أوراق التصوير الحساس.

2-CIM (Computer input Microfilming)

وبعض المدخلات الميكروفيلمية للحاسبات الالكترونية ويؤدي استخدام المصغرات الفيلمية كمدخلات أو مخرجات

للحاسبات الالكترونية إلى الاستغلال الأمثل لقدرة وحدة التشغيل المركزية. Central Processing Unit

حيث أن أجهزة المدخلات والمخرجات الميكروفيلمية للحاسبات الالكترونية تعتبر من الوحدات السريعة بالمقارنة إلى العديد من المدخلات والمخرجات الأخرى مثل الأشرطة الممغنطة والبطاقات والأشرطة الورقية والقيمة الحقيقية لما تم من تزاوج بين الميكروفيلم والحاسبات الالكترونية هو تلك النتائج الباهرة التى تم انجازها في عمليات الاسترجاع الآلى للمعلومات المسجلة على ميكروفيلم وهناك طريقتان لاسترجاع المعلومات الميكروفيلمية.

١ ـ الاسترجاع المرئي.

و يتم عن طريق القراءة بالعين المجردة للتسجيلات أثناء مرورها على شاشة القراءة.

٢ ـ الاسترجاع الآلي

حيث يلحق بجهاز القراءة وحدة ذات مفاتيح تقوم بالاسترجاع الآلي للتسجيل المطلوب وعرضه على الشاشة.

وهناك عدة نظم للاسترجاع الآلى تختلف تبعا لنوع المصغرات الفيلمية المستخدمة[١٧].

صيانة وحفظ المصغرات الفيلمية:

يقصد بالصيانة خلق بيئة خالية من العوامل المتلفة للمصغرات الفيلمية كالتحكم في درجات الحرارة والرطوبة ونزع الغازات الضارة التى تلوث هواء المكتبة ومقاومة الآفات وغير ذلك.

وقد توصل بعد الدراسة إلى افلام الاستيات Acetate base Microfilm

و يتوقع أن تعيش قرونا ولكن يظهر على بعضها بقع صغيرة Microfilm Spots وهي تمثل أعراض التقادم (Aging Blemishes) كما أطلقوا عليها الحصبة (Measles) وتظهر في المناطق الاستوائية أكثر من المناطق المعتدلة لذلك فان تخزين الافلام والصور والشرائح الملونة يكون في أكياس من البلاستيك وفي دواليب معدنية عند درجة حرارة ورطوبة منخفضة نسبيا علما بأن افلام الاستيات تتحلل عند درجة حرارة ٩٠ف ورطوبة ٩٠٪ في الجو الاستوائي حتى الجاف منه فان الحرارة الزائدة تتلف الاساس البلاستيكي والجيلاتيني المغطى للأفلام[١٨] واتضح أن وجود تلك البقع لا يؤثر في قابلية الفيلم حين استخدامه واتضح أيضا أن هذه البقع إنما تظهر في الأجزاء السابقة على النص والخالية من الصور أى في بداية الفيلم.

وهناك مؤثرات أخرى وهي:ـ

١ ـ بصمات الأصابع والغبار

لذلك ينبغي تناول الفيلم وهو في وضع رأسي و يوصى بتنظيفه عقب كل استعمال بالمحاليل المعدة لهذا الغرض علماً بأن بصمات الأصابع ذات تأثير مدمر على الفيلم إذ تتفاعل مع المحاليل المستخدمة في معالجة الفيلم.

كما ينبغي ازالة الأتربة من على الفيلم بتنظيفه بالمحلول الخاص[١٩] لذا يجب مراعاة النظافة والعناية التامة عند استعمالها كما يفضل استعمال القفازات البلاستيكية عند الاستخدام وذلك لمنع أثر البصمات.

٢ ـ الحرارة والرطوبة

ينبغي أن تحفظ المصغرات الفيلمية تحت درجة حرارة معتدلة فدرجة الحرارة المنخفضة جدا تجعلها تنكسر بينما ارتفاعها يجعلها هشه لذا يوصى أن تحفظ في درجة حرارة ٧٠ فهرنهايت و يراعى أن تكون الدرجة ثابته فالتذبذب فيها يتلفها وكذلك يجب ابعاد المصغرات الفيلمية عن ما يشع منها حرارة عاليه. و بالنسبة للرطوبة ينبغي أن تحفظ أيضا تحت درجة رطوبة محدوده فدرجة الرطوبة العالية تجعل الاحماض تتفاعل بل وربما تلتصق الشرائح مع بعضها لذا ينبغي أن تظل في حدود ٤٠٪ على ألاّ تزيد عن ٦٠٪ ولا تقل عن ٣٠٪ فدرجات الرطوبة التى تزيد عن ٦٠٪ يترتب عليها عادة نمو الفطر (العفن) الذى لن يلبث نموه وانتشاره السريع على سطح الميكروفيلم أن يتلف الصورة وحين تقل الرطوبة النسبية لمدة طويلة عن ٣٠٪ يصبح الفيلم عرضة للجفاف والالتواء والقابلية للتقصف وإذا حفظت المصغرات الفيلمية في مكتبة يتوفر فيها تكييف الهواء بشرط القدرة على التحكم في نسبة الرطوبة كما ذكر سابقا فانه من الأفضل جعل المصغرات الفيلمية تتعرض للتهوية.

٣ ــ المــاء

من أشد الأخطار فاعلية ما ينجم عن تكاثف بخار الماء العالق بالجو على السطح المعرض له من جسم الفيلم وهذه مشكلة من مشكلات الحفظ وخاصة حين تتعطل أجهزة التدفئة أو التكييف عموما لمدة طويلة أثناء الليل أو العطلات كما يجب العناية بأبعاد المصغرات الفيلمية عن الماء أياً كان مصدره داخل المكتبة.

٤ ــ الحريــــق

إن جميع الافلام المستعملة قبل عام ١٩٥٠م كانت مصنوعة من مادة نترات الفضة المعروفة بقابليتها الشديدة للاشتعال كما أنها من المواد الكيماوية القابلة للتحلل ببطء خلال فترة زمنية معينة.

وقد تم القضاء على هذه المشكلة باستخدام قاعدة ثابته فأصبح بالامكان الآن حفظها لفترات زمنية غير محددة دون أن تتحلل أما الفيلم المستعمل الآن فيصنع من قاعدة بلاستيكية مستخلصة من مادة السللوز.

وهناك نوع من الافلام تكفل طريقة صنعه المقاومة ضد الحريق في درجات حرارة عالية نسبيا بدون أن تتأثر (لكن ليست المناعة الكاملة)(٢٠).

٥ ــ ســوء الاستخدام

مثل عدم لف الفيلم بصورة صحيحة داخل البكرة مما يؤدى إلى تلف النتوءات الموجوده على حافتى الفيلم وللتأكد من سلامة أجهزة العرض قبل استعمال الفيلم وغير ذلك.

قائمة المراجع العربية :

بدر، أحمد حشمت محمد على قاسم. المكتبات المتخصصة إداراتها وتنظيمها. وخدماتها. الكويت: وكالة المطبوعات ١٩٧٢م.

سليمان، محمد إبراهيم. المصغرات الفيلمية في مراكز المعلومات من المجلة العربية للمعلومات، إدارة التوثيق والمعلومات ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. العدد الرابع من المجلة الثانى يونية ١٩٨٠م

شلبى، السيعدي السيد. استخدام التقنيات الحديثة في مجال المعلومات. القاهرة: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٧٧م.

عبد الله، محمد الغزالى وإبراهيم البداح. المصغرات الفيلمية واستخدامها ودراسة تطبيقية وتجربة المعهد في هذا المجال. من بحوث ندوة ونظم المعلومات والميكروفيلم من ٢٧ ـ ٣٠ صفر ١٤٠١هـ ص ١٠٩ ـ ١٤١.

عبد الهادى، محمد فتحى. مراكز المعلومات الصحفية ـ الرياض: دار المريخ ١٩٦٥م

العكرش، عبد الرحمن، خطوات ما قبل التصوير. من بحوث ندوة نظم المعلومات والميكروفيلم من ٢٧ ـ ٣٠ صفر ١٤٠١هـ ص ص ٨٥ ــ ١٠٨.

عمر، أحمد أنور. مصادر المعلومات في المكتبات. ط ٢ الرياض، دار المريخ ١٤٠٠هـ.

قاسم، نزار محمد على وآخرون، اختيار المواد، بغداد، الجامعة المستنصرية ١٩٧٩م

القاضى، صلاح. المرجع في الميكروفيلم. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية (١٩٧٦) ٢ ج.

كنت، آلن. ثورة المعلومات، استخدام الحاسبات الالكترونية في اختزان المعلومات واسترجاعها، ترجمة حشمت قاسم وشوقى سالم، الكويت: وكالة المطبوعات (١٩٧٣م)

محمود، حسام الدين عبد الحميد. تكنولوجيا صيانة وترميم المقتنيات الثقافية مخطوطات مطبوعات وثائق تسجيلات القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

المركز العربى للتطوير الادارى، ندوة الادارة التنفيذية ـ لندن ـ ١-٢٧/٩/٧٩م المصغرات الفيلمية.

المملكة العربية السعودية ـ معهد الإدارة العامة ـ مكتبة الادارة ـ المصغرات الفيلمية بقلم محمد الغزالى ـ العدد الأول من السنة الخامسة صفر ١٣٩٧هـ.

الموسومي، مصطفى المرتضى وآخرون. الوثائق، بغداد، الجامعة المستنصرية ١٩٧٩.

ميلاد، سلوى على، الارشيف ماهيته وإدارته، القاهرة دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٦م.

(١) السعودية ـ معهد الادارة العامة ـ بحوث ندوة نظم المعلومات والميكروفيلم. ص ص ٢٧ - ٣٠. ١٤٠١ ص ١١١.

(٢) من المهتمين بالخدمة المكتبية في الولايات المتحدة الامريكية وكان يعمل سكرتيرا في مؤسسة «سميث سونيا»

(٣) كنت، آلن. ثورة المعلومات استخدام الحاسبات الالكترونية في اختزال المعلومات واسترجاعها ـ ترجمة حشمت قاسم وشوقى سالم، الكويت، وكالة المطبوعات ص ٩.

(٤) المرجع السابق ص ١١

(٥) قاسم، نزار محمد على وآخرون. اختيار المواد المكتبية. بغداد، الجامعة المستنصرية ١٩٧٩م ص ٧٣.

(٦) السعودية ـ معهد الادارة العامة المرجع السابق ص ١٥٣

(٧) قاسم، نزار محمد على المرجع السابق ص ١٥٣

(٨) قاضى، صلاح. المرجع في الميكروفيلم. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية (١٩٧٦)

(٩) موظف حسابات في بنك نيو يورك.

(١٠) قاضى، صلاح (في المقدمة) المرجع السابق.

(١١) محمد الغزالى عبد الله مرجع سابق ص ١١٥

(١٢) قاضى، صلاح المرجع السابق ص ٩.

(١٣) محمد الغزالى عبد الله مرجع سابق ص ١١٧

(١٤) قاضى، صلاح المرجع السابق ص ١٥.

(١٥) محمد فتحى عبد الهادى، مراكز المعلومات المرجع السابق، ص ١٧٣

(١٦) شلبي، السيعدي السيد المرجع السابق ص ١٨٢.

(١٧) سليمان، محمد ابراهيم المجلة العربية للمعلومات. مرجع سابق ص ٦٤.

(١٨) حسام الدين عبد الحميد محمود. تكنولوجيا صيانة وترميم المكتبات الثقافية مخطوطات. مطبوعات. وثائق. تسجيلات. ص ١٩٢

(١٩) عبد الرحمن العركشي. مرجع سابق ص ١٥٢.

(٢٠) عمر، أنور. المرجع السابق. ص ٢٤٣.

المراجع الانجليزية

Fothergiu, Richard and Ianbutchart.
Non-Book Materials in libraries. London, Clive Bingley, 1978.

Hawken, W.
Enlarged prints from Library Micro Forms. Chicago Library Technology Project 1963.

Kujoh, Jean Spealman
Reading in Nonbook Librarianship. The Scarecrow Press Inc. 1968.

Shoree, Louis
Audiovisual Librarianship. Libraries Unlimited, Inc. 1973.

Luther, F.
Microfilm; A history, 1939-1960.

Amapolisl Marylon, N.M.A. 1959.

وجهة نظر حول كتابة البحث العلمي

سعد الحاج بكري

● دكتوراه في هندسة الأنظمة، أستاذ مساعد ـ كلية الهندسة جامعة الملك سعود بالرياض.

إذا كانت مهمة البحث العلمي هي تطوير المعارف بشتى أنواعها، فإن مساهمة أي بحث في هذا التطوير مرهونة بقدرته على تقديم نفسه والتعريف بعلمه وعرض حصيلة نتائجه. والوسيلة إلى كل ذلك هي الكتابة، ولهذه الوسيلة دور كبير في تحديد قيمة البحث الذي تسعى إلى التعبير عنه. فمها كان البحث مهماً في نتائجه فإن كتابته بأسلوب غير مناسب تؤدي إلى تشويه وغياب بريقه. ومهما كان البحث محدوداً في عطائه فإنّ عرضه بالشكل الذي يظهر هذا العطاء يكسبه المكانة التي يسعى إليها. من هنا تأتي أهمية كتابة البحث العلمي.

تقدم هذه المقالة مجموعة ملاحظات وآراء وقواعد حول كتابة البحث العلمي. في هذه المجموعة ماهو بديهي أو مألوف وفيها ماهو حصيلة خبرات أدت إلى تكوين آراء محددة، والغاية من وضعها معاً هي الخروج بوجهة نظر متكاملة حول كتابة البحث العلمي.

تبدأ المقالة أولاً بالحديث عن الكتابة بوصفها وسيلة إتصال بين باحث أو كاتب لديه مايقول وقارىء يريد أن يطلع. يلي ذلك مناقشة لمسألتي وضوح كتابة البحث العلمي وموضوعيته، ثم محاولة وضع بعض الملاحظات حول جمع وتحضير البحث للكتابة، وأخيراً مناقشة ما يجب أن يكون عليه هيكل الكتابة واستعراض الخطوات التي يجب اتباعها أثناء عملية الكتابة.

بين الكاتب والقارىء

إنّ الكتابة أساساً هي وسيلة نقل أو إرسال معلومات إلى الآخرين. وتشمل وسيلة الإرسال هذه، تحويل المعاني المطلوب نقلها إلى حروف متتالية، تعطي كلمات متسلسلة، تحاول النطق بتلك المعاني. وبالطبع لا تحقق الغاية من إرسال المعلومات دون أن يكون هناك استقبال للمادة المرسلة. وعملية استقبال الكتابة هي بالطبع القراءة، لكن هذه العملية تختلف عن الكتابة في أنها تسير بالإتجاه المعاكس. فهي تتلقى الحروف والكلمات المكتوبة

في محاولة لفهم المعلومات والمعاني المقصودة. فالكتابة هي وسيلة إعطاء المعارف والقراءة هي وسيلة أخذها.

وبين مُرسِل المعارف ومستقبلها أو الكاتب والقارىء علاقة خاصة تشابه، إلى حد ما، في لغة التجارة العلاقة بين البائع والمشتري. فعلى الكاتب أن يقدم مالديه بأسلوب يرضي رغبة القارىء في الاطلاع كما يفعل البائع وهويعرض بضاعته على المشترين. ولئن كان التعامل التجاري الناجح يقضي بمراعاة حاجات الزبون، فإنّ الكتابة الناجحة تقتضي أيضاً مراعاة متطلبات القارىء. فهو زبون تجارة المعرفة وعلى الكاتب، وهو أحد أصحاب هذه التجارة أن يعامله على هذا الأساس.

ولمناقشة متطلبات القارىء لابد أولاً من تحديد هويته لأنّ التعرف عليه يسهِّل فهم حاجاته. ويمكن القول بصورة عامة، أنّ قارىء البحث العلمي هو القارىء المتخصص الذي يبحث عن المزيد من المعرفة في مجال تخصصه. ولكن لابد هنا من الإشارة إلى أنّ بعض البحوث العلمية تثيررغبة القارىء غير المتخصص في الاطلاع، وبخاصة في المجالات التي يكون فيها ارتباط البحث مع المجتمع ارتباطاً وثيقاً ومباشراً كما هو الحال في مجال الإكتشافات الطبية والدراسات الإجتماعية الحديثة والتطورات التكنولوجية التي تدخل حياة كل فرد.

ولاشك بالطبع أن ما يطلبه القارىء المتخصص يختلف تماماً عما يطلبه القارىء غير المتخصص. فلئن كان مايهم الأول يشمل كل ما يتعلق بالبحث فإن ما يهم الثاني يتجه نحو نتائج البحث ومجالات تأثيرها العام. وإذا كان الأول يفهم أسس موضوع البحث ويستطيع التعامل مع مصطلحاته، فإنّ الثاني مجرد من الإثنين معاً. وعلى ذلك فما يُكْتَب للقارىء المتخصص لا يكتب لغيره. ولاشك أنّ الكتابة للقارىء غير المتخصص تحتاج إلى نظرة شمولية مختصرة للموضوع ولغة مبسطة بعيدة عن المصطلحات. ولأن القارىء غير المتخصص هو عادة باحث يشارك في تطوير موضوعات البحوث التي يقرؤها، فهو لذلك القارىء الأكثر أهمية في مجال البحث العلمي، وعلى ذلك فهو هدف ما تبقى من هذه المقالة.

وضـــــوح البحـــث

لاشك أنّ هدف قارىء البحث العلمي هو الحصول على معلومات جديدة موثّقة ومقنعة أو مثيرة للمناقشة العلمية المتزنة والهادفة. وعلى الكاتب في سبيل تحقيق هذا الهدف لقرّائه أن يسعى إلى تقديم موضوعه بأسلوب يتصف بصفتين أساسيتين هما: الوضوح، والموضوعية.

ولنبدأ أولاً بمناقشة مسألة وضوح البحث. ولابد من القول هنا أنّ **الشرط الأول** في سبيل تحقيق ذلك هو أن يكون مضمون البحث واضحاً، فلا يمكن التعبيرعن البحث أو عرضه بشكل كلامي واضح مالم تكن مادة البحث نفسها واضحة وجلية. ويشمل وضوح مادة البحث التحديد الواضح لأربعة عوامل هي:

١ ــ موضوع البحث وأهميته والهدف منه وما قيل فيه سابقاً.

٢ ــ الطرق والأساليب المتبعة في عملية البحث ومدى صلاحيتها من أجل الوصول إلى الهدف المنشود.

٣ ــ خطوات البحث والنتائج التى تمَّ التوصل إليها.

٤ ــ مناقشة وتحليل الجوانب الإيجابية والسلبية للنتائج من حيث أثرها على المواضيع المتعلقة بها، والفوائد الناتجة عنها، ومدى تناسب هذه الآثار والفوائد مع الهدف المرسوم.

عندما تصبح العوامل الأربعة السابقة الذكر، بالنسبة لأي بحث مهما كان موضوعه أو حجمه، محددة وواضحة، يكون البحث قد نضج وأصبح صالحاً للعرض. عندئذ يأتي **الشرط الثاني** لتحقيق الوضوح المطلوب للبحث، وهذا الشرط هو محاولة تحقيق وضوح العرض. ويشمل وضوح العرض مراعاة العوامل التالية:

١ ــ تقسيم البحث إلى أقسام متسلسلة تسمح بتدرج نقل المعلومات من الإطار العام إلى الإطار الخاص،ومن الأمور البسيطة إلى أفكار أكثر تعقيداً. فمثل هذا التدرج والربط يتناسب مع إيقاع الفهم للعقل البشرى، كما أنّه يفيد في حصر المعلومات ضمن إطار معين وتجنب تكرارها.

٢ ــ الحرص في صياغة الجمل واختيار الكلمات من أجل نقل أفكار البحث بدقة تجنباً لأي غموض.

٣ ــ لأن الجمل هي الجرعات التى يتلقاها القارىء وهوينهل من معلومات البحث، فإنّ مراعاة وضع هذه الجرعات في حجوم معقولة يسهل على القارىء متابعة القراءة والأخذ من منهل البحث.

٤ ــ تحديد مدلولات المصطلحات والرموز المستخدمة منعاً لحدوث أى التباس في المعاني المقصودة.

موضوعية العـــــرض

بعد مناقشة مسألة وضوح البحث لابد من التوجه نحو معالجة قضية الموضوعية في نقل البحث، وهي باختصار الأمانة في نقل المعلومات دون إثارة أو مبالغة. وتعطي الموضوعية في كتابة البحث وزناً علمياً للنتائج المستخلصة. ومن أجل تحقيق هذه الموضوعية يجب أخذ الملاحظات التالية بعين الإعتبار:

١ ــ البعد عن أسلوب المغالطة... و يعتمد مثل هذا الأسلوب عادة على التركيز على معلومات ومناقشات منقوصة واهمال النظر إلى جميع جوانب الموضوع. و يكون هدف مثل هذا العمل عادة محاولة تغطية بعض الأمور وتوجيه رأي القارىء باتجاه معيّن. وكثيراً ما يظهر مثل هذا الأسلوب في كتابات بعض الصحفيين. ولاشك أن نظرة قارىء البحث العلمي التحليلية للكلمات تكشف مثل هذا الأسلوب وتشكك في قيمة نتائجه ومناقشاته.

٢ ــ تجنب الكتابة الملتوية.. وهي مجموعة كلمات مختارة تعتمد على اللّف والدوران والمراوغة دون أن تعطي معنى أو فكرة واضحة. وكثيراً ما يعتمد الدبلوماسيون على هذا الأسلوب حينما يتحدثون في موضوع لاير يدون مواجهته مباشرة. وفي هذا المجال قال رئيس وزراء الصين الراحل شو إن لاي عن هنري كيسنجر الوزير الأمريكي السابق: إنّه الرجل الذي يستطيع التحدث تسعين دقيقة دون أن يقول شيئاً.

٣ ــ تفادي الأسلوب الدعائي.. و يعمل مثل هذا الأسلوب على استغلال المشاعر واستخدام الكلمات الأدبية الرنانة في سبيل الترويج لفكرة أو نتيجة دون وجود أدلّة قاطعة تدعم مثل هذه الكلمات.

٤ ــ تجنب الكتابة الذاتية.. وهي التي ترتكز غالباً على التسليم بمنطلقات لا تقبل المناقشة ومن هذا النوع الكتابات التى تصدر عن الكتاب الملتزمين بوجهات نظر أو مبادىء معينة. وقد ترضي هذه الكتابة أصحاب المبدأ، لكنها قطعاً تثير رفض معارضيه، وتؤثر في النتيجة بشكل سلبي على المحايدين. فإذا كان موضوع البحث مثلاً هو إجراء مقارنة بين اتجاهين متناقضين، وكانت الأدلة كلها في صف الاتجاه الذي يميل الباحث إليه، فإن النقل الموضوعي الرزين لهذه النتائج يدعم هذا الاتجاه بين قرّاء مجموعة الوسط وحتى بين أولئك الذين يتعاطفون مع الاتجاه المعارض.

التحضير للكتابة

ومن المناقشة العامة لمسألتي وضوح كتابة البحث العلمي وموضوعيته إلى أمور أكثر جدية في هذا المجال وهي: تحضير البحث للكتابة ثم خطوات الكتابة نفسها. ولنبدأ أولاً بمناقشة مسألة تحضير البحث للكتابة، والتى تبدأ عادة مع بداية عمليات البحث ولا تنتهي إلا بانتهائه. لأنّ خطى البحث تتضمن جمع المعلومات واستنباط الأفكار والنتائج وكذلك تقويم وتحليل هذه النتائج، فإنّ تحضير البحث للكتابة يشمل محاولة احتواء كل ما تعطيه هذه المراحل. وأفضل مايسهل هذا الاحتواء هو التنظيم والتبو يب. ولعل في النقاط التالية ما يلقي الضوء على مايجب عمله في سبيل التحضير للكتابة:

١ ــ لابد من الاهتمام بمصادر المعلومات التى يعتمدها البحث. وقد تكون هذه المصادر كتباً أو مقالات علمية أو نشرات أو مقابلات أو مخطوطات وما إلى ذلك، وعلى الباحث أن يعمل على تصنيف هذه المراجع وتلخيص المعلومات والأفكار والملاحظات المأخوذة منها.

٢ ــ يجب تسجيل النتائج المستخلصة في حينها بأسلوب يسهل العودة إليها أثناء عملية البحث و يسهل كذلك عرضها أثناء تنفيذ خطوات الكتابة الشاملة للبحث. ومن الأساليب المتبعة في تسجيل النتائج بأسلوب منظّم استخدام الجداول التي تفيد في تصنيف الأرقام والاحصائيات أو تلخيص المقارنات التى تنتج عن البحث. ومن هذه الأساليب أيضاً وضع النتائج على هيئة خطوط أو منحنيات بيانية تصور العلاقات القائمة بين عوامل البحث في المجالات المطلوبة. وتستخدم المخططات والصور الفوتوغرافية في بعض الأحيان للمساهمة في توضيح النتائج، ومثال ذلك مخططات التركيبات الهندسية، والصور التى تكشف مايُرى تحت المجهر أو صور المخطوطات القديمة والكثير من الحالات الأخرى.

٣ ــ ولابد بالإضافة إلى ما سبق من حفظ الأفكار والتعليقات والتفسيرات التي يستنبطها الباحث أثناء عملية البحث والتي قد تفيد في تحليل نتائج البحث وتقويمه ولاشك أن ترتيب وتبو يب هذه المعاني والأفكار يسهل فرزها والعودة إليها عند الحاجة.

ومن الأمور المفيدة في دعم نتائج البحث وتحضيره للكتابة العمل على إلقاء محاضرة أو أكثر حوله أمام بعض المتخصصين.

فمثل هذا العمل يدفع إلى محاولة ترتيب أفكار البحث واختبار هذا الترتيب عملياً، كما أنّه يثير المناقشات حول نقاط الغموض أو الضعف فيه بحيث يمكن تفادي مثل ذلك عند كتابته بشكله النهائي.

هيكــل الكتــابة

ننتقل الآن من الحديث عن تحضير البحث للكتابة إلى المرحلة التالية وهي مناقشة هيكل الكتابة وخطواتها. وتشمل هذه المناقشة إلقاء نظرة على ما يجب أن تكون عليه تقسيمات الهيكل العام للبحث ثم مناقشة خطوات عرض هذه التقسيمات وتفرعها إلى بنود ثم فقرات تتكون من عدد من الجمل، وأخيراً محاولة إلقاء الضوء على بعض الملاحظات العامة المساعدة.

كما ذكرنا في مناقشة مسألة وضوح البحث فإنّ الهيكل العام للبحث يجب أن يتصف بالتدرج. ولعل التقسيم العام التالي يساهم في هذا الاتجاه:

١ ــ يجب أن يحوي الهيكل أولاً على ملخص شامل للبحث لا يتجاوز عدة أسطر أو صفحة واحدة على الأكثر، بحيث تُعطى فيه لمحة سريعة عن موضوع البحث وخطوات تنفيذه، والنتائج الأساسية التى حققتها. ومن المفيد في نهاية الملخص وضع اسم الموضوع العام الذي ينتمي إليه البحث، فمثل ذلك يسهل تصنيفه في المكتبات وفي قواميس البحوث. وقد تنتمي بعض البحوث إلى أكثر من موضوع عام واحد، عندئذ يجب ذكر هذه المواضيع كي يتم تصنيفها جميعاً.

٢ ــ بعد الملخص يأتي دور القسم الخاص بعرض مادة البحث ويجب هنا تقسيم هذا العرض إلى فصول و بنود بحيث تراعى في هذا التقسيم العوامل الأربعة الواردة فيا تقدم في مناقشة مسألة وضوح مادة البحث. ويجب أن يشكل الفصل ضمن مادة البحث جزءاً متكاملاً منها كأن يحتوي الفصل الأول مثلاً على تحديد لموضوع البحث وأهميته والهدف منه وماقيل فيه سابقاً. ويجب أن يشكل البند أيضاً جزءاً متكاملا من الفصل كأن يحتوي أحد بنود الفصل المقترح مثلاً على نظرة إلى أهمية الموضوع المطلوب. ولابد من ترقيم فصول البحث وكذلك ترقيم بنود كل فصل بأسلوب متكامل، فإذا كان رقم الفصل الأول هو(١) فإن رقم البند الأول منه هو (١ - ١)

٣ ــ و يلي قسم عرض مادة البحث، قسم خاص توجز فيه خلاصة النتائج في أسطر قليلة. ولابد من البعد في هذه الخلاصة عن وضع أية معلومات أو تفصيلات جديدة لأنّ مثل ذلك خاص بقسم مادة البحث، ذلك أنّ الخلاصة هي توجيه الانتباه إلى الفوائد الأساسية التي اعطاها البحث.

٤ ــ قد يتعرض الباحث أثناء عمله إلى دراسة موضوعات ذات تأثير غير مباشر على البحث، أو قد تتجمع لديه بعض التفصيلات التى تخدم مادة البحث ولكن بأسلوب غير مباشر. ويمكن وضع مثل هذه المعلومات في قسم خاص غالباً مايسمى بالملحق أو الملاحق و يأتي هذا القسم عادة بعد خلاصة البحث. ولابد من الإشارة إلى التفصيلات الموجودة فيه في مكانها المناسب من مادة البحث.

٥ ــ أما القسم الأخير فهو القسم الخاص بمراجع البحث. ويحتوي هذا القسم على قوائم بأسماء المراجع من كتب ونشرات ومقالات وأسماء مؤلفيها وتوار يخ صدورها. وتجري عادة الإشارة إلى كل مرجع من هذه المراجع ضمن مادة البحث. وتعني الإشارة إلى مرجع معين أنّ تفصيلات الموضوع المذكور في ذلك المكان من مادة البحث موجودة في المرجع المشار إليه. وتصنف المراجع عادة بحسب موضوعها أو اسم مؤلفها أو ترتيب ورودها في عرض مادة البحث.

خطـــوات الكتــابة

نأتي الآن إلى مناقشة مسألة خطوات الكتابة. فبعد اعتماد الهيكل العام المقترح للبحث، وتقسيم مادته الأساسية الى الفصول والبنود المطلوبة، وتجهيز كل ماورد في المناقشة السابقة حول التمهيد للكتابة، تبدأ عملية تحويل مافي البحث من أفكار ومعانٍ إلى كلمات متسلسلة تنطق عَنْ الأفكار والمعاني وتعبر عنها ضمن إطار الهيكل العام والتقسيمات الموضوعة. ويجب في هذا المجال مراعاة العوامل الأربعة الواردة سابقاً في مناقشة مسألة وضوح العرض.

ولكي تكون مناقشة قضية خطوات الكتابة ذات صبغة عملية، نفرض الآن أننا بصدد كتابة أحد فصول مادة البحث. المتوقع في هذه المرحلة أن يكون هذا الفصل مقسّماً إلى بنود متسلسلة تحتوى على معلومات الفصل بالأسلوب المتدرج الذي يحقق الوضوح المطلوب.

وقبل البدء في كتابة البند الأول من الفصل يجب كتابة فقرة أو أكثر لربط الفصل مع ماسبقه والتمهيد لمحتوياته. وبعد الانتهاء من كل بنود الفصل، لابد من كتابة فقرة أخرى لوصل محتويات الفصل بموضوع الفصل الذي يليه. ويعزز أسلوب البداية والنهاية هذا استقلال الفصل، حيث أنه يوضح دوره والهدف منه ضمن فكرة تكامل الموضوع الذى يخدمه البحث. ويمكن استخدام هذا الأسلوب أيضاً على مستوى البند، خصوصاً إذا كان البند طويلاً ومتفرعاً إلى بنود أخرى.

ولكن كيف يتم تقسيم البنود إلى فقرات.. وهذه بدورها إلى جمل.. وما هو الشكل المناسب للجملة التى تعتبر الجرعة التي يتلقاها القارىء أثناء القراءة.

يشمل ما يحتويه البند عادة مجموعة معلومات، ويجب عرض هذه المعلومات وربطها مع ماقبلها وما يليها من خلال عدد من الأفكار المتسلسلة. ودور فقرات النص هنا هو شرح هذه الأفكار بحيث تعطي كل فقرة عرضاً واضحاً لفكرة محددة، وبحيث يُظهر هذا العرض كون الفكرة مكملة لما سبقها وممهدة لما سيأتي. ومن العسير تحقيق مثل ذلك ضمن جملة واحدة أو جرعة واحدة، خصوصاً إذا كانت الفكرة تتسم بالتعقيد. لذا فإنّ عوامل وضوح العرض الواردة سابقاً توصي بوجوب جعل الجرعات التى يتلقاها القارىء معقولة الحجم بحيث لا يأخذ الجرعة التالية دون أن يكون عقله قد استوعب التى سبقتها. وعلى ذلك لابد من عرض الفقرات من خلال جمل تتحقق فيها هذه الغاية.

وإذا كان دور الفقرة هو عرض فكرة محددة، فإنّ الجملة هي الوحدة الأساسية التى تنفذ هذا العرض. ويتلخص دورها في أنها تعمل على نقل معنى محدد يساهم في العرض المتكامل للفكرة المطلوبة. أما وسائل الجمل في نقل المعاني فهي الكلمات المتاحة في لغة الكتابة، والرموز المستخدمة ضمن نطاق البحث. ولعل في الملاحظات التالية ما يساعد في تكوين جمل تريح القارىء في الأخذ من منهل البحث:

١ ــ إختيار الكلمات السهلة التي لا يحتمل اللبس في تفسيرها. وتوضيح الكلمات الصعبة أو الغامضة، إذا كان لابّد من استخدامها. وتجنب تكرار الكلمات حرصاً على إيقاع العرض، وذلك في حالة امكانية إيجاد كلمات بديلة، وإذا كان ذلك لا يؤثر على وضوح المعنى المقصود.

٢ ــ استخدام إشارات الفصل بين الجمل، وكذلك بين محتويات الجملة الواحدة وفيما يلي أهم هذه الإشارات واستخداماتها.

(أ) النقطة (.) ويجب استخدامها للفصل بين الجمل المستقلة.

(ب) الفاصلة والنقطة (؛) وتستخدم لتقسيم الجملة التى تحتوى على معنيين مترابطين حيث توضع للفصل بين هذين المعنيين.

(ج) الفاصلة (،) وتستخدم أيضاً لتقسيم الجملة الواحدة. وتعمل هذه الإشارة على توجيه القارىء في قراءة الجمله بالأسلوب الذي يراه الكاتب ويساعد هذا في فهم المعنى المقصود.

(د) النقطتان (:) ويجري استخدام هذه الإشارة عند تقديم مجموعة من العوامل التى تنتمي إلى مصدر محدد.

وهناك أيضاً إشارات أخرى يمكن استخدامها. ويلاحظ في كثير من الكتابات العربية استخدام الفاصلة للفصل بين الجمل وعدم استخدام النقطة إلا في نهاية الفقرة. مثل ذلك يحد من قدرة الكاتب على تقسيم جمله بالأسلوب الذي يساعد القارىء على فهم المعنى المقصود.

٣ ــ وبالإضافة إلى ماسبق يجب ملاحظة ألا يتجاوز طول الجملة الواحدة ذات المعنى المحدد الثلاثين كلمة. فقد وجد أن الجمل الأطول من ذلك يمكن أن تشكل اختناقاً في الفهم. وفي الوقت نفسه يجب تجنب الجمل القصيرة جداً والتى لا تتجاوز الخمس كلمات، فنادراً ماتستطيع مثل هذه الجمل التعبير عن معنى محدد. ولابد أيضاً من البعد عن الجمل التي تُكرر في معناها جملاً سبقتها ضمن الفقرة الواحدة.

وأخيراً وبعد ما سبق من ملاحظات حول تكوين الجمل، هناك بعض الأمور العامة التى يساعد أخذها بعين الاعتبار على إخراج كتابة أفضل للبحث العلمي، ومن أهم هذه الأمور مايلي:

١ ــ عند استخدام الأشكال والصور والجداول والخطوط البيانية في وضع النتائج، لابد من وصف هذه الأشكال بجمل مختصرة إلى جانب كل منها، بحيث تعطي النظرة إليها توضيحاً عاماً لما تعنيه. وبالطبع فإنّ هذا لا يغني عن شرحها أيضاً بالتفصيل ضمن النص المكتوب.

٢ ــ عند استخدام بعض مصطلحات ورموز علمية غير مألوفة أو غير واضحة للقارىء، يمكن إعطاء تفسير لها بطريقتين. وتشمل الطريقة الأولى حصر جميع المصطلحات والرموز إلى جانب معانيها في قائمة تلي ملخص البحث مباشرة. أما الطريقة الثانية فتقضي بضرورة توضيح كل رمز أو مصطلح عند وروده للمرة الأولى.

٣ ــ يجب اجراء عدة مراجعات للنص أثناء الكتابة. ومن المفيد في كل مراجعة أن يُقرأ النص بصوت عال، فمثل هذه القراءة تكشف عيوب الكتابة من حيث قواعد اللغة ووضوح المعنى وطول الجمل واستخدام اشارات الفصل وتكرار الكلمات.

٤ ــ من المفيد بعد اتمام كتابة البحث الابتعاد عنه عدة أيام ثم إعادة مراجعته ككل بحيث يضع الكاتب نفسه مكان القارىء المتوقع. فمثل هذه المراجعة النهائية تكشف المزيد من العيوب التى لابد للكاتب من أن يعمل على تصحيحها كي يخرج النص قليل الثغرات والاخطاء.

٥ ــ يفضل إجراء كتابة مسودة البحث بقلم رصاص على أن يترك بين كل سطر ين سطر فارغ وعلى أن يترك الوجه الخلفي لكل ورقة فارغاً أيضاً. فمثل ذلك يسهل إجراء مايقتضى من تعديل أثناء المراجعات المتكررة.

والآن وبعد كل ما تقدم من ملاحظات ومناقشات فقد يجد قارىء هذه المقالة نفسه متفقاً مع بعض نقاطها وربما مختلفاً مع بعضها الآخر. وقد يجد أيضاً أن بعضها بديهي أو أنه معروف. ولكن من المرجح أن تكون حصيلة وضع كل ما سبق معاً قد أثارت انتباه القارىء إلى بعض ما يجب الاهتمام به، عندما يتوجه إلى كتابة بحوثه العلمية. وإذا كان مثل ذلك قد حدث، فإنّ هدف المقالة يكون قد تحقق.

المخطوطات

مقتل سعيد بن جبير
فصل من مخطوطة كتاب المحن لأبي العرب التميمي

يحي الجبوري

● دكتوراه في الأدب العربي، عمل في التدريس في جامعة بغداد، ويعمل حالياً أستاذاً في كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية بجامعة قطر، كما يرأس تحرير حولية كلية الانسانيات.

المؤلـــف :

مؤلف الكتاب أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي، من أسرة عربية عريقة بالقيروان، كان جده تمام بن تميم التميمي من أمراء افريقية كان أميرا على تونس لمحمد بن مقاتل العكي، وكان العكي قد ولي أفريقية سنة ١٨١هـ ولاه هارون الرشيد، ولم يكن محمود السيرة فاضطرب أمره واختلف عليه جنده، ومن قبيح سيرته أنه ضرب البهلول بن راشد العابد الورع بالسياط ظلما وحبسه فكان ذلك سبب موته، وقد اقتطع أرزاق الجند وأساء السيرة فيهم وفي الرعية فثار عليه الناس وخرج عليه تمام بن تميم التميمي جد أبي العرب سنة ١٨٣هـ.

زحف تمام في جماعة من القواد والأجناد من أهل الشام وخراسان من تونس متوجها إلى القيروان، فخرج إليه العكي فتقاتلا فانهزم العكي ورجع إلى القيروان فتحصن في داره، وأقبل تمام فنزل بعسكره خلف باب أبي الربيع فلما أصبح فتحت له الأبواب فدخل القيروان في أواخر رمضان سنة ١٨٣هـ، ثم أمّن العكي على دمه وأهله وماله وأخرجه من القيروان متوجها إلى طرابلس، ثم ولي تمام أمر أفريقية وكان ثائرا متغلبا من غير عهد من الخليفة هارون الرشيد. ثم نهض إليه إبراهيم بن الأغلب من الزاب وكان أميرا عليه، فلما علم تمام بمسير إبراهيم سار إلى تونس فدخل ابن الأغلب القيروان وأعاد العكي إليها رغم كره الناس له، وأقبل تمام من تونس بعسكر عظيم والتقى بابراهيم ومن معه فتقاتلوا قتالا شديدا فانهزم تمام ورجع إلى تونس، ثم طلب تمام الأمان فأمنه ابراهيم وأقبل به إلى القيروان ثم سيره إلى بغداد فمات في السجن(١).

أما والد أبي العرب أحمد بن تميم فقد حرص على طلب العلم فحضر دروس العلماء وسمع من شجرة وسليمان بن عمران و بكر بن حماد(٢).

أما أبو العرب فقد كان منذ صغره محبا للعلم شغوفا به على الرغم من رغبة أسرته في تنشئته نشأة الامراء والسلاطين، فكان أبو العرب عازفا عن الترف كارها لحياة العِلْية منذ الصغر، وفي الرواية التي ساقها ابن الدباغ على لسان أبي العرب بيان لمدى تعلقه بالعلم واقباله على الدرس وحرصه على ملازمة العلماء قال(٣):

«أتيت يوما وأنا حدث إلى دار محمد بن يحيى بن السلام فرأيت عنده الطلبة ورأيت أمرا أعجبني وركبت إليه نفسي، فعاودت الموضع وكنت آتي إليه والطرطور على رأسي ونعلي أحمر في رجلي في زى أبناء السلاطين، وكان الطلبة ينقبضون مني من أجل ذلك الزى، فقال لي رجل يوما بجواري لا تتزيَّ بهذا الزى فليس هو زى طلبة العلم وأهله وزهدني، فرجعت إلى أمي فقلت: نلبس الرداء وثيابا تشاكل لباس أهل العلم والتجار، فأبت عليّ وقالت: إنما تكون مثل آبائك وأعمامك، فاحتلت حتى اشتريت ثيابا وجعلتها عند صباغ في باب أبي الربيع، فكنت إذا أتيت من القصر القديم أتيت بذلك الزى الذى تحب أمي ووالدي، فاذا وصلت إلى باب أبي الربيع ودخلت حانوت الصباغ خلعتها ولبست الثياب الأخر، فكنت كلما ترددت فعلت ذلك. ثم قال لي رجل من أصحابي: أراك تأتي هذا المجلس فتسمع فيه العلم ولا تكتب شيئا مما تسمع يكون عندك، ما هذا حقيقة طالب العلم، فقلت له: والدي راغب عن هذا وعن المعونة عليه وما مكنني من شيء أشتري به الرق، فقال لي: أنا أعطيك جلدا تكتب لنفسك وتكتب لي جلدا عوضا منه، فرضيت له بذلك، فكنت أكتب لنفسي ما شئت وأكتب له في جلوده ما يحب حتى يسر الله عز وجل ما اشتريت به الرق وما قويت به على طلب العلم».

أخذ أبو العرب العلم عن جلة من علماء عصره ومن جماعة من أصحاب سحنون وأكثر رجال افريقية مثل يحيى بن عمر وأبي داود العطار وعيسى بن مسكين ومحمد بن مسكين وعبد الله بن أحمد بن طالب القاضي وعبد الجبار بن خالد السرى وابن عياش وسهل الفرياني وحماس بن مروان وحبيب بن نصر وجبلة بن حمود الصدفي وأحمد بن أبي سليمان وسعيد بن اسحاق وسليمان بن سالم وسعيد بن محمد بن الحداد وأحمد بن معتب وحمديس القطان وغيرهم كثير، فقد بلغت عدة شيوخه مائة وخمسة وعشرين شيخا(٤). وأخذ عن أبي العرب جمهرة من التلاميذ منهم: أبو محمد ابن أبي زيد وأبو الحسن بن زياد والحسن بن سعيد الخراط والحسن بن مسعود وابناه وزياد السروى ومحمد بن حسن الزويلي ومحمد بن الحارث الخشني، وإبنا أبي العرب أبو العباس تمام وأبو جعفر تميم، وغيرهم كثير وصفهم ابن الدباغ بقوله: (وأمم لا يحصون)(٥).

كان أبو العرب من جلة علماء عصره، ذكر القاضي عياض في الفقهاء المالكية فقال: كان حافظا لمذهب مالك مفتيا عالما غلب عليه علم الحديث والرجال(٦) وقد أثنى العلماء والمؤلفون عليه وأشادوا بعلمه وفضله وتواضعه وايثاره وتآليفه فقالوا:(٧) «كان فقيها صالحا متواضعا كثير الايثار من عسر، ثقة ثبتا، صحيح



التقييد ضابط الرواية كثير التآليف والمشايخ»، وقالوا: «كان أبو العرب إمام عصره وواحد دهره، دأب في طلب العلم و برع فيه براعة فاق فيه من تقدمه من رجال افريقية، وهو رافع لواء التاريخ بافريقية مع تقدمه في علم الأثر و بصره بالفقه ومعاني الحديث»(٨)، وكان لشدة اقباله على العلم أن نسخ بخط يده ثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب.

شهد أبو العرب الاضطرابات السياسية التي نشأت بسبب قيام الدولة الشيعية في افريقية، والتعصب المذهبي الذى ساد بحيث أدى إلى قتل العلماء وترويعهم وحينما ثار أبويزيد صاحب الحمار على العبيديين ناصره علماء القيروان ومنهم أن حققوا بعض التقدم تعرضت صفوفهم إلى التفرق على أثر تخلي أبي يزيد عنهم. وكان لأبي العرب في هذه الآونة مكانة كبيرة ومنزلة مكينة توضحها الرواية التالية التي ساقها ابن الدباغ:(٩) «قال أبو

الحسن بن سعيد الخراط الفقيه: لما بلغنى أن الفقهاء قد تجمعوا في الجامع في تدبير الخروج إلى المهدية في أيام أبي يز يد، بكرت إلى الجامع فأصبت أبا العرب ابن تميم وأبا الفضل المحسبى القطان وأبا اسحاق السبائى ومروان بن نصر وغيرهم جلوسا عند المنبر، فتكلموا في الخروج على بنى عبيد، فاختلفوا وتعاظروا، حتى قال أبو العرب بن تميم: اسكتوا، فسكت الناس، فقال: حدثنى عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله الجرجاني باسناده إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يكون آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة فاذا ادركتموهم فاقتلوهم فانهم كفار)، فلما أتم الحديث كبّر الناس وعلت اصواتهم في الجامع حتى ارتج حتى خرجوا لقتال بنى عبيد. وهذا يدلك على كمال عدالته وصحة نقله، ولولا ذلك ما اتفقوا بعد الاختلاف على الخروج على من



ذكر ولم يتخلف من الفقهاء والصلحاء أحد». ولما خرج أبو العرب لقتال العبيدين سمع الناس منه كتابى الامامة لمحمد بن سحنون، فكان يقول «والله لسماع هذين الكتابين عليّ هنا أفضل من كل ما كتبت» قال ابن الدباغ: «يريد لكثرة من سمعه من الخلق الذين اجتمعوا إليه في سماع ذلك من علماء وغيرهم»(١٠).

وكان أبو العرب قد حبس وقيد مع ابنه وامتحن بسبب بنى الأغلب(١١). وكذلك قيل أن أبا العرب شاعر ونقلت عنه بعض الأبيات والقطع التى هي مجرد نظم مما يعرف بشعر العلماء، فمن ذلك قوله:(١٢).

ضعفت حيلتي وقل اصطباري ... والى الله اشكو كل ما بي
وهن العظم بعد ما كان صُلْبا ... وفقدت الشباب أي شباب

وقوله: (١٣)

إذا انقطع الصديق بغير عذر ... فزاد الله حبله انقطاعا
الى يوم التناد بلا رجوع ... وان رام الرجوع فلا استطاعا
إذا ولّى أخوك فولّ عنه ... وزده وراءه ما ولاك باعا
وناد وراءه يا ربّ نعّم ... ولا تجعل لفرقته اجتماعا

وألف أبو العرب كتبا كثيرة مفيدة وكان موفقا في تآليفه فن كتبه:(١٤)

١ ــ كتاب طبقات علماء افريقية(١٥)
٢ ــ كتاب عباد افريقية.
٣ ــ كتاب سند حديث مالك.
٤ ــ كتاب التاريخ (في سبعة عشر جزءا)(١٦)
٥ ــ كتاب مناقب تميم.



٦ ــ كتاب موت العلماء (في جزئين)
٧ ــ كتاب المحن (١٧)
٨ ــ كتاب فضائل مالك.
٩ ــ كتاب فضائل سحنون(١٨)
١٠ ــ كتاب الطهارة والوضوء(١٩)
١١ ــ كتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر(٢٠)
١٢ ــ كتاب في الصلاة.
١٣ ــ كتاب عوالى حديثة(٢١)
١٤ ــ كتاب ثقات المحدثين وضعافهم

وكانت وفاة أبى العرب في ذى القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ٣٣٣هـ (٢٢) ودفن بباب سلم عند قبر شقران بالقيروان، صلى عليه اسحاق بن أبى الوليد صاحب الصلاة والخطبة في جمع عظيم، وقيل إن قبره مزار(٢٣).

كتاب المحن ومنهج المؤلف :

يتناول الكتاب موضوع المحن كما جاءت في الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين، ثم يعرض لما نزل بالصحابة والزهاد والفقهاء والعباد والقادة والولاة والمحدثين والقراء من محن، مثل الترويع والسجن والتعذيب والتغريب والقتل والصلب والقطع وغير ذلك. و يتناول مقاتل الخلفاء: عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب بالتفصيل، و يتبع التسلسل التاريخي في ذكر من نزلت بهم المحن منذ عهد الصحابة حتى زمن المتوكل العباسي، و يتناول بالتفصيل محنة القول بخلق القرآن وما نزل بالامام أحمد بن حنبل والفقهاء الذين لم يقولوا بخلق القرآن من بلاء وشدة وضرب وحبس وتعذيب وقتل، و يضيف الكتاب إلى المعلومات التاريخية والتراجم تفصيلا تخلُّ به المصادر، وقد يجيء بمعلومات جديدة ينفرد بها.

يحدد المؤلف منهجه في أول الكتاب بعد أن يذكر الأحاديث النبوية التي وردت في ذكر المحنة والبلاء والعذاب والفتن، ثم يذكر بمناسبة احاديث المحن والقتل، الفتنة التي أدت إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفان، ثم يعود إليها ثانية بالتفصيل بعد ذكر مقتل عمر بن الخطاب، قلت يحدد المؤلف منهجه بعد المقدمة العامة في المحن فيقول (الورقة ٥ ب):

«وأنا ذاكر بعد هذا من ابتلى بأن قتل أو حبس أو ضرب أو تهدد في صدر هذه الأمة وخيارهم، أبدأ في ذلك بمن قتل من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عصرنا هذا، بالرواية عن أهل العلم الذين سمعت منهم، وبالله أستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل». وبعد ذلك يذكر مقتل عمر بن الخطاب، حتى إذا بلغ الجزء الثالث من الكتاب (الورقة ٧٥ ب) يعود فيبين طبيعة الموضوعات التي تتناولها الفصول التي تليه، فيقول: «ذكر سبب قتل عبد الله بن عمر بن الخطاب رحمه الله، ومن قتل من الصحابة والتابعين، وذكر من امتحن ومن ضرب ومن حبس من علماء الناس وأشرافهم وخيارهم، تأليف أبي العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي».

والقاعدة العامة لدى المؤلف، أن يذكر الروايات مسندة وموثقة على وجه التفصيل، وقد ينبه إذا أراد الاختصار إلى ذلك، ففي ذكر مقتل عبد الله بن الزبير (الورقة ٦٥ ب)، ينص على أنه يذكر ذلك «على الاختصار منا لذلك وترك التطويل».

وقد يلجأ المؤلف أحيانا إلى ذكر ملخص للحالات التي مرت في الفصول السابقة فيذكر في الورقة (١٧٥ ب) من ضرب من أئمة الدين وخيار الأمة من أهل مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، ويمضي في تعداد من ضرب من أهل المدينة ممن ذكر خبرهم مفصلا قبل فيقول: «ضرب سعيد بن المسيب القرشي على البيعة في أيام عبد الله بن الزبير، مرة على البيعة وأخرى في أيام عبد الملك بن مروان إذا أراد أن يبايع لابنه الوليد، وقد ذكرنا قصته كلها» «ثم يذكر محن بقية الفقهاء الذين ضربوا وسبب ضربهم متنقلا من أهل المدينة إلى أهل الكوفة إلى أهل البصرة إلى أهل الشام ثم اليمن وغيرها من البلدان، وقد يذكر من سبق ذكره أو من لم يسبق ذكره في الكتاب.

و يعتمد المؤلف على الرواية و يعنى عناية كبيرة بالسند، وقد يذكر الخبر من طريقين أو أكثر و يوضح التباين بين رواية وأخرى إذا كان بينهما زيادة أو اختلاف أو فروق، وقد يروى الخبر الوارد من أسانيد عدة فيوحد بين الروايات، يقول في ذكر من قتل من الصحابة والتابعين ووجوه الناس يوم الحرة، بعد أن يذكر الأسانيد ومن حدثه بخبر هذا اليوم بما يزيد عن أربعة عشر راويا، يقول (الورقة ٥١ ب): «فكل قد حدثني بهذا الحديث مطابقة و بعضهم أوعى له من بعض، وغير هؤلاء الذين سميت كل قد حدثني أيضا وزاد بعضهم على بعض فكتبت كل ما حدثوني».

ولم يكن اعتماد المؤلف على الرواية فقط، بل كان يرجع إلى الكتب و ينقل منها، وكان أمينا في الاشارة إلى تلك الكتب التي يرجع إليها، أو إذا كان محدثة استقى من الكتب يذكر ذلك و يبين نسبة الكتاب إلى صاحبه يقول (في الورقة ٥٨ ب) في تسمية من قتل بالحرة من قريش والأنصار وغيرهم: «قال أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم : قرأت على أبي عثمان أحمد بن عثمان المتوكل العماني عن بكر بن عبد الوهاب عن محمد بن عمر الوقدي، قال : قرأت كتاب إبراهيم بن اسماعيل بن حبيبة تسمية من قتل بالحرة، وأخبرني إبراهيم أن الكتاب كتاب داود بن الحصين مولى آل عثمان بن عفان».

وفي خبر ضرب علي بن عبد الله بن عباس ينقل المؤلف من كتاب و يذكر الرواية وما فيها من سند (الورقة ١١٥ أ): «قال أبو العرب: قرأت في كتاب، قال حدثنا سليمان بن عاصم قال: حدثنا يزيد بن أبي داود قال: أخذ علي بن عبد الله بن عباس فضرب..». وفي خبر محمد بن الحنفية يرجع المؤلف إلى كتاب

فيقول (الورقة ١٢٩ ب): «قال محمد بن أحمد بن تميم: قرأت في بعض الكتب ان عبد الله بن الزبير حبس محمد بن الحنفية في خمسة عشر من بني هاشم...». وهكذا يتضح منهج المؤلف من خلال كتابه وانه منهج يقوم على تحرى الرواية وصحة الاسناد والأمانة في ذكر الأخبار والرجوع إلى الكتب واسناد كل خبر إلى قائله.

ذكر قتل سعيد بن جبير رحمه الله

قال أبو العرب: حدثني محمد بن عبيد الأسلمي الأندلسي قال: حدثنا أبو عبد الرحمن بن أحمد بن حنبل قال: حدثني عبد الرازق عن معمر قال: سمعت الزهري(٢٤) يقول: حج عمر بن عبد العزيز وأنا معه، فجاءني سعيد بن جبير ليلا وهو في خوفه، فدخل منزلي فقال: هل تخاف على صاحبك، فقلت: لا بل آمن. حدثني مالك بن عيسى قال: حدثنا علي بن الحسن المعروف بأبي كعب قال: حدثنا حسين بن حسين قال: حدثنا أبو عبد الله الطنافسي عن الفضل «٧٩ ب» بن المعلى قال: حدثني اسماعيل بن واسط قال: دعاني خالد بن عبد الله القسري(٢٥) وهو يومئذ أمير على مكة(٢٦)، فقال: يا ابن واسط، انطلق بهذا الرجل إلى الحجاج بن يوسف، فإن عبد الملك بن مروان بعث إليّ أن أبعث به إليه، قال: خرج إليّ سعيد بن جبير، وهو أحسن الناس وجها، وأفصحهم لسانا، له وفرة طى شحمة أذنيه، لم أرفي مثل هيئته أحدا من أهل زماننا. قال: فأخذته ووثقته في الحديد، قال: وانطلقت به حتى نزلت ماء لبنى أسد، فقال: يا ابن واسط، بهذا الماء جماعة من قومي فان رأيت أن تطلق عني هذا الحديد فعلت، فأخذته فأطلقت عنه حديده فانطلق فقال: لك الله عليّ أن ارجع إليك. فانطلق، فجعلت أدعو الله أقول: اللهم لا يرجع إليّ، ويحك يا نفس، تذهبين بخير الناس إلى شر الناس، فوالله ما لبث إلا قليلا حتى عاد، فتركته مطلقا من حديده، حتى دنونا قريبا من واسط، فلما نظر إلى الخضراء قال: يا ابن واسط، ما هذه الخضراء، قال قلت: قبة الحجاج، فاسترجع فقال: ما أظن الموت إلا أن أتى، قلت: أو يدفع الله. قال: فأدخلته على الحجاج وقد أوثقته قبل ذلك بالحديد، فلما نظر إليه الحجاج استوى جالسا، وكان متكئا وقال: ايها عدو الله، خرجت علينا مع عبد الرحمن «٨٠ أ» بن الأشعث، قال سعيد: ما فعلت، ولكن أتيت بيت الله الحرام الذى من دخله كان آمنا فأخذت وأنا متعلق بأستار الكعبة، قال الحجاج ما اسمك، قال: اسمى سعيد بن جبير، قال، الشقى بن كسير، قال سعيد: أمى أعلم باسمى قال الحجاج: شقيت وشقيت أمك. قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك، قال الحجاج: لأوردنك حياض الموت، قال سعيد: أصابت أمى اسمى حقا، قال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى، قال سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك الها، لا إله إلا الله، قال الحجاج: ياسعيد، ما علمك بمحمد صلى الله عليه وسلم، قال: نبى ختم الله به الرسل، وصدق به الوحى، إمام الهدى ونبى الرحمة صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته، قال الحجاج: ياسعيد، ما قولك في الخلفاء، قال سعيد: إنما استحفظت أمر بنىّ وخيرهم أرضاهم لخالقه، قال الحجاج: ياسعيد، أى رجل أنا، قال سعيد: ياحجاج يوم القيامة تخبر أى رجل أنت إذا وقفت بين يديه تبارك وتعالى، ثم سئلت عن عملك، قال الحجاج: فأى رجل أنت، قال سعيد: فأنا أهون على الله من أن أطلع على غيبه، قال الحجاج: ياسعيد، مالك لم تضحك قط، قال: وكيف يضحك رجل مخلوق من طين، والطين تأكله النار ولايدرى إلى ما يصير «٨٠ ب» إلى جنة أو إلى نار، فإن كان مصيره إلى الجنة فقد فاز، وإن كان مصيره إلى النار فقد خسر خسرانا مبينا، ثم هو يوم القيامة يحاسب، قال الحجاج: يا سعيد، أما رأيت لهوا قط، قال سعيد: ما أعلمه. فدعا الحجاج بالعود والناى فضرب بين يديه بهما، فلما سمع بالناى بكى بكاء شديدا ثم قال: يا حجاج، والله لاشبع بطنى أبدا ما بقيت، ولا أزال هكذا لما رأيت في مجلسك هذا، أما هذه النافخة فذكرتني قول الله عز وجل: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض»(٢٧)، «وكل أتوه داخرين»(٢٨)، وأما هذه الأوتار (ف) قطعت من نفس، ثم هى يوم القيامة تبعث معك، وأما هذه الخشبة فنبات أرض قطعت من غير الحق، ذكرتني يا حجاج بكاء طويلا، قال الحجاج: ياسعيد، ما قولك في على بن أبى طالب، أفي الجنة هو أم في النار، قال سعيد: لو أدخلت الجنة وفيها أهلها، والنار وفيها أهلها، لعلمت ياحجاج، فما سؤالك عن علم الغيب ياحجاج وقد حجب عنك، وقد امتحن الله قلبه بالايمان.(٢٩) قال الحجاج: الويل لك منى يا سعيد، قال سعيد: الويل لمن أبعد عن الجنة وأدخل النار، قال الحجاج: إنى قاتلك، قال سعيد: إذا أخاصمك، قال الحجاج: أخصمك، قال سعيد: هيهات يا حجاج القضاء يومئذ إلى غيرك، قد فرغ الله من(٣٠) وكتب أجلى «٨١ أ» ومنقطع أثرى، قال: فأمر به للقتل، فقال

سعيد: استودعك هذه الشهادة ياحجاج فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله، واستودعك هذه الشهادة حتى ألقاك فأخاصمك بين يدى الله، فأمر به الحجاج إلى القتل، فجعل يضحك، قالوا: أصلح الله الأمير قد ضحك، قال: ردوه، ما أضحكك يا سعيد، قال: يا حجاج ضحكت من العجب، قال: وما ذلك العجب قال: عجبت من تجرئك على الله وحلمه عنك، فإن تكن عافية فمن الله وإياه أسأل تمام العافية، وأما أنت يا حجاج فلا براءة لك ولا عذر، لو طالت حياتى لكان مصيرى يوما إلى الفناء، فاذكر يا حجاج يوم الأبد والدهر الفانى الذى لا ينجو منه أحد سالما. قال: فأمر به ليقتل، قال سعيد: «إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين»(٣١). قال الحجاج: حولوا وجهه عن القبلة، قال سعيد: «فأينما تولوا فثم وجه الله، إن الله واسع عليم»(٣٢)، قال الحجاج: يا غلام، قم إليه فاضرب به الأرض ضربة ثم أعل صدره لتذبحه، فلما وضع السيف على حلقه قال سعيد: بسم الله و بالله وعلى ملة الله وملة رسوله.

قال : و بلغنى عن أبى الربيع الزهرى قال: حدثنا خلف بن خليفة قال: أخبرني بواب الحجاج قال: رأيت رأس سعيد بن جبير «٨١ ب» بعد ما وقع إلى الأرض يقول: لا إله إلا الله. قال: وأخبرنى عيسى بن مسكين قال: حدثنا أبوبكر بن عبد الله البغدادى بالاسكندرية قال: حدثنا أحمد بن الحسن البصرى بانطاكية(٣٣) سنة خمس وتسعين ومائة، قال: حدثنا بشر بن إبراهيم أبو عمرو قال: حدثنا محمد بن ذكوان وغيره ممن لا أتهم، أن الحجاج بعث إلى سعيد بن جبير فأصابه الرسول بمكة، فلما سار به الرسول ثلاثة أيام رآه الرسول يصوم النهار و يقوم الليل، فقال له الرسول: والله إنى لأعلم أنى إنما أذهب بك إلى القتل، فاذهب أى الطريق شئت، فقال سعيد: إنه سيبلغ الحجاج أنه أخذتنى، فان خليت عنى خفت أن يقتلك، ولكن إذهب إليه، فلما دخل عليه قال له الحجاج: ما اسمك، قال: سعيد بن جبير، قال: كذبت، أنت شقى بن كسير، قال: أمى سمتنى، قال: شقيت وشقيت أمك، قال: الغيب يعلمه غيرك، قال: أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى، قال: لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلها غيرك، قال: ما تقول في المصطفي رسول الله(٣٤)، قال: خير الباقين وخير الماضين، قال: ما تقول في أبى بكر، قال: ثانى اثنين إذ هما في الغار، أعز الله به الدين وجمع به بعد الفرقة، قال: ما تقول في عمر، قال: الفاروق وخيرة الله في خلقه، قال: ما تقول في عثمان، قال: المجهز جيش العسرة المشترى بيتا في الجنة، قال: ما تقول في علي، قال: من أولهم اسلاما وأقدمهم «٨٢ أ» هجرة وأعظمهم فضلا(٣٥)، زوّج منه رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب بناته إليه، قال: ما تقول في معاوية، قال: كاتب رسول الله، قال: ما تقول في عبد الملك، قال: إن يكن محسنا فأتم الله احسانه، وإن يكن مسيئا فلن يعجز الله، قال: ما تقول في الخلفاء منذ كان النبى صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، قال: سيجزون بأعمالهم فمسرور ومثبور لست عليهم بوكيل، قال: ماتقول فيّ، قال: أنت ونفسك أعلم، قال: بث فيّ علمك، قال: إذا أسوؤك ولا أسرك، قال: فبث، قال: قد ظهر منك جور في حكم الله وجرأة على معاصى الله، قال: ذمهم أو أمدحهم، قال: إنما استحفظت أمر نفسي، قال: فأى رجل أنا، قال: يوم القيامة تخبر، قال: فأيهم أحب اليك، قال: أرضاهم لخالقه، قال: وأيهم أرضاهم لخالقه، قال: اتبعهم لأمره وأعلمهم بطاعته، قال: والله لأقطعنّك أعضاء، قال: إذاتفسد على دنياي وأفسد عليك آخرتك والقصاص أمامك، قال: كيف ترى ما نجمع لأمير المؤمنين من الأموال، قال: لم أرمنها شيئا، قال: فأمر بالأموال فنثرت بين يديه، قال: إن حملتها حتى تشترى لصاحبك الأمان يوم القيامة فهذا صالح، الا فقد أوقرت ظهرك واشتد حسابه، قال: كيف تراه، قال: لا يصلح إلا طيب، قال: أو ليس هوبطيب، قال: برأيك جمعته، قال: أتحب أنه «٨٢ ب» لك، قال: لا أحب إلا ما يحسب الله، قال: الويل لك، قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار، قال: كيف ترى ما نعد من هذه المعازف والمزامير والطبول، فضربت بين يديه، فأقبل سعيد يبكى، وقال: تالله ما رأيت رجلا أشد خلافا منك، ضربت بين يديك المعازف والطبول فأقبلت تبكى، قال: يا حجاج، وكيف لا نبكى من شيء له نظائر من أهوال يوم القيامة، منها نفخة الصعقة، قال: اذهبوا به فاقتلوه، قال: إنى أشهدك يا حجاج أنى أشهد ان لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله واستحفظكها حتى ألقاك بها يوم القيامة، فلما ذهبوا به تبسم سعيد بن جبير، فقال: ردوه، فلما ردوه قال: مم ضحكت، قال: تعجبت من جرأتك على الله وحلم الله عنك، قال: اسحبوه. فلما سحبوه قال: «اني وَجَّهْتُ وَجْهى للذي فَطَر السَّمواتِ والأرضَ حَنيفاً وما أنا من المُشرِكينَ»(٣٦). قال: اصرفوا وجهه عن القبلة، قال: «فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله

واسع عليم»(٣٧)، قال: كبوه لوجهه عدو الله، ما أنزعه لأى القرآن، فقال: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى»(٣٨). فبلغ ذلك الحسن البصرى فقال: اللهم قاصم الجبابرة اقصم الحجاج. فما بقى بعد ذلك أياما حتى وقع في جوفه الدود وأصابه الكزاز(٣٩).

وأخبرنى أحمد بن مغيث عن أبى الحسن أحمد بن عبد الله بن على الكوفي قال: قتل سعيد بن جبير «٨٣ أ» (وهو)(٤٠) ابن تسع وخمسين سنة، قال أبو الحسن: وسعيد بن جبير كوفى تابعى ثقة، مولى لبنى أسد، وروى عن ابن عباس وابن عمر، وعن أنس بن مالك، قال: وكان سعيد بن جبير يصلى في رمضان ليلة يقرأ فيها قراءة زيد، وليلة يقرأ فيها بقراءة أبى بن كعب.

قال : وأخبرنى عبد الله بن الوليد قال: حدثنى اسماعيل بن نافع عن حبيب عن غزوان البجلى قال: حدثنا أبو مقاتل السمرقندى عن عون: أن الحجاج بن يوسف لما ذكر عنده سعيد بن جبير أرسل إليه قائدا(٤١) من أجل أهل الشام، من خاصة أصحابه يسمى المتلمس بن الأحوص الثقفى معه عشرون(٤٢) رجلا من ثقات أصحابه فأتوا السدة، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعة، فأتوه فسألوه عنه، فقال الراهب: صفوه لى، فوصفوه فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه في الموضع الذى وصف لهم الراهب ساجدا يبكي بأعلى صوته، فدنوا منه، فسلموا عليه، فرفع رأسه، فأتم صلاته ثم رد عليهم السلام، فقالوا: إنّا رسل الحجاج إليك فأجبه، قال: ولابد من الاجابة، قالوا: لابد، فحمد الله كثيرا وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قام فمشى معهم حتى انتهى إلى دير راهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان، أصبتم صاحبكم، قالوا: نعم، ياراهب أطال الله بقاءك، فقال لهم الراهب: اصعدوا الدير، فان اللبوة «٨٣ ب» والأسد باديان حول الدير(٤٣)، فأبى سعيد من دخول الدير، قالوا: ما نراك ياسعيد إلا تريد الهرب منا، فقال: لا، ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا، قالوا: فانا لا ندعك، فان السباع تقتلك، قال سعيد: لا ضير عليكم، إن معى ربى سيصرفها عنى ويجعلها حرسا حولى يحرسونى من كل سوء، قالوا: من الأنبياء أنت؟، قال: لا، ولكنى عبد من عبيد الله خاطىء مذنب، قال الراهب: فليعط(٤٤) ما أثق به، قال سعيد، إنى أعظِّم على الله العظيم الذى لا شريك له لا أبرح من مكانى حتى أصبح إن شاء الله، فرضى بذلك الراهب وقال لهم: اصعدوا وأوتروا القسى لتمنعوا السباع من هذا العبد الصالح، فانه كره الدخول علي لمكانكم، فلما دخلوا الدير وأوتروا القسى، إذا هم بلبوة قد أقبلت حتى دنت من سعيد بن جبير، فتحاكت به وتمسحت وربضت قريبا منه، وأقبل الأسد فصنع مثل ذلك وربض قريبا منه، فلما رأى الراهب ذلك نزل إليه فسأله عن شرائع دينه وعن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففسر ذلك له، فأسلم وحسن اسلامه، وأقبل القوم على سعيد بن جبير يعتذرون إليه و يقبلون يديه ورجليه، و يأخذون من التراب الذى وطئه من الأرض وصلى عليه، و يقولون: يا سعيد قد حلفنا بالطلاق والعتاق إن نحن عايناك لا ندخل إلى الحجاج إلا بشخصك، فمرنا بما شئت، فقال لهم: امضوا لأمركم فإنه لابد من «٨٤ أ» أمر الخالق ولا راد لقضائه. قال: فساروا به حتى بلغوا واسط(٤٥)، فقال سعيد: يا معشر الأخوة، قد تحرمت بكم وصحبتكم، ولست أشك في أن أجلى قد حضر، وأن مدتى قد انقضت، فدعونى الليلة آخذ أهبة الموت، واستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب القبر، وما يحثى عليّ من تراب، فاذا أصبحتم فالميعاد بينى و بينكم الموضع الذى تريدون، فقال بعضهم: بل لا نريد أثرا بعد عين، وقال بعضهم: يعطيكم ما أعطي الراهب، ويحكم أما لكم عبرة بالأسْد كيف تحاكتْ به، وكيف حرسته إلى الصباح، وقال بعضهم: هو عليّ أنا أدفعه إليكم إن شاء الله، فلما نظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه وشعث رأسه واغبر لونه لم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ لقوه وصحبوه، قالوا بجماعتهم: يا خير أهل الأرض ليت أنّا لم نتبعك ولم نسرح إليك، الويل لنا و يلا طويلا، كيف ابتلينا بك، فاعذرنا عند خالقك عند الحشر الأكبر فإنه القاضى الأكبر والعدل الذي لا يجوز. قال سعيد: ما اعذرنى لكم وأرضانى بما سبق من علم الله، فلما فرغوا من البكاء والمحادثة والكلام فيما بينهم قالوا: بالله يا سعيد ألا زودتنا من كلامك فانا لا نلقى مثلك أبدا، ففعل ذلك سعيد، فخلوا سبيله. فغسل مدرعته(٤٦) وكساءه، وحنط نفسه، فلما اشتد عمود الصبح جاءهم سعيد فقرع عليهم الباب، فقالوا: صاحبنا ورب الكعبه «٨٤ ب» فنزلوا فبكوا معه طويلا، ثم قام المتلمس الثقفي وآخر معه حتى دخلا على الحجاج فقال: أتيتمانى بسعيد بن جبير، قالا نعم، وعاينا منه العجب، فأصرف وجهه عنها وقال: ادخلاه عليَّ، فخرج المتلمس فقال: استودعك الله يا سعيد واقرأ عليك السلام، قال: فدخلوا به على الحجاج فقال: ما اسمك أيها الرجل، قال: سعيد بن جبير، فقال: بل أنت شقى بن كسير، قال: لأُبدِّلَنَّك نارا

تلظى، قال: لو علمت أن ذلك اليك لاتخذتك إلها، قال: فما قولك في محمد، قال: نبى الرحمه وامام الهدى، قال: ما تقول في علي بن أبى طالب أفى الجنة هو أم في النار، قال: لو أدخلت الجنة فرأيت أهلها عرفت من فيها، قال: ما تقول في الخلفاء، قال: لست عليهم بوكيل، قال: فأيهم أعجب إليك(٤٧) قال: أرضاهم للخالق، قال: فأيهم أرضى للخالق، قال: ذلك عند الذى يعلم سرهم ونجواهم، قال: أبيت أن تصدقني، قال: بل لم أحب أن أكذب، قال: هل رأيت يا سعيد ما جمعت لأمير المؤمنين، قال: لا، قال: فأمر باللؤلؤ والزبرجد والياقوت فنثر بين يدى سعيد، فقال سعيد، إن كنت جمعت هذا ليفتدى به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء مما جمعت للدنيا إلا ما زكا وطاب. ثم أمر بالعود والناى، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناى بكى سعيد، فقال: ما يبكيك هو اللهو، قال: بل هو الحزن، أما النفخة فقد ذكرتنى بيوم عظيم «٨٥ أ» «يوم ينفخ في الصور» إلى آخر الآية، وأما العود، فشجرة قطعت بغير حق، وأما الأوتار فأمعاء شاة تبعث بها يوم القيامة، قال الحجاج: الويل لك ياسعيد، قال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار، قال الحجاج: أتريد أن أعفو عنك، قال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة ولا عذر، قال: اقتلوه، قال سعيد: «وجّهتُ وجهى للذي فطرَ السموات والأرضَ حنيفا وما أنا من المشتركين»(٤٨) قال: اكبوه لوجهه، قال سعيد: «فأينما تولوا فثَمَّ وجهُ اللهِ»(٤٩)، قال: اكبوه لوجهه، قال سعيد: «منها خلقناكم وفيها نُعيدكم ومنها نُخْرجكم تارةً أخرى»(٥٠)، قال: فأمر بنطع فبسط وقال: اذبحوه، قال سعيد: إنى أشهدك يا حجاج أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فخذها منى تلقانى بها يوم القيامة، قال: فذبح على النطع. ودعا سعيد بن جبير من قبل أن يذبح فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى فلم يقتل بعده أحدا. و بلغنى أنه عاش ست عشرة(٥١) ليلة و وقعت الأكلة في بطنه (فدعا بطبيب)(٥٢) لينظر إليه، فلما نظر إليه دعا بلحم متين فعلق في خيط أسود فسرّحه في حلقه، ثم تركه ساعة، ثم استخرجه وقد لزق به الدود، فعلم أنه ليس بناج.

و بلغنا أنه كان ينادى في بقية حياته: مالي ولسعيد بن جبير، كلما أردت النوم أخذ برجلى «٨٥ ب». و بلغه أنه كان دعا عليه بالزمهرير، قال: فكانوا يجعلون حوله الكوانين قد ملئت جمرا(٥٣) مع ما كان قد دثروه. فما زال في عذابه ذلك، فأرسل في طلب الحسن(٥٤)، فأتاه، فاعتذر إليه وشكا ما نزل به، فقال له الحسن: قد نهيتك مرة بعد أخرى لا تتعرض للصالحين، ولا تكن منهم إلا بسبيل خير، فأبيت ولججت ليقضى الله أمرا كان مفعولا، فقد انتهى بك الكتاب أجله، ثم مات.

قال عبد الله بن الوليد: وحدثنى عبد الله بن محمد عن المقدام بن داود عن أبى صالح قال: قال الحجاج لسعيد بن جبير: لأعذبنك عذابا شديدا، فقال له سعيد: والله لقد عبدت الله عبادة حتى لأنت في عيني أصغر من الذباب، ولقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما أوذى نبى ولا صديق في الله إلا أذهب الله عنه ألما يجده)(٥٥). وأخبرنى عبد الله بن الوليد قال: حدثنى إبراهيم بن محمد عن ابن قتيبة قال: كان سعيد بن جبير مولى لبنى والبة من بنى أسد، يكنى أبا عبد الله، وكان أسود(٥٦)، وكان كاتبا لعبد الله بن عتبة، ثم كتب لأبى بردة(٥٧) وهو على القضاء و بيت المال، وخرج مع عبد الرحمن بن الأشعث بن قيس، فلما انهزم ابن الأشعث من دير الجماجم هرب سعيد إلى مكة، فأخذه خالد بن عبد الله القسرى(٥٨) وكان والى عبد الملك على مكة، فبعث به إلى الحجاج «٨٦ أ». قال: فحدثنى أبو الخطاب قال: حدثنا أبو داود عن عمارة بن زادان قال: حدثنا أبو الصهباء قال: قال الحجاج لسعيد بن جبير: اختر أى قتلة شئت، قال: بل أنت فاختر لنفسك، فان القصاص أمامك، وقال له(٥٨): ألم أقدم الكوفة وبها العرب فجعلتك اماما، قال: بلى، قال: ألم أولك(٦٠) القضاء فضج الناس وقالوا: لا يصلح القضاء إلا لعربى، فاستقضيت أبا بردة وأمرته أن لا يقطع أمرا دونك، قال: بلى، قال: أو ما جعلتك في سمّارى، قال: بلى، قال: أو ما أعطيتك من المال كذا وكذا تفرقه في ذوى الحاجة لم أسألك عن شيء منه، قال: بلى، قال: فما أخرجك، قال: بيعة كانت لابن الأشعث في عنقي، قال: فغضب الحجاج وقال: بيعة أمير المؤمنين عبد الملك قبل في عنقك، والله لأقتلنك. قال وقتله الحجاج وهو ابن سبع وأربعين سنة..(٦١) قال سعيد للقتال: سألتك بالله لا تقتلني حتى أتكلم بكلمتين، فقال له: تكلم بما شئت، فقال سعيد: اللهم ماعادانى إلا فيك، ولا أبغضنى إلا من أجلك، اللهم لاتحل له دمى ولا تمهله بعدى، فقدم فذبح. فما قتل حتى ضرب الحجاج الزمهرير في بطنه، فصاحوا خلوا سبيل الرجل، فخرج الناس فأصابوه قتيلا، فأخبروا الحجاج فنادى: دثرونى، فما انتفع بشيء، قال: ما أرى الدثار

ينفعني شيئا، عليّ بالنار، فأتوه«٨٦ ب» بالكوانين فجعلوا النار حوله من كل ناحية حتي احترقت ثيابه وهو في ذلك يصيح من شدة البرد، فتجرد وأقبل يصطلى حتى تفطر جسده ولم ينفعه شيئا، فلما عظم البلاء عليه قال: ائتوني بالحسن، فأتوه به فصاح الحجاج: يا أبا سعيد أدركني، مالي ولسعيد، فقال له الحسن: ما لسعيد ومالك ياحجاج لو تركت سعيدا لتركك الله، أما نهيتك ياحجاج أن لا تتعرض لأحد من أولياء الله، فلما نظر الحسن إلى ما نزل به من العذاب وضع يده على أم رأسه ثم صاح بأعلى صوته، ثم أقبل يبكي على نفسه، فقال له الحجاج: يا أبا سعيد أرسلت إليك أستغنيت بك وأنت تبكى على نفسك، فقال الحسن: أما أنت يا حجاج فقد عجل لك ما صنعت، وأما أنا فلا أدرى ما يصنع بى في أمرى، أيؤخرنى فيمن يؤخر ثم يعجل بى. ثم خرج عنه الحسن مغموما مكروبا خائفا وجلا على نفسه على مايصير إليه وقد نزل به عظيم. فأقام الحجاج معذبا لايكاد يموت ولا يحيا خمس عشرة ليلة[٦٢]، وقال الحجاج: ردوا على الحسن، فردوه، قال: فدخلت عليه وقد تغير لونه وغارت عيناه من السهر وقد احترقت ثيابه وتشقق جلده من حر النار وحوله تسعة كوانين، وكل ذلك لا يفارق الزمهرير جوفه، قال: فكلمنى وقد ضعف وبح صوته فأنشأ[٦٣] وهو يقول: يا الهى إن الناس يقولون«٨٧ أ»: أنك لا ترحمنى فارحمنى، ثم قال: ياحسن، لا أسألك أن تسأله أن يفرج عنى، ولكنى أسألك أن تسأله أن يقبض روحى ولا يطول عذابى فيفعل بى ما يشأ، فبكى الحسن بكاء شديدا واستحيا من الله أن يسأله فيه، فأذن الله بقبض روحه فقبض، والحسن واقف، فقال الحسن لأهله: خذوا في جهازه.

وقعد الحسن على بابه ينتظر جنازته، وأبى العابدون أن يأتيه واحد منهم ولا يحضروا له جنازة، لما كان أنزل بهم، وما كان فعل بالعابدين، فأقام عنده الحسن ينتظر جنازته فلم يحضره من علماء العراق غيره، فلما مضوا بالجنازة مضى معهم الحسن وصلى عليه وأقام عند جنازته حتى واراه بالتراب، ثم انصرف، فأتى الناس إلى دار الحسن وقالوا: يا أبا سعيد، رجل رمى البيت وقتل ابن الزبير، وقتل ابن عمر، وقتل العابدين، وآخر من قتل رأس الزاهدين في الدنيا سعيد بن جبير، فكيف رضيت أن تحضر جنازته فيقول الملوك: لو لم يكن الذى فعله الحجاج ليس لله رضا ما حضر الحسن جنازته ولا صلى عليه، فقد أهلكت العابدين آخر الدهر وأحللتهم لملوك الأرض، فما حملك على ما صنعت، قال لهم الحسن: إنى أدركت من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثلثمائة رجل، منهم سبعون بدر يا كلهم يأمرون أن نصلى على بار هذه الأمة وفاجرها، فان كان محسنا دعونا الله له بالز يادة«٨٧ ب» وإن كان مسيئا دعوت الله له بالمغفرة، هكذا أمروا ولست مجاوزا[٦٤] أمرهم، فانصرف الناس عنه، واستراح الناس من الحجاج بن يوسف، وكفى الله أمره، فكان فيما ابتلى به الحجاج أن كف الله الأذى عن علماء هذه الأمة وعبادها.

قال عبد الله : وحدثنى محمد بن سحنون أن الحجاج بن يوسف لما قبر كان على قبره حراس[٦٥]. يحرسونه، فلما أن ذهب من الليل بعضه إذا هم بحركة في قبره وحس جر السلاسل وصلصلتها، وقائل يقول: أعذب وأنا أقرأ القرآن، ولما أن كانت الليلة الثانية سمعوا في قبره مثل ذلك الوقت الذى سمعوا الليلة الأولى، فلما أصبحوا ....[٦٦] فقال: إذا كان في الليلة آتيكم حتى أسمع ما أسمعتم، قال: فأتاهم فاذا الحركة والحس كما ذكروا وكما سمعوا من قبل، فأقبل الظالم وهو يقول: ذاك ياعدو الله بتقصيرك وتفريطك في طاعة أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان[٦٧]، وكان صاحب الشرطة هذا من العتاة أيضا.

وقال أحمد بن محمد بن تميم: وقرأت في بعض الكتب بخط إبراهيم بن يزيد، وأنا أعرف خطه، أن الحجاج لما قتل سعيد بن جبير سال من دمه شيء كثير[٦٨] استنكره الحجاج وهاله لكثرته، فدعا البيادوق وكان متطببا، فقال: إنى أنكرت كثرة دمه، فم ذلك«٨٨ أ» قال: الصدق ينجينى، قال: نعم، قال: قتلته ونفسه مجتمعة غير هائب لما فعلت به، وغيره ممن قتلت قتلته وهو مفترق النفس هائب لك فيقل دمه لذلك.

وكان سفيان الثورى[٦٩] لايقدم أحدا على سعيد بن جبير في علمه، وكان معجبا به، وحدثنى إبراهيم بن عبد الجبار الدقاق قال: حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن أبى ربيعة قال: سمعت الحجاج بن يوسف يقول في خطبته: ويحكم أخليفة أحدكم في أهله أم[٧٠] رسوله إليهم، يريد بالخليفة عبد الملك بن مروان وبالرسول محمد صلى الله عليه وسلم. وحدثنى عمر بن يوسف ومحمد بن أسامة قالا: حدثنا على بن عبد العزيز قال: حدثنا اسحاق الطالقانى قال: حدثنا جرير عن مغيرة عن النزيع، شك على أن الحجاج قال في كلامه: ويحكم أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في

حاجته. قال: قلت: لله علي أن لا أصلي خلفك أبدا، ولئن وجدت قوما يقاتلونك لأقاتلنك. قال: فقاتل يوم الجماجم حتى قتل، قال: وحدثني ابن أسامة وعمر بن علي بن عبد العزيز بأسانيد اختصرتها عن الشعبي قال: كان الحجاج بن يوسف مؤمنا بالطاغوت كافرا بالرحمن. وقال مجاهد(٧١) فيه: الشيخ الكافر«٨٨ ب».

وحدثني عمر بن يوسف ومحمد بن أبي سلمة عن علي بن عبد العزيز قال: حدثنا اسحاق بن اسماعيل الطالقاني قال: حدثنا سفيان عن سالم بن أبي حفصة قال: شهدت الحجاج حين أتى بسعيد بن جبير فقال له: أنت الشقي بن كسير، قال: لا بل أنا سعيد بن جبير(٧٢)، قال: والله لأقتلنك، قال: إذا أنا كما سمتني أمي، إني أعوذ منك بما عاذت به مريم، قال: قالت: «إني أعوذُ بالرَّحمن منك إن كنتَ تقيًّا»(٧٣) قال: اضربوا عنقه، قال: دعني أصلي ركعتين، قال: ولوه قبلة النصارى، فقال سعيد: «فأينما تولوا فثمَّ وجهُ الله»(٧٤). وحدثنا يحيى بن عبد العزيز عن بقي بن مخلد عن أبي بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا شيخ لنا قال: أخبرنا الأعمش(٧٥) قال: قتل سعيد بن جبير وهو ابن ست وأربعين سنة، قال ابن أبي شيبة: قتل سعيد بن جبير سنة خمس وتسعين.

وحدثني عمر بن يوسف قال: حدثنا ابن وضاح قال: حدثنا أبو بكر قال: حدثنا زيد ابن الحباب قال: حدثنا عبد الرحمن بن ثوبان قال: أخبرني عمير بن هانيء(٧٦) قال: أخبرني منقذ حاجب الحجاج، أن الحجاج لما قتل سعيد بن جبير مكث ثلاث ليال لا ينام، يقول: مالي ولسعيد بن جبير.

الهوامش

(١) البيان المغرب ١/٨٩ — ٩٢ ط بروفنسال.
(٢) معالم الايمان ٣/٤٢ والديباج المذهب ص ٢٥٠.
(٣) معالم الايمان ٣/٤٥.
(٤) معالم الايمان ٣/٤٢ والمدارك ٢/٧٣ والديباج المذهب ص ٢٥٠.
(٥) معالم الايمان ٣/٤٢ والديباج ص ٢٥٠.
(٦) تذكرة الحفاظ ـ الذهبي ٣/٨٨٩.
(٧) معالم الايمان ٣/٤٢
(٨) معالم الايمان ٣/٤٣ والديباج المذهب ص ٢٥٠.
(٩) معالم الايمان ٣/٤٤.
(١٠) معالم الايمان ٣/٤٥.
(١١) الديباج المذهب ص ٢٥٠ ـ ٢٥١
(١٢) المصدر السابق ص ٢٥١
(١٣) معالم الايمان ٣/٤٣ ـ ٤٤ والديباج المذهب ص ٢٥١.
(١٤) معالم الايمان ٣/٤٣.
(١٥) في تذكرة الحفاظ ٣/٨٨٩ : طبقات أهل أفريقية، وقد يرد باسم طبقات رجال افريقية. طبع الكتاب محمد بن أبي شنب سنة ١٩١٤ ثم أعاد طبعه علي الشابي ونعيم حسن اليافي سنة ١٩٦٨ في تونس.
(١٦) في المعالم : سبعة عشر جزءا وفي الديباج المذهب ص ٢٥٠ سبعة اجزاء وفي تذكرة الحفاظ ٣/٨٨٩ في أحد عشر مجلدا.
(١٧) ذكره ابن خير الأشبيلي ـ فهرسة ما رواه عن شيوخه ص ٣٠١ قال: حدثني به أبو محمد ابن عتاب عن أبيه رحمها الله قال: قرأته على أبي القاسم خلف بن يحيى، قال حدثنا أبو جعفر تميم بن محمد بن تميم عن أبيه مؤلفه رحمه الله. وذكره الذهبي في تذكرة الحفاظ ٣/٨٨٩ وابن الدباغ في معالم الايمان ٣/٤٣ وابن فرحون في الديباج المذهب ص ٣٥٠ وغيرهم.
(١٨) في فهرسة ابن خير ص ٢٩٧: كتاب مناقب سحنون بن سعيد وسيرته وأدبه.
(١٩) في الديباج ص ٢٥٠: الوضوء والطهارة.
(٢٠) جعل محققا كتاب طبقات علماء افريقية وتونس ص ٢٨ هذا الكتاب كتابين:
١ ـــ كتاب الجنائز ٢ ـــ كتاب ذكر الموت وعذاب القبر. وهما كتاب واحد.
(٢١) عن الديباج المذهب، ولم يذكره ابن الدباغ في معالم الايمان.
(٢٢) معالم الايمان ٣/٤٦ وتذكرة الحفاظ ٣/٨٨٩، أما في الديباج المذهب ص ٢٥١: لثمان بقين من ذى الحجة، وقيل لسبع بقين من رجب سنة ٣٠٣هـ ولاشك أن هناك وهما أو خطأ طباعيا في سقوط رقم ثلاثين.
(٢٣) معالم الايمان ٣/٤٦.
(٢٤) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب من بني زهرة بن كلاب من قريش، أول من دون الحديث، من أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي من أهل المدينة، سكن الشام، كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله: عليكم بابن شهاب فانكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه، توفي سنة ١٢٤هـ. (تذكرة الحفاظ ١/١٠٢ تهذيب التهذيب ٩/٤٤٥ حلية الأولياء ٣/٣٦٠.
(٢٥) في الأصل : خالد بن واعظ المصرى.
(٢٦) في الأصل : أمير على الكوفة، والصواب: أمير على مكة لأنه وليها سنة ٨٩هـ وكان الحجاج في الكوفة، وسيأتي صواب الرواية في الخبر نفسه.
(٢٧) سورة الزمر آية ٦٨.
(٢٨) النمل ٨٧.
(٢٩) يريد بذلك علي بن أبي طالب، ولذلك غضب الحجاج فتهدده.
(٣٠) بياض في الأصل قدر كلمة، ولعلها: (أمري).
(٣١) الانعام ٧٩.
(٣٢) البقرة ١١٥.
(٣٣) انطاكية : مدينة بالشام بينها و بين حلب يوم وليلة.
(٣٤) رسول الله، مخرجة من الحاشية.
(٣٥) في الأصل : واعظمهم فضل.
(٣٦) سورة الأنعام ٧٩
(٣٧) سورة البقرة ١١٥.
(٣٨) طـــه ٥٥.
(٣٩) الكزاز : (بالضم) داء يأخذ من شدة البرد.
(٤٠) زيادة يقتضيها السياق.
(٤١) في الأصل : قائد، على الرفع والوجه النصب بدون تأويل.
(٤٢) في الأصل : عشرين، على النصب.
(٤٣) في الأصل : الديرة.
(٤٤) في الأصل : فليعطى، والوجه حذف الياء من لام الأم
(٤٥) واسط: مدينة بين الكوفة والبصرة بناها الحجاج، ويجوز في واسط الصرف وعدمه وعدم الصرف هنا اذا أردت المدينة على التأنيث. (انظر معجم البلدان: واسط)
(٤٦) المدرعة : قميص من الصوف، وقيل: جبة مشقوقة من المقدم.
(٤٧) أعجب اليك، كذا، ولعلها: أحب اليك كما في الرواية التى سبقت.
(٤٨) الأنعام ٧٩.
(٤٩) البقرة ١١٥.
(٥٠) سورة طـه ٥٥.
(٥١) في الأصل : ستوعشر ليلة.

(٥٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٥٣) في الأصل : جر، بالرفع، والوجه جرا بالنصب.

(٥٤) هو الحسن أبي الحسن البصري التابعي واعظ البصرة وزاهدها.

(٥٥) في الأصل : ألم، بالرفع والوجه النصب.

(٥٦) في الأصل: أسودا، والصواب بمنعه من الصرف.

(٥٧) أبو بردة : عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعرى، قاضي الكوفة، كانت له مكارم ومآثر وأخبار، توفي سنة ١٠٣هـ. (وفيات الأعيان ٣٤٣/١).

(٥٨) خالد بن عبد الله القسرى من بجيلة أمير العراقين وأحد الخطباء يماني الأصل من أهل دمشق، ولي مكة ٨٩ للوليد بن عبد الملك ثم ولاه هشام البصرة والكوفة فطالت مدته إلى أن عزله هشام وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد، وكان خالد يرمى بالزندقة وللفرزدق هجاء فيه، قتل سنة ١٢٦هـ.

(الاغاني ٥٣/١٩ - ٦٤ تهذيب ابن عساكر ٦٧/٥ - ٨٠ الوفيات ١٦٩/١)

(٥٩) الرواية في الكامل ٩٦/٢ إلى قوله (في عنقك قبل) مع خلاف العبارة.

(٦٠) في الأصل : أوليك، والصواب ان تجزم.

(٦١) في الأصل بياض بقدر كلمة، لعلها (وقيل).

(٦٢) في الأصل: خمسة عشر ليلة، وهو لحن.

(٦٣) في الأصل : فانتشا، ولعل الصواب ما اثبتنا.

(٦٤) في الأصل : مجاوز، بالرفع.

(٦٥) في الأصل : حراسا بالنصب.

(٦٦) في الأصل : سطر كامل بياض. وهو من سياق ما سيأتي يتعلق باخبار الحراس صاحب الشرطة بما سمعوا من صوت وحركة في القبر.

(٦٧) كلمة : بن مروان، خرجة من الحاشية.

(٦٨) في الأصل : كثيرا، بالنصب.

(٦٩) سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من بني عبد مناة، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، ولد ونشأ في الكوفة، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى وخرج من الكوفة فسكن مكة والمدينة، ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا، له كتب في الحديث والفرائض، كانت وفاته سنة ١٦١هـ.

دول الاسلام ٨٤/١ ابن النديم ٢٢٥/١ ابن سعد ٢٥٧/٦ ابن خلكان ٢١٠/١)

(٧٠) (أكرم) ساقطة من الأصل، وتصويبها من النص الآتي بعده.

(٧١) مجاهد بن جبير مولى بني مخزوم، تابعي مفسر من أهل مكة، شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس، تنقل في الأسفار في الكوفة، وكان لا يسمع بأعجوبة الا ذهب فنظر إليها، وذهب إلى (بئر برهوت) بحضرموت وذهب إلى بابل يبحث عن هاروت وماروت قيل انه مات وهو ساجد سنة ١٠٤هـ.

(طبقات الفقهاء ص ٤٥ ارشاد ٢٤٢/٦ صفة الصفوة ١١٧/٢ حلية الأولياء ٢٧٩/٣).

(٧٢) قوله : (فقال له : أنت الشقي بن كسير، قال: لا بل أنا سعيد بن جبير) خرجة من الحاشية.

(٧٣) سورة مريم ١٨.

(٧٤) البقرة ١١٥.

(٧٥) الأعمش : هو سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، تابعي مشهور أصله من بلاد الرى ومنشأه ووفاته في الكوفة، كان عالما بالقرآن والحديث ورأسا في العلم النافع والعمل الصالح توفي سنة ١٤٨هـ.

(ابن سعد ٢٣٨/٦ الوفيات ٢١٣/١ تاريخ بغداد ٣/٩)

(٧٦) عمير بن هانىء العنسي الداراني، تابعي من رجال الدولة الأموية من أصل داريا بالشام، استنابه الحجاج على الكوفة، ولما ولي الوليد بن يزيد أتهم عمير بالتحريض كان مع يزيد بن خالد القسرى حين حاصر الشام، وقتل صبرا مع يزيد بن خالد على أبواب الشام وحمل رأسه على رمح إلى مروان بن محمد بحمص سنة ١٢٧هـ.

(تاريخ الاسلام ١١٩/٥ ابن الأثير ١٢٣/٥ تهذيب التهذيب ١٤٩/٨ - ١٥١)

ملاحظة : يصدر كتاب (المحن) عن دار الغرب الاسلامي - بيروت - ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م.

نصوص من كتاب مفقود (سير الملوك للشعبي)

صلاح الدين المنجد

• من أبرز علماء المخطوطات في العالم. نال عدة شهادات عليا من باريس في القانون، والتاريخ، وعلم المكتبات، والفن الاسلامي، والصحافة وعلم الباليوغرافيا. كان مديرا لمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ومستشارا فيها، واستاذا زائرا في جامعات عديدة، وقد بلغت آثاره مابين نصّ محقق أو كتاب مؤلف مئة وخمسين. وهو عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة، والمجمع العراقي ببغداد، ومجامع ومعاهد أخرى في العالم العربي والأجنبي.

« الشعبيّ هو ابو عمرو عامر بن شراحيل بن عَبْد، الكوفيّ. وُلد سنة ١٧هـ ــ على رواية خليفة بن خياط ـ، وهو من اليمن من حِمْيَر، وعداده في همدان. ينتهي نسبه إلى حسّان ذي الشَّعبيّن بن عمرو بن قَيْس،.. ابن حِمْيَر. أدرك، على قوله، خمس مئة من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم. وروى الكثير من الحديث. وقد اشتهر بعلمه وعقله. جاء إلى دمشق فلزم عبدَ الملك بن مروان، وأوفده سفيراً إلى ملك الروم. ثم ولي القضاء لعمر بن عبد العزيز في الكوفة. وكان عالم زمانه غير منازَع. قال سُفيان بن عُيَيْنة: العلماء: ابنُ عباس في زمانه، والشعبيّ في زمانه، والثوْريّ في زمانه. وقال الزّهري: العلماء أربعة: سعيد بن المسيّب في المدينة، والشعبيّ في الكوفة، والحسنُ البصريّ بالبصرة، ومكحول بالشام. وقد اشتهر بالفقه والحديث والسِّير ورواية الشعر. قال عاصم بن سُليمان: ما رأيتُ أحداً أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشّعبي. وكان حلو الحديث، ولهذا أتى به عبد الملك. قال ابن عيّاش الهمداني: كان الشّعبي إذا ابتدأ في حديث أحبَبْتُ أنْ لا يقطعه من حُسْنه. وكان في رواية الشعر لا مثيل له. قال عن نفسه: ما أروى شيئاً أقلّ من الشعر. ولو شئتُ أنشدتُكم شهراً لا أعيد. وقال: دخلتُ على عبد الملك ففاتحني ضروباً من العلم فأخذتُ بحظّ منها. فقال لي: يا شعبيّ! تروي دالية لبني تميم؟ فأنشدتُه سبعين داليّةً لهم، حتى انتهيْتُ إلى قصيدة الأسود بن يعفر التي يقول فيها:

نَزَلوا بأنْقِرَةٍ يسيلُ عليهم ... ماءُ الفُرات يجيئ من أطوادِ

فقال: يا شعبيّ، أنت كنيف علم.

والأخبار الدالّة على سعة علمه وإحاطته كثيرة جداً. وقد توفي رحمه الله، على الأغلب، سنة ١٠٤ للهجرة(١)

ونتساءل هل ترك الشعبيُّ، بعد أن أوتي هذا العلم الواسع، تواليف ألفها؟

يروى الحافظ ابن عساكر عن أبي الحُصَيْن: لم يوجد للشعبيّ كتاب بعد موته إلاّ الفرائض والجراحات، ولم يكن أحدٌ أحسبَ منه (تهذيب ابن عساكر ١٤٠/٧).

وذكر البغدادي في هدية العارفين (٤٣٥/١) أنه صنّف كتاب «الكفاية في العبادة والطاعة»، وسمّاه في أيضاح المكنون (٣٧٣/٢) «الكفاية في العبادات».

وذكر سزكين أنّ له كتاباً في «المغازي».

ولم يذكر صاحب الفهرست، وصاحب كشف الظنون أيّ كتاب له.

على أنه يبدو أنّ للشعبي كتاباً آخر اسمه «سير الملوك». وقد كان هذا الكتاب موجوداً في القرن السادس الهجري، ونقل منه أبو حامد الغرناطي في كتابه «تحفة العجائب». فأثناء دراستي هذا الكتاب لاحظتُ أنّ أبا حامد يستشهد بالشعبيّ نقلاً عن كتاب «سير الملوك»، فيقول: ذكر ذلك الشعبي في كتاب «سيرَ الملوك».

وهذه النصوص التي نقلها أبو حامد تتعلق بعجائب البلدان، وبعضها بعجائب اليمن. وإذا علمنا أنّ الشعبيّ يمني الأصل، أدركنا اهتمامه بجمع أخبار اليمن وعجائبها. وليس من المستغرب أن يضع الشعبي مثل هذا الكتاب. فقد كان أولاً واسع المعرفة. وقد سُئل مرّة: من أين لك هذا العلم؟ فقال: بترك الاغتمام، والسّير في البلاد، وصبر كصبر الحمار، وبُكور كبُكور الغُراب.» فقوله: «السير في البلاد» دليل على حبه السفر والتنقل في البلدان. ثم إنّه كان يُعنى بجمع الأحاديث والأخبار فلا ينساها. ومثل هذه العجائب تصلح للأسمار، وتُثير الشغف والاهتمام. وقد كان حلو الحديث، طيّب المجالسة، خفيف الروح.

والنصوص التي نقلها أبو حامد تدلّ على أنّ الشعبيّ كان أوّل من ألف في عجائب البلدان في تُراثنا العربي. وقد يكون سَبَقه عُبَيْد بن شرية اليمني المتوفى سنة ٦٧هـ، في كتابَيْه «التيجان» و «الملوك وأخبار الماضين»، وإنْ كان لم يقتصر على «العجائب» فيما كتب. وقد عاصر الشعبيّ يمنيُ آخر هو وَهْب بن منبّه، المتوفى سنة ١١٤هـ، وترك كتاباً عن «ملوك حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم». فكأن أهل اليمن كانوا مولعين في القرن الأول للهجرة بتأليف أشباه هذه الكتب.

وبانتظار ظهور نصوص أخرى من كتاب «سير الملوك» قد تكون مذكورة في مصادر قديمة أخرى، أو بانتظار العثور على مخطوطة من الكتاب، ـ رأيت أن أقدّم النصوص التي ذكرها أبو حامد. وها هي ذي:

١ ــ وفي بلاد السودان أمّةٌ لا رؤوس لهم. ذكرهم الشعبيُّ في كتاب «سير الملوك»[١]

٢ ــ وذكر أنّ في فيافي المغرب مِنْ ولد آدم كلّهم نساء، ولا يكون بينهم ذَكر، ولا يعيش في أرضهم. وأنّ أولئك النساء يَدْخُلن في ماء عندهنّ، فيحبلْنَ من ذلك الماء، فيلدُ كُلّ امرأة بنتاً ولا تلد ذَكَراً البتة، وأنّ تُبّع ذا المنار وصل إليهنّ لمّا أراد أنْ يَصِلَ إلى الظلمات التي دخلها ذو القَرْنَيْن. والله أعلم. وأنّ ولده افر يقسون بن تُبّع ذا المنار، هو الذي بنى مدينة افريقية وسمّاها باسم نفسه. وانّ والده تُبّع وصل إلى وادي السّبْت، وهو واد بالمغرب يجري فيه الرّمْلُ كما يجري السّيْل، لا يمكن حَيوان أنّ يدخُل فيه إلا هَلَك. فلمّا رآه استعجل الرجوع. وذو القَرْنَيْن لمّا وصل إليه أقام إلى يوم السبت، فَسَكَن جَرَيانُه، فعبر إلى أن وَصَل إلى الظلمات فيما يُقال. والله أعلم.

وأولئك الأمّة الذين لا رؤوس لهم: أعينُهم في مناكبهم، وأفواههم في صدورهم، وهم أمم كثيرة كالبهائم، يتناسلون، ولا مضرّة على أحدٍ منهم، ولا عقولَ لهم. والله أعلم[٢].

٣ ــ وقد ذكر الشعبيُّ في كتاب «سير الملوك» أنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، كان يوماً جالساً بظاهر الكوفة إذْ أقبل أعرابيٌ من اليمن، فسلّم على الناس وقال: أيُّكم أمير المؤمنين؟ فأشار الناسُ. فسلّم عليه، وهنّأه بالخلافة وقال: يا أمير المؤمنين! جئتُ إليك من اليمن لِتُعلّمني مِمّا عَلّمك الله مما انتفعُ به في ديني. فقال أمير المؤمنين: مِنْ أيّ بلاد اليمن أنتَ يا أخا العرب؟ فقال: من حَضْرَموت. فقال له عليّ: أتعرفُ الأحقاف؟ فقال: لعلك تريد حفيرة هود النبيّ عليه السلام؟ فقال عليّ: نعم. فقال: دخَلْتُها يا أميرَ المؤمنين في حال شبابي أنا وصاحبُ لي. فنزلْنا مئة درجة محفورة في الجبل، حتى أفْضَيْنا إلى أزج عظيم فيه سرير من الرخام، عليه رجلٌ كقطعة الجَبَل، وجَسَدُه على هيئة الأحياء لم يتغيّر، جميل الوجه مع عِظَم جسده،

١ ــ انظر أخبار الشعبي مفصّلة في تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة): والتهذيب الجزء السابع.

٢ ــ تحفة الألباب ص ٤٧

٣ ــ المصدر السابق ص ٤٨

وعليه ثياب يمانية، وعند رأسه لوحُ رخام فيه مكتوب شعر: [بسيط]:

هـذا الـنـبيُّ الـنـقـيّ الـمُهْـتـدي الهادي
إلـى الجـبـابـرة الـغـاوين مِـنْ عـادِ
أن يـعـبـدوا الله لا يـبـغـونـه بَـدَلاً
ويـرفـضـوا كُـلَّ ذي ضِـدّ وأنْـدادِ
فـخـالـفـوه وردُّوا قـولَـه سَـفَـهـاً
وخـوّفـوه بـإرهـابٍ وإبـعـادِ
فـأرسـلَ الـلـهُ ريحـاً فـي عـجـاجتها
لهـا صَـريـرٌ بـإبـراقٍ وإرْعـادِ
فـأصـبـحـوا لا يُـرى إلاّ مـسـاكـنهم
قـد يُـذنـبُ الـعـبدُ والمولى بمرصادِ

ففرح به أميرُ المؤمنين عليٌّ عليه السلام، وأكرمه، وعلّمه. وكان يأكلُ معه ولا يُفارقه حتى انصرف. والله أعلم بكلّ شيء(٤).

٤ ــ وحكى الشعبيّ رحمه الله أنّ في جبل حَضْرَموت حفائر قبور الملوك المتقدّمين من العاديّين وغيرهم من الجبابرة. وأنّ الله تعالى قد خصّ ولد عاد بعِظَم الأجساد، وشدّة البأس، وكثير القوّة، وسَعَة المُلْك. فَوُجِدَتْ حفيرةُ شدّاد في الجبل، يُنْزَل إليها في أدراج محفورة، علو كُلّ درجة عشرة أذرُع، وهي أدراج كثيرة. فوصلوا إلى أزج تحت الأرض فيه سرير عظيم من رخام منقوش بالذهب، وعليه: شدّاد بنُ عاد. كأنه قطعة جبل، مطلياً بالمُرّ والصَّبْر والمغرة، لم يَنْسقط من جسده شيء، وعند رأسه لوحُ من ذهب فيه مكتوب: شعر [رمل]:

أنـا شـدّادُ بـنُ عـادِ — صاحبُ الـقَـصْـرِ المشيدِ
وأخـو الـشدّة والـبـأسـ — ـاء والـعـمـرِ والمديدِ
دان أهـلُ الأرض طُـرّاً — لـيَ مـن خـوفٍ وعـيـدي
وَقَـهـرْتُ الـنـاس جـمـيـعـاً — كُـلُّـهم لـي كـالـعـبـيدِ
وأتـى هـود بـرُشْـد — فـرَدَدْنـا قَـوْلَ هـود
وعَـصَـيْـنـا ، وأطـعْـنـا — كُـلّ جـبّـارٍ عـنـيدِ
فـأتَـتْـنـا صـيـحـةٌ تَـهْـوي — مِـن الأفـق الـبـعـيدِ
تَـرَكَـتْـنـا مـثـل زَرْعٍ — وَسْـطَ بَـيْـدا فـي حـصـيدِ

فأخذوا اللوح الذهب وانصرفوا [و] قد تعجّبوا مما رأوا.(٥)

٥ ــ وحكي الشعبيّ أنهم وجدوا أزْجاً عظيماً تحت الأرض بدَرَج، فنزلوا فيه في درج كثير تحت الأرض، ووجدوا فيه سريراً من رخام مُزَخْرفاً، عليه رجلُ كأنه قطعة جبل، لم يتغيّر من جسده شيء، على هيئة الأحياء، وعند رأسه لوحُ فيه مكتوب: [كامل]:

مَنْ كان يُنْكِرني لطولِ زماني — بعد الـبِلى وتغيّر الحَدَثان
فأنا ابنُ شَدّاد الـمُمَلّك بعده — مائتَيْنِ عاماً بعدها مائتان
أيّام أجْنادي الصّخار فجابِمُ — مَنْ بالعروض إلى ذُرى سَفْوانِ
وجدُيسنا المستأسدون وطَسْمُنا — أهلُ الحجاز إلى مصبّ عُمانِ
فإذا ركبت رأيت حولي منهمُ — فَوقَ الصّوافي ألف ألف عنانِ
دانت ليَ الأممُ الذين تعاقدوا — من بعد شدّادٍ على الطغيانِ
وأهلُ المشارق والمغارب اذ بَغَوْا — وتمسّكوا بالكفر والعدوانِ
وجمعتُ مالاً لا يُغادرُ قَدْرَهُ — فكنزتُه لنوائب الحَدَثانِ
في البحر تحت شراسة وقراره — أرجو الخلودَ، ولاتَ حين أوانِ
ولَسَوْفَ يبدو بعدنا لمعاشر — متواصلين على التقى إخوانِ
يأتيهمُ ذو المكرُمات محمّدُ — بقوارعٍ تُتْلى من القرآنِ
باليتني كنتُ المقدّم قبلَه — في كُلّ مُعْتَرَكٍ ويوم طعانِ
يا مَنْ يراني ثاوياً بحفيرة — عِشْ مؤمناً متجنّبَ الكُفْرانِ(٦)

٦ ــ ووجدوا في جبال مكة أزْجاً تحت الأرض فيه صورة رجل وامرأة من صَخْر، من أجمل الصور. وعند رأسهما لوح رُخام مكتوب عليه هذه الأبيات: [خفيف]:

أنا مأوى الفَخَار ساف بن عمرو — وربيعُ الأنام في كُلّ عَصْرِ
كنتُ في جرهم أُمدُّ رئيساً — وإذا ما أمَرْتُ فالأمرُ أمري
كان حُكمي عليهمُ وعلى مَنْ — صبح ذا البيت، في البريّة يجري
فهويتُ التي ترَوْنَ أمامي — فَتَبَطّنْتُها على غير مَهْرِ
من رآني فلا يلُمْ بأنثى — ذاتِ بَعْلٍ، ولا يهمّ بفَهْرِ

وكان ذلك الرجل ملكَ جُرْهم. عشق نائلة فزنى بها في الكعبة، فمسخها الله حَجَرَيْن ليُعْتَبَر بها. فأخرجَتْهما قريْشُ، فجعلوا أسافَ على الصفا، ونائلة على المَرْوَة، ليعتبر بهما مَنْ رآهما. فلما طال مُكْثُهما عبدوهما. والله أعلم.(٧)

انتهى ما وجدنا من نصوص «سير الملوك» عند أبي حامد الأندلسي.

٤ ــ تحفة ص ١٢٤
٥ ــ تحفة ١٢٦
٦ ــ تحفة ١٢٧ ــ ١٢٨
٧ ــ تحفة ١٢٨ ــ ١٢٩

من .. كتب التراث

كتاب الخراج وصناعة الكتاب لقدامة بن جعفر

ابراهيم السامرائي

● دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون. عمل استاذاً في جامعة بغداد، وقد تقاعد مؤخراً. حقق العديد من المخطوطات، له مؤلفات كثيرة ومقالات متناثرة في الدوريات العربية.

(١)

ابن جعفر، قدامة/كتاب الخراج وصناعة الكتابة شرح وتحقيق محمد حسين الزبيدي.- بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨١م

لا أريد أن أعرف بهذا الكتاب فهو أشهر من أن نتناوله بشيء من التعريف، فقد عرفه أهل العناية بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي من العرب وغيرهم، وقد نوهوا بمكانة هذا الكتاب وما اشتمل عليه من فوائد تتصل بالخراج عامةً و بصناعة الكتابة وما يلزم الكاتب في العصور العباسية من الأدوات اللازمة للتوفر على صناعة الكتابة.

لقد نوّه بالكتاب المتقدمون كالخطيب البغدادي وأبي الفرج ابن الجوزي و ياقوت الرومي وغيرهم.

ولا أريد أن أعرض للكتاب وقيمته فالدارسون المعنيون يعرفونه بما خبروه من فوائده وبما أشاد فيه المتقدمون، ولكني أريد أن اعرض للتحقيق وعمل المحقق وما أنجز من فوائد ومالم يتضح له من المسائل.

ولابد من القول قبل ذكر هذه الفوائد: إن من تمام آلة المحقق أن يكون ذا اختصاص أو مايشبه الاختصاص في الكتاب ومادته، ليتأتى له وجه الصواب في الأمر. وعلى هذا ينبغي للمحقق إذا كان كتاب «الخراج» أن يكون على علم بالتاريخ

(١) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي من بلغاء الكتاب، كان في أيام المكتفي بالله العباسي وأسلم على يده، وتوفي ببغداد سنة ٣٣٧ هـ.

صنف مصنفات عدة منها: نقد الشعر، وجواهر الألفاظ، والخراج. ومازال شيء منها مخطوطاً. انظر ارشاد الاريب ٦/٢٠٣-٢٠٥، وابن النديم ص ١٣٠ والمنتظم ٦/٣٦٣.

الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. ومما ينبغي لمحقق ديوان جاهلي أن يكون ذا علم بالأدب القديم وفنونه وأساليبه ومراميه، وما كان لدى الجاهليين من علم وعادات وفنون ورسوم وغير ذلك.

على أن المحقق أياً كان مذهبه ومشربه أن يكون على علم بالعربية ومعانيها وليس لمحقق في «علم الحساب عند العرب» مثلاً عذر في أن يتجاوز نظام العربية نحواً ولغة وما يتصل بجماع هذه المواد التى تؤلف ما اصطلح عليه بـ «علوم العربية».

ومن هنا كان علي أن أقف على كل شيء في هذا الكتاب الجليل وها أنا أعرض له:

١ ــ جاء في الصفحة ٦ من المقدمة التي حررها المحقق قوله:

وأقدم من نوّه عن حياة قدامة من المؤرخين..

أقول: والتنويه بـ «الشيء» لا عن الشيء، وهذا أمر مُتعالَم متعارَف.

٢ ــ وجاء فيها أيضاً قوله:

وكان قدامه أحد البلغاء الفصحاء، والفلاسفة الفضلاء ممن يشار إليه في علم المنطق.

أقول: والصواب: ممن يُشار إليهم..

٣ ــ وجاء في الصفحة ٨ من المقدمة في الكلام على مصنفات قدامة:

وقد وضع كتباً كثيرة هي:

١ ــ كتاب الخراج وصنعة الكتابة

٢ ــ كتاب نقد الشعر (مخطوط)

٣ ــ ....

أقول: وكتاب «نقد الشعر» ليس مخطوطاً وقد طبع غير مرة.

٤ ــ كتاب «نقد النثر» المعروف بكتاب «البيان» من نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال في اسبانيا. الرقم ٢٤٢. وقد حققه، طه حسين وعبد الحميد العبادي القاهرة ١٩٣٣.

أقول: لو كان كلام المحقق هذا قبل عشرين سنة لكان مقبولاً لأن الكتاب في تلك الحقبة لم يكن معروفاً على حقيقة. وقد تبين أن الكتاب ليس لقدامة، وأنه كتاب «البرهان» لاسحاق بن إبراهيم بن سلمان بن وهب وقد حققه الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، وقد طبع مرتين في بغداد سنة ١٩٦٧ ثم نشر في القاهرة.

وعلى هذا كان على المحقق أن يصحح وأن يُفيد في هذا الأمر مما تمَّ إنجازه في نسبة الكتاب إلى صاحبه وهو غير قدامة.

٥ ــ وجاء في الصفحة ١٠ في الكلام على كتاب الخراج: قال ياقوت وهو يتحدث عن قدامة: قال محمد بن اسحق (ابن النديم): وله من الكتب كتاب الخراج تسع منازل، وكانت ثمانية (كذا) فأضاف إليه تاسعاً.»

أقول: هذا هو النص في «معجم الأدباء» ٦/٢٠٤ (ط. مركوليوث). ولا أدري كيف يكون العدد مذكراً مرةً ومؤنثاً مرة أخرى؟ وإذا كان المفرد «منزلة» فالصواب تسع وثماني، وعلى هذا يكون الوصف «تاسعة».

ولا أستطيع أن أحمل الخطأ على «ياقوت» صاحب المعجم، بل أحمله على النساخ للمخطوطة، وكان ينبغي على المحقق الناشر (مركوليوث) أن ينتبه فيصحح أو يشير إلى موطن التجاوز في الأقل.

ويؤيد كون المفرد «منزلة» ماذكره المحقق من كلام المطرّزي في «قدامة» وكتابه، وكون الكتاب يشتمل على «سبع» منازل.

٦ ــ قلت في تمام أداة المحقق أن يكون على علم بالعربية وذلك لئلا يقول كما قال صاحبنا الزبيدي في الصفحة ١١:

ثم تكلم في المنزلة الرابعة عن مجلس الانشاء.

والصواب: على مجلس الانشاء.

ولعل قائلاً يقول: هذه أمور صغيرة، وان حروف الجر يحلّ بعضها محل بعض.

والجواب عن هذا: أن هذه الأمور «الصغيرة» وغيرها أدّت بنا إلى أن نقف على عربية اليوم وهي محشوة بالخطأ الذي أحال المعنى أحياناً.

٧ ــ وجاء في الصفحة ١٢ من المقدمة في الكلام على الكتاب قول المحقق:

وقد نَقَل قدامة عن كتاب فتوح البلدان للبلاذري، وكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، وكتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي، وذكر آراء كثيرة لبعض الفقهاء كأبي حنيفة ومالك..

أقول: ولكنك حين تقرأ الكتاب قلما تقف على مايهديك إلى القدر الذي أخذه قدامة من هذه المصنفات، والآراء التي أخذها من الفقهاء المشار إليهم. إن أكثر حواشي المحقق تقوم على مافي النسخ الخطية الثلاث لكتاب الخراج، وقد يرد فيها شذرات قليلة ينسبها المحقق إلى ابن خرداذبة مثلاً.

أقول أيضاً: كان على المحقق أن يثبت المواضع التي أخذها من المظان التي أشار إليها على نحو واضح مفيد.

٨ ــ وجاء في الصفحة ١٤ من المقدمة في الكلام على المخطوط و «ميزاته» كذا قول المحقق:

إن عدداً كبيراً من أسماء المدن التي وردت في المخطوط قد اندرست ولم يبق لها أثر يذكر، لذلك يصعب الاهتداء إلى اسمها الصحيح، ولاسيا أن معظمها قد اغفلها الجغرافيون العرب كذلك.

أقول: لو أحسن المحقق صنعاً فجمع هذه الاعلام للمدن «المندرسة» وجعلها في ثبت في آخر الكتاب لقدّم للدارسين فائدة عظيمة، وذلك لأنها تكمل ماورد في كتب البلدان على ماذكره المحقق. لم يفعل ذلك المحقق ولم يشر في حواشيه إلى تلك الاعلام المندرسة.

٩ ــ وقال أيضاً في «ميزات المخطوط»:

حذف الهمزة في المخطوط وعلى سبيل المثال: خضراء، شاء، عايشة.. أقول: ليس هذا مما يمتاز به المخطوط و يتفرّد وذلك لان التخفف من رسم الهمزة كان دأب النساخ في مختلف العصور.

١٠ ــ وجاء في آخر مقدمة المحقق في الصفحة ١٦ قوله:

إن اخراج هذا الكتاب على مافيه من نقص في مقدمته إلاّ أن منازله الأربعة الأخيرة تشكل في حد ذاتها وحدة كاملة لمواد الكتاب دون أن يترك ذلك خللاً في المعنى أو نقص (كذا) في الفائدة.

أقول: لم تستقر «المنازل» في ذهن المحقق أمذكرة هي أم مؤنثة في مسألة وصفها بالعدد.

وقد يقال: إن الخطأ النحوي أمراً يسيراً، وإن المحقق قال:

دون أن يترك خللاً في المعنى أو «نقص» في الفائدة

أقول: ليس الخطأ النحوي أمراً يسيراً، وإن قولنا «نقص» ليس مثل قولنا «نقصاً» وهل يجرؤ أحد منا أن يتجاوز في شيء مثل هذا في اللغة الانكليزية أو أية لغة غربية؟

ومن الغريب أن يبيح الانسان لنفسه أن يركب الشطط في لغته ولا يبيح لها أن تتجاوز قليلاً في مسألة ثانوية من اللغات الغربية.

ثم نبدأ «الكتاب» فنجد العبارة الآتية في الصفحة ١٧ بعد اسم الكتاب واسم المصنف وهي:

يشمل على عجائب الأرض والبحار وفتح البلاد ومعرفة خراجها.. أقول: وكان على المحقق أن يثبت الفعل «يشتمل» بدلالة تجاوزه إلى مدخوله بالحرف «على».

١١ ــ وجاء في الصفحة ٢١ في الكلام على ديوان الجيش:

....

فأما ما يشارك فيه ماتقدم من المجالس والانشاء والتحرير والأسكدار، وقد شرحنا من أحوال هذه المجالس......

أقول: ولامعنى لهذا العبارة إلاّ إذا قوضاها على النحو الآتي:

فأمّا مايشارك فيه ماتقدّم من المجالس فالانشاء والتحرير والاسكدار.

١٢ ــ وجاء في الصفحة نفسها مما يخص ديوان الجيش ما يأتي:

والذي يجري في أمر التقرير، أمر استحقاقات الرجال، والاستقبالات وأوقات أعطياتهم، وسياقة أيامهم وشهورهم على رسومها..

أقول: لعل الوجه أن يقال: أمر التقدير فهو أمر استحقاقات الرجال..

وكان على المحقق أن يشرح «الاستقبالات» وذلك لأنها من مصطلح ذلك العصر أي عهود بني العباس.

والاستقبالات تعني ما يُدْفع بادىء ذي بدء من الاستحقاقات وغيرها من الجراية والمعلوم أي الراتب، وهو مانسميه في عصرنا بـ «السلفة» في العراق أو «التسبيقة» أو «التقدمة» في بلدان أخرى.

١٣ ــ ثم جاء قول المصنف: والنظر في موافقات المنفقين وإخراج جراياتهم.

أقول: وكان على المحقق أن يشرح معنى المنفقين لانها من الكلم الفني وأن «المنفق» صاحب عمل خاص كالمُحاسب في عصرنا.

١٤ ــ وجاء في الصفحة ٢٢ قول المصنف:

وقد ذكرنا مجلس الجيش، بديوان الخراج من رسوم الرجال في الأطماع.

ثم علّق المحقق في حاشيته شارحاً كلمة «الرسوم»:

يراد بالرسوم معنيان:

الأول: مجموعة العادات المتبعة في مقابلة الناس أو معاملتهم في شؤون الالفة،

وهذا ما يعرف بالفرنسية «ايتكيت»

الثاني: مجموع الاحتفاء بالناس في أمور السياسة والقيام بها وفي مقابلة الملوك وعظماء الدول وهذا ما يعرف بالفرنسية «بروتوكول»...

أقول: ولم يشر المحقق ما المراد بـ «الرسوم» في نص قدامة.

ثم شرح المحقق الأطماع ففعل بذلك خيراً وقدّم فائدة تاريخية

مشيراً إلى كتاب «البرهان في وجوه البيان» لابن وهب الكاتب.

وهذه الاشارة لا تعني أن المحقق رأى الكتاب ولكنه نقل الشرح من كتاب أو مصدر لم يُشر إليه، ولو أنه عرف عن قرب بـ «البرهان» لأصلح ماذكره في المقدمة في موضوع «نقد النثر» المنسوب خطأً إلى قدامه، وهو كتاب «البيان» لابن وهب كما أشرنا.

١٥ ــ وجاء في الصفحة ٢٣ مايأتي:

من يجري (كذا) هذا المجلس في ديوان الجيش مجرى التفصيل من ديوان الخراج الذي ذكرنا أحوال مايجري فيه من الأعمال.

أقول: ولا معنى لكلمة «من» في أول الكلام، ولعلها «واو» للعطف مثلاً...

١٦ ــ وجاء في الصفحة ٢٤ قول المصنف:

وجئنا بما يشكره (كذا) أكثرهم ويخالف ماجَرّت به عادتهم، وليس كل مايستعمله الكتّاب خارجاً عن مذهب اللغة، لكن القليل منه وسيذكر في موضعه إن شاء الله.

أقول: وليس من مكان للشكر في النص بحسب مايراد من معنىً، ولعل الصواب: وجئنا بما يُنكره أكثرهم. فالإنكار معقول وليس الشكر.

وقوله: لكن القليل منه، صوابه: لكنه القليل منه.

١٧ ــ وجاء في الصفحة نفسها في الكلام على «حلي الرجال» أي صفاتهم الجسيمة الخَلْقية، قول المصنف:

أما حلي الرجال فانهم تعوّدوا أن يبتدئوا في حلية كل رجل بأن يذكروا سنّة فيقولون: أمّا صبيّ وأما حين يقل (كذا) وجهه..

أقول: وصواب «أمّا» هو «إما» المكسورة الهمزة وذلك لتكرارها. ثم: مامعنى «يقلّ وجهه» وما وجه القلّة؟

الصواب: حين بَقَلَ وجهُه. و بَقَلَ الغلام و بَقَّلَ وأبقَلَ بَقْلاً و بقولاً؛ ظهر شعر وجهه.

١٦ ــ وجاء في الصفحة ٢٤ قول المصنف:

و يُنْعَتُ الحاجبان فيقول: مقرون...

أقول: والصواب: فيقولون لأن الكلام جارٍ كله على أن العرب يقولون.

١٨ ــ وجاء في الصفحة ٢٥ قول المصنف:

«وان كان بني القَرَن» في الكلام على الحاجبين كما في الرقم السابق (١٦).

أقول: والصواب: بيِّن القَرَن. والقَرَن اتصال الحاجبين.

١٩ ــ وجاء في الصفحة نفسها:

ثم يقال في الأنف طويل أو قصير أو أخفس (كذا)...

أقول: والصواب: أخنس. والخَنَس من صفات الأنف تأخّر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة.

٢٠ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

أو يقال: وارد الأرنبة، وورود الأرنبة هو أن يكون المنحازة (كذا) على جملة الأنف لغلظ فيها.

أقول: ولامعنى للمنحازة هذه، والصواب: النُّخْرة وهي مُقَدَّم الأنف.

٢١ ــ وجاء في الصفحة ٢٦ قول المصنف:

ثم يؤخذ في «الأعمدة».

وقد أحسن المحقق فشرح «الأعمدة» في حاشيته فقال: هي العلامات الفارقة.

أقول: وأين عصرنا من هذه الكلمة المفيدة وهي أولى من كلمتين في استعمالنا «العلامات الفارقة».

٢٢ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

فأما شيات الدوابّ فان أول ما يبتدأ به ذكر نوع الدابة، فيقال: فرس إن كان من الخيل أو شَهريّ إن كان شهريّاً أو برذون، أو أنثى منها فيقال: جَمْر (كذا).

أقول: ولم يسأل المحقق نفسه مامعنى جَمْر؟ أفي الحيوان جنس يقال له جمر؟

أما خطر له أن يقول مثلاً: لعله مُهْر وقد صُحِّف لدى الناسخ.

٢٣ ــ وجاء في الصفحة ٢٧ قول المصنف:

والاشهب يكون قرطاسياً و يكون مغلّسا و يكون أصمّ (كذا) بسواد.

أقول: وما معنى «أصمّ بسواد». لم يبد للمحقق ان الصواب أحَمّ وهو من ألوان الخيل، وقد ورد كثيراً في الشعر القديم.

٢٤ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

ومنها الأصحم وهي صفرة تذهب نحو البياض تسمى خزنج (كذا).

أقول: ألم يتساءل السيد المحقق فيقول: ما الخزنج!

لم استطع ان أهتدي إلى الخزنج، فهي لابد ان تكون مصحفة فضاع عنا الصواب..

٢٥ ــ وجاء في الصفحة ٢٨ قول المصنف:

إلاّ أن الحُمّة إنما هي آثار سواد كالمبانية بحمله السواد. أقول:

اذا قرأنا هذه العبارة لانفهم آخرها فيضيع المعنى المراد. ولعل الصواب: كالمباينة لجملة السواد!

٢٦ ـــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف وذلك في الكلام على الغُرّة في جبهة الحصان:

ومنها أن تكون (أي الغُرة آخذة على جانب الوجه لابسةً لإحدى العينين فيقال: لطليم (كذا).

أقول: لم اهتد إلى هذه العبارة المزالة عن حقيقتها!

٢٧ ـــ وجاء في الصفحة ٢٩ قول المصنف:

ولكتاب الجيش احكام تجري على ظلم (كذا) وألفاظ يقع فيها اللبس على من لم يعتدها.

أقول: كان على المحقق أن يعلق على «الظلم» هذه التي جاء شرحها في الصفحة التالية غير مستوفىً.

٢٨ ـــ وجاء في الصفحة ٣٠ قول المصنف:

.... وذلك أن من ظلمَ من الرجال عندهم حتى يؤخِّروا عطاؤه (كذا) عن وقت استحقاقه، فقد صار ما استحقه ناتياً.

أقول: لعل الصواب: وذلك أن من ظلم من الرجال عندهم أن يؤخروا عطاءه عن وقت استحقاقه، فقد صار ما استحقه فائتاً!!

٢٩ ـــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

وكلما تقادم من زمان الفائت يوجب تقديم إطلاق ما أُخّر منه، يؤكد عندهم بطوله ووجب سقوطه.

أقول: ولعل الصواب: ...... وجب تقديم إطلاق ما أُخّرَ منه، يؤكّد عندهم بُطْلَه....

المصدر هو بُطْل و بُطلان وليس «بطولاً».

٣٠ ـــ وجاء في الصفحة ٣٣ قول المصنف:

مجلس الأنزال ويجري فيه كل مايقام من الأنزال. وفي هذا المجلس يحاسب التجار الذين يقيمون الوظائف من الخبز واللحم والحيوان والحلوى والثلج ....

أقول: قلت في أول هذا الفصل إن المحقق ينبغي أن يكون مختصاً أو شبه مختص بما يحقق من مادة علمية. وعلى هذا كان على محقق هذا الكتاب أن يشرح الانزال لانها من الكلم الذي يدخل في جملة المصطلح الاقتصادي القديم.

إن مابسطه المصنف في التعريف بالانزال غير كاف

كما كان عليه أن يشرح «الوظائف» ومايراد بها في نص «الخراج». إن الوظيفة تعني مايخصص من طعام وشراب ومايتصل بها من لوازم كالحطب والزيت ونحوهما.

ثم إنني لأتوقف قليلاً أمام كلمة «الحيوان» ذلك أني اراها غير صحيحة بعد ذكر اللحم، ومن أجل ذلك أقول لعلها «جام» ثم تضاف الحلوى بعدها، وجام الحَلْوَى معروف.

وفي الصفحة ٣٤ بعض شرح للوظيفة فقد ذكر المصنف أن مقدارها أربعة أرطال بالرطل البغدادي.

٣٤ ـــ وجاء في الصفحة ٣٩ قول المصنف:

وأمره أن يشعر قلبه تُقى الله ورهبته أشعار (كذا) من يخالف عقابه و يرجو ثوابه.

أقول: من غير شك أن قوله «يخالف» خطأ من الناسخ لم يفطن له المحقق والأصل الصحيح: يخاف.

واذا أردت أن أحاسب المحقق على رسم الحروف والخطأ النحوي فالأمر يطول وحسبك أن تعلم أن المحقق قد أثبت غير مرة: انشاء الله، بدلاً من: إن شاء الله.

ولعل بعض التجاوز في الرسم أمر عظيم فمن ذلك الخلط بين أن المفتوحة الهمزة وإن المكسورة الهمزة.

٣٥ ـــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

وأمره إذا حكم ذلك من نفسه، وأشعره أيّاها (كذا) في علانيته وسره يرتبه أن يختار عند قدومه قوماً من أهل الصلاح والأمانة والستر والصِّيانة والعلم بكتاب الله وسنة نبيّه فيجعلهم أصحاب مُسايلة (كذا). أقول: من المفيد أن نفيد من هذا النص فائدة تاريخية فتعرف أن كلمة «الستر» بمعنى الحفاظ على الآداب العامة والابتعاد عن الشر مع تواضع جمّ قد عُرفت في ذلك العصر، وهو شيء من لغة عباسية لانعرفها في لغة الصدر الأول للاسلام ولا في عصر بني أمية.

ثم أن «المسايلة» خطأ صوابها: «المُساءلة» والهمز واجب.

والمسايلة قد تكون مصدر «سايَلَ» من السَّيْل لو كان لها استعمال.

٣٦ ـــ وجاء في الصفحة ٤٤ قول المصنف:

وأمَرَه أن يتجنّبَ مساخط الله ومحارمه، و يتعدى مَناهيه ومأثمه. أقول: والصواب أن يقال: مآثمه وبذلك يتم السجع في الفواصل.

٣٧ ـــ وجاء في الصفحة ٤٧ قول المصنف:

فإن الحق أحرز عصمةٍ ووزْر وأحصل (كذا) موئل وعصر (كذا).

والصواب: وأحصَن موئل ومِصْر.

٣٨ ـــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

وأمَرَه بتعهُّده نفسه حتى يقيم أوَدها ينفي (كذا) بذكر الله الهوى وزيغ الشيطان عنها.

أقول : والصواب أن يقال: وأن ينفي...

٣٩ ـــ وجاء في الصفحة ٤٨ قول المصنف:

وأمره أن تكون فواتيره وعيونه الذين يبعث بهم من ذوي الصدق والنصيحة.

أقول : وردت كلمة «الفواثير» جمع فاثور، و يراد بهم الجماعة في الثغر يذهبون خلف العدو في الطلب.

وهذا معنىً غير معروف في المعجمات لأن الفاثورة من كلم العامة وهو الطست أو الخوان من الرخام أو الفضة أو الذهب، وهو لغة شامية.

٤٠ ـــ وجاء في الصفحة ٤٩ قول المصنف:

وأمره أن ينظر في صناعة المراكب....

حتى يحكمها ويجيد بناءها وتأليفها، وقلفطتها وتركيبها و يستجيد المقاذيف ويجيرها (كذا).

أقول : ولابد للمحقق أن يشرح «القلفطة» وهي من الكلم الفني وتعني حَشو الفُرَج بين خشب السفينة بالقطن أو الكتان، ولذلك جاء في النص كلمة «مُشاقة» وهي مايسقط من الكتان، وبها تحشى الفُرَج.

أقول : ومازالت القلفطة من كلم أهل السفن في المعنى نفسه ولكنها تحولت إلى «الكلفتة».

والمقاذيف هي المجاذيف.

وليس من مكان لكلمة «يجيرها» فصوابها يتخيّرها وهي مناسبة للفعل يستجيد.

٤١ ـــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

وأمَرَه أن يحْصِيَ مافي الخزائن من الأسلحة، و يشرف عليها.. حتى تكون على هيئتها مَجلُوَّةً، مسنونة، مقوّمة، موصوفة، متعاهدة مصونة.

أقول : ومن تمام حسن التقسيم أن تكون كل صفتين من الصفات المذكورة منفصلتين بفاصلة عن الصفتين بعدهما و يتم بذلك نمط الفواصل المسجوع.

ثم لا معنى لكلمة «موصوفة» وصوابها «موضونة» فيكون النص ..... مَجْلُوَّةً مسنونة، مُقَوَّمةً موضونة، مُتَعاهَدَةً مصونة.

والموضونة معناها المتعاهدة بالعناية والترتيب.

٤٢ ـــ وجاء في الصفحة ٥٠ قول المصنف:

وأمره أن يؤثر الصدق فيما ينهيه.. وأن يختار من يستعين به في عمله... من يثق بصناعته ونزاهته وطيب طعمته (كذا).

أقول : لعل كلمة «طعمته» هي «طَوِيَّته» فلا معنى للطعمة مع النزاهة والأمانة.

٤٣ ـــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

وأمره أن يختار من يستعين به في عمله....... وأن يكون من يستعمله من أهل الكفاية والغَناء دون من يستعمل منهم على العناية (كذا) والهوى.

أقول: وليس من مكان لكلمة «العناية» في هذا النص، والصواب كما أظن هو «الغواية» لتوافق كلمة «الهوى» بعدها.

٤٤ ـــ وجاء في الصفحة ٥١ قول المصنف :

وأمره أن يكون ما ينهيه من الأخبار شيئا يثق بصحته................ ولا يحابوا أحداً بستره وأن يكتموا أخبارهم......... فان في ذلك إذا جرى وهنا؟ ولمن أراد الحيلة متطرفا.

أقول : لعل الصواب: فان ذلك إذا جرى هنا ولمن أراد الحيلة مُتَصَرّفا!!

٤٥ ـــ وجاء في الصفحة ٥٢ قول المصنف:

ولو ذهبت إلى أن آتي في كل وَجْهٍ من وجوه المكاتبات بمثال لطال الكتاب.... ولكنا نقتصر على ما مرّ فأن (كذا) فيه كفاية وبجزأ (كذا).

أقول : والصواب : فان فيه كفاية ومجزءاً.

٤٦ ـــ وجاء في الصفحة ٥٣ ألفاظ هي المؤامرة والايغار والتسويغ، وكلها من الكلم الفني، وقد أحسن المحقق صنعاً فشرح هذه الألفاظ.

فالمؤامرة : عمل تجمع فيه الأوامر الخارجة في أيام الطمع، و يوقّع السلطان بأمره باجازة ذلك....

والإيغار: الحماية للضيعة أو القرية فلا يدخلها و يوضع عليها شيء يؤدّى في السنة لبيت المال..

والتسويغ : أن يسوِّغ الرجل شيئاً من خراجه في السنة، وكذلك الحطيطة والتريكة.

أقول : والتسويغ أفاد الايجار في أقطار الشمالي الافريقي في عهود الحماية فيقال: تسويغ الدار وتسويغ الارض المزروعة اي إيجادها على أن يؤدي المستأجر مبلغاً من المال.

ومن هذا الكلم الفني كلمة «الطعمة» التي وردت في الصفحة ٥٤ في قول المصنف:

وان كانت إقطاعاً أو طعمة...

والطعمة أن تدفع الضيعة إلى رجل يعمرها و يؤدي عشرها وتكون له مدة حياته لا تورث بعد وفاته بعكس الاقطاع الذي يصير إلى ورثة الرجل الذي ملك الضيعة إقطاعاً.

أقول: كأن نص الكتاب إلى حد هذه الصحائف التي أشرت إليها قد عرض له التصحيف والتجاوز، ذلك أن مابقي من الكتاب تغلب عليه السلامة فلعل مادته قد وردت في مظان أخرى.

وبعد فان مادة الكتاب تشتمل على الدواوين كديوان الجيش وديوان النفقات وديوان بيت المال وديوان الرسائل وديوان الخاتم وديوان المظالم وأبواب أخرى في التوقيع والدار والشرطة والأرض وعمادتها وفي قسمة المعمور من الأرض.

وأبواب أخرى في الفيء وأرض الصلح وأرض العشر وفوائد أخرى كثيرة تتصل بالادارة والسياسة وغير ذلك مما لا يفي به هذا الموجز من العرض.

وقد ذيل المحقق الكتاب بفهارس كثيرة للألفاظ الفنية، غير أنه لم يشرحها كلها حين وردت في النص، والذي شرحه منها قليل جداً.

على أن نشر الكتاب على هذا النحو قد هَيّأ للدارسين مادة مهمة ذات فوائد جمة فعسى أن يعود المحقق إلى عمله في مستقبل الأيام فيصلح من شأنه ليتم بذلك خير وفير.



مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار

محمد عبد الغني حسن

• عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة، ومجمع اللغة العربية في دمشق.

الزهار، أحمد الشريف/مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار تحقيق أحمد توفيق المدني.. الجزائر: مطبعة أحمد زبانة،؟، ١٩٦ص.

حُوِّل إلي هذا الكتاب وأنا في مدينة بتسبرج بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة، بعد رحلة غير قصيرة قطعها إليَّ من الجزائر إلى القاهرة فالعالم الجديد... وآنستني طلعة هذا الكتاب بغلافه العربي، وخطه الكوفي، فأكرمت وفادته، لأنني كنت في أمريكا أتحرق شوقا إلى كتاب عربي ثمين، يؤنس وحشتي، ويمتعني في غربتي... فنزل هذا الوافد الحبيب عليَّ نزول الغيث على الأرض المتلهفة إلى مواقع المطر... وقرأت الكتاب في أمريكا مرتين، أقف عند كلمة فيه لا أخطىء منها حرفا... لأنني على ثقة أن صديقي وأستاذي وزميلي المجمعي العلامة المؤرخ أحمد توفيق المدني لا يرتضي لنفسه أن يحقق كتابا، أو ينشر مخطوطا إلا إذا رأى فيه للعرب والمسلمين نفعا عظيما. فهو عربي عريق العروبة، مسلم قوي الإسلام. وقد بلوت ذلك منه على البعد قبل عشرات من السنين حين كنت أقرأ له بعض كتبه المصنفة في التاريخ والسياسة، وبلوته على القرب حين احتوتنا رحلة ممتعة لا تنسى إلى بورسعيد ومتن قناة السويس في بواكير الربيع من عام ١٩٨٠م، وكان كتابي: (مؤلفات رائدة لمؤلفين رواد) قد ظهر يوم الرحلة، فأهديت إليه نسخة، واجتمعنا بعد يومين في القاعة الكبرى لمجمعنا القاهري، فإذا به قد قرأ الكتاب ووعى أكثر مافيه.

وقبل عودتي من أمريكا إلى مصر كتبت إلى الصديق عجاج نويهض أسأل عنه حين بلغني أن صحته لا تواتيه، وأدعو له بالشفاء، وأذكر له فيما أذكر من قراءاتي الأخيرة كتاب (مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار) بتحقيق صديقنا العلامة: توفيق المدني. فبدا لي من رده على رسالتي أنه لم يسمع عن تلك المذكرات شيئاً، وأثنى لي ثناء عطرا على العلامة المجاهد توفيق المدني، وقال فيما قاله عنه: (المجاهد العلامة المؤرخ أحمد توفيق المدني أثنى عليه الأمير شكيب أرسلان في غير موضع من «حاضر العالم الإسلامي»، ولقيته في «ملتقى الجزائر» سنة ١٩٧٣م لأول مرة، وهو من رجالات العالم الإسلامي علما وفضلا وجهادا عمليا... أما مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار فإن بعثها الآن محققةً تحقيق «المدني» عمل عظيم الأثر، لما يحييه من غالي الذكرى بين الماضي والحاضر. ولم أسمع به إلا الآن في رسالتكم..).

والحق أن «أحمد توفيق المدني» ـ محقق مذكرات النقيب الشريف أحمد الشريف الزهار ـ رجل لا يليق أن نمر به سريعا ونحن في معرض التعليق على هذا الكتاب العظيم، فهو عالم مؤرخ كثير التحقيق والتدقيق والتنقير في المصنفات العربية قديمها وحديثها، وهو لغوي وراوية كبير، وأخوه شاعر تونسي جهير له ديوان جمعه صديقنا الراوية التونسي الأديب «الحبيب شيبوب»، وقد سعدت بلقاء الشاعر المدني في لقاء هيأه لنا الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة سنة ١٩٧٦م. ويجمع مؤرخنا أحمد توفيق المدني إلى مزية العلم والأدب، شرف العرق والنسب. وقد كان جده الحاج محمد بن أحمد المدني القبي زعيم «القصبة» المشرفة على مدينة الجزائر «وشيخ البلد» فيها، وله مواقف في أيام ولاية علي باشا سنة ١٨١٦م. على أن صديقنا المحقق ـ مد الله في عمره ـ كان له موقف جليل نحو المسجد الجامع: مسجد كتشاوة، أو مسجد رحبة الماعز الذى استولى عليه الفرنسيون عقب الاحتلال، وحولوه إلى كاتدرائية. فلما قامت ثورة الجزائر وظاهرها الله بقيام عهد الاستقلال ـ كان صديقنا العلامة المدني وزيرا ـ أقدره الله على استرجاع هذا المسجد إسلاميا كما كان، وبنى بجواره دارا بديعة ملاصقة له جعلها مقرا لوزارة الأوقاف الجزائرية..

هذا قطر مما أعرفه عن محقق هذه المذكرات.. أما صاحبها ومؤلفها فهو كما قال عنه المدني: (عين من أعيان الحضرة الجزائرية، ووجه من أكمل وجوهها، ومناضل شهم من أكبر مناضليها المجاهدين) وهو من أسرة ترجع بنسبها إلى إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى. ولقد عاش مؤلف المذكرات قبل عهد الاحتلال الفرنسي بعقود من السنين، وعاصر سنوات الاحتلال بما حملته من بطولات ومآس، وشارك ـ وهو نقيب الأشراف ـ في الدفاع عن وطنه بكل ما أوتي من قوة حتى اضطرت فرنسة إلى إبعاده عن الجزائر فيمن أبعدتهم من أهل الكفاح والرأي سنة ١٨٣٢م. فقصد تونس ـ كما قصد شاعرنا أحمد شوقي بلاد الأندلس ـ أسبانيا ـ حينما أبعد عن مصر سنة ١٩١٤. واتصل بالأمير عبد القادر الجزائري بطل النضال الشعبي وتولى كتابة سره، وذهب إلى فاس بالمغرب، ثم عاد إلى الجزائر، وتقلد فيها نقابة الأشراف من جديد، وكان يجمع بين النقابة والتجارة، وهيأت له الظروف جمع أخبار الجزائر، وتدوينها على هيئة مذكرات، فكان هذا الكتاب الذي نعرضه اليوم.

ونستطيع أن نقول إن النقيب صاحب هذه المذكرات كان شاهد عيان لأحداث الاحتلال الفرنسي كلها... بل كان شاهد عيان لكثير من المعارك البحرية بين الجزائر وانجلترة. وفي وصفه للمعركة مع الانجليز يقول بنص عبارته: (وقد رأيت طيورا بيضاء، تحوم على البلد والأبراج، وأنا بعيد عن البلد قدر ساعة من الزمن. وما رؤيتي لتلك الطيور إلا من ضوء النار. وأنا إذ ذاك ببستاني مقابلا للبحر والمرسى والبلد. وعندما ابتدأ القتال لم يقدر أحد من أهل البساتين على الذهاب للبلد، لأن الطرقات قد قطعت من ضرب الكور الذي كان كالمطر الغزير، فكنت لا ترى إلا الغبار، وبعد ما رأينا الطيور، تبدَّل مجرى الريح، وأصبح ريح بر، وأعطى الله المطر في تلك الساعة، وصار الريح يخرج مراكبنا من المرسى، بعد ما احترق رباطها، وكلها صارت نارا، ثم أن العدو قد نفد له البارود، فرفع مخاطفه، ونشر شراعاته وخرج. فعند ذلك رجعت الحياة للمسلمين، وقاتلوه قتالا عظيما....)

على أن معاينته ووصفه لمعركة الاحتلال الفرنسي كانت مشوبة بالحسرة على ضياع هذا القطر الاسلامي العربي العظيم، وسقوطه في يد المحتلين. وما أصدقه وهو يصف العمارة البحرية الفرنسية، ورميها للجزائر بالقنابل قائلا: (ثم قدمت العمارة في البحر ثلاث مرات بقصد القتال مع الأبراج. فأول مرة وصلت العمارة قبالة برج «قانت الغول»، وأطلقت عليه الكور. وكنت أرى الكور تنزل على الأرض مثل المطر الغزير، وأنا إذ ذاك أنظر من برج مولاي حسن. وكان البرج يضرب السفينة وأحدث بها أضرارا، وكذا غيرها من السفن، لكنهم كانوا يضربون من

القلاع، أما العمارة فيتبع بعضها بعضا..). وما أشد حسرة صاحب المذكرات نقيب الأشراف وهو يصور نهاية الجزائر بعد تسليم أميرها للفرنسيين قائلا: (وشاع خبر عند الناس بأن الأمير أخذ الأمان من العدو على نفسه، وأهله، وماله، فاجتمع أعيان البلد، وذهبوا إليه بعد صلاة العشاء، فقال لهم: ماذا أتى بكم؟ فقالوا له: أنت فعلت كذا وكذا؟ فقال لهم: إن الكلام لا يكون بالليل. وغدا ائتوني أتكلم معكم، فذهبوا و بات المسلمون في حيرة عظيمة. ولما طلع النهار قدموا إليه، فأمرهم بالدخول للمسجد ليتكلم معهم. فدخلوا و بقوا ينتظرون قدومه. وهو بعث رسوله الأول إلى العدو، وطلب الأمان لأهل البلد في أنفسهم وأموالهم، و يسلمونه البلد دون قتال. فكتب لهم الجنرال - يريد الجنرال دى بورمون قائد الحملة الفرنسية على الجزائر - كتاب(1) الأمان في نفوسهم وأموالهم، ومساجدهم وأمور دينهم، وأن لا يتصرف في شيء من أمورهم إلا في الأمور المخزنية. وأنه قبل الزوال يدخل بعسكره للبلد، فان ضربوه بوجه من البارود فإنه يقتلهم و يسبي نساءهم وذراريهم وان أقام كل واحد بداره ولم يضربوه، فهم على الأمان مثلما كتب لهم. فلما وصل الرسول للأمير ودفع له الكتاب فبعث به لهم مع ترجمانه، وقال لهم: إن الأمير أعطى البلد للنصراني من غير قصد، وهذا ما أراد الله تعالى، وقد أحاط العدو بالبلد، ولم نقدر على دفعه لكثرة جيوشه. وجيوشنا كلها هربت، والعدو داخل نصف النهار. وقد خاف الأمير من كشف النساء والصبيان، وأخذ لكم الأمان منه، وها هو كتابه! وإياكم أن يضربه أحد منكم، و يلزم كل واحد داره حتى يفعل الله مايريد.. فلما سمع الناس مقالة الترجمان خرست ألسنتهم، حتى لم يقدر أحد أن يجيبه بشيء، وذهب كل واحد لداره...)

ثم أخذ المؤلف يصف خاتمة ملوك الجزائر بعد خاتمة ملكهم بقوله في نهاية المذكرات: (إلا أن أيام ملكهم أخذت في الادبار، وانقضت كواكب سعودهم وأفلت من منازلهم الشموس والأقمار. وهذه الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا ييأس سقيمها. وبهذا جرت عادة الله في خلقه إنما الدهر دول بعد دول، وهو لا يُسأل عما يفعل، وهم يُسألون. صدق الله العظيم).

و بالإضافة إلى القيمة التاريخية لهذه المذكرات، فان هناك ناحية لغوية تهمنا من حيث الألفاظ التى كانت مستعملة في القطر الجزائري في أوائل القرن الماضي، ومن حيث اختلاف هجائها عن مثيلاتها في المشرق، ومن حيث الترجمة والتعريب لكثير من الألفاظ والمصطلحات على نحو ما كان جاريا في المشرق مع اختلاف البناء اللغوي للألفاظ المعربة.

فمؤلف المذكرات يطلق لفظ (الكريك) أو (الكرايك) على الأغريق أو اليونانيين الذين نطلق عليهم في المشرق لفظ (الجريج). أما شهر يناير عندنا فكانوا يطلقون عليه في الجزائر والمغرب: (شهر إينار) ص ٤٧. أما السفينة الحربية المسماة بالفرنسية «كورفيت» « Carvitte » فقد أطلق صاحب المذكرات عليها اسم: (الكربيط)، وهو تعريب للفظ الفرنسي كان شائعا في لغة الجزائر بين يومئذ. كما أطلق اسم (الكوطر) على المركب البحرى الصغير وأطلق لفظ: (البردقيز) على أهل البرتغال أو البرتغاليين، وهو - كما نرى - تعريب محرف للأصل الفرنسي. وأطلق كلمة: (راى) على كلمة Roi الفرنسية بمعنى: الملك وهو تعريب محرف للأصل الفرنسي كان يستعمله المؤرخون السابقون من عرب المشرق. و يسمي صاحب المذكرات الأمريكان أو أهل أمريكا: (المركان) ص ١١٧. و يسمي الخليج: الغلف، فيقول مثلا في صفحة ١١٨ (غلف بلنسية) أى خليج بلنسية، وهي تعريب لكلمة: Gulf الأجنبية. و يسمي الرداء الخارجي الذي يلبس فوق الثياب كالعباءة والمعطف: الكبوط، ويجمعه على كبابيط، وهو تعريب للأصل الفرنسي: Capate و يستعمل لفظة «بلونكو» مقابلا للفظ «الحصار» العربية، وهي أجنبية معربة... وهكذا نرى التعريب كان سائداً وساريا على كثير من الألفاظ في المعجم العربي الجزائري في القرن الماضي.

على أن الألفاظ العربية الأصل كانت مختلفة عن نظائرها في مصر والشرق العربي في ذلك الزمان. فهو يستعمل مثلا:

لا يتعوّشون ، أى لا تشمئز نفوسهم ص ٣٣

حكة النقّة ، أى النشوق ص ٤٤

سيف مُحجرٌ ، أى مرصع بالاحجار الكريمة ص ٤٦

هو أكبر القُيّاد ، أى أكبر القواد. ص ٤٨

الزّرع ، أى القمح فقط، ص ٤٩ أو الشعير، ولا يطلق الزرع على ما عداهما

بكاء الفُجّار ، أى بكاء مصطنع كبكاء التمثيل، ص ٧٨

النباچى ، أى النوبتجي ، أو صاحب النوبة، ص ٨٠

البلهوانات ، أى البهلوانات ، بتقديم الهاء على اللام ص ٨٢

ذهبوا للحارة ، أى حارة اليهود، كما نسميها نحن في مصر، ص ٨٨
تخريج المسودات ، أى تبييضها ، ص ٩٧
التعمير ، أى بلوغ أرذل العمر، ص ١١٥، حيث يقول: (دخل في مدة التعمير)
اسفرار الشمس، أى اصفرار الشمس، ص ١٢٤. ولا أعلم من يقلب الصاد سينا هنا
فذهب البرّاح ، أى المنادي العام. ص ١٣٤
بعث للباشا بالقَلَج ، أى السيف، ص ١٤٥
لكان أحسن من هذا الدّاب ، أى هذا الحمار.. ص ١٤٦
أعطاه وطنا يتصرف فيه ، أى ضيعة يتصرف فيها، ص ١٥٠
حق الخطاف ، أى حق رسو السفن، ص ١٥٢
صُنَيْدِقة نفَّة ، أى علبة صغيرة للنشوق، وهي الحق الذى يوضع فيه النشوق، ص ١٥٤
ثم بنى لهم نوالات ، أى بنى لهم أكواخا، والواحد: نوالة، ص ١٥٥

وليست هذه الحصيلة اللغوية العجيبة التى تمثل اللغة العربية المعاصرة لاحتلال فرنسا للجزائر هى كل ما في هذه المذكرات الجليلة من مزية للتاريخ الحقيقي لتطور اللغة العربية في المغرب، ولكن هنـاك كثير من الصور الاجتماعية التى كانت سائدة في المجتمع الجزائري في القرنين الماضيين، فهناك مثلا صورة (الخنق) للتخلص من الأعداء الحاكمين وذوي السلطان المنافسين، فقد تعددت مثلا حوادث الخنق للغرماء المراد التخلص منهم من عام إلى آخر، وقد علق المحقق العلامة أحمد توفيق المدني على هذه الظاهرة المتكررة بقوله: (الخنق هو وسيلة الإعدام الوحيدة بالنسبة للأتراك، سواء أكانوا باشوات أو جنودا). هامش ص ٥٩.

و يصور لنا المؤلف صاحب المذكرات حادث خنق الوالى عمر باشا بقوله ص ١٣١: (فقال لوزرائه: ماذا تقولون أنتم؟ فلما رآهم ساكتين، مطرقين برؤوسهم إلى الأرض، وضع السلاح الذى كان عليه، وقال لهم: افعلوا ماشئتم! وذهب لموضع يقال له الجنينة، واستقبل القبلة، وأمرهم بأن يخنقوه. فجاء الحراس وخنقوه. فلما مات بعثوا بخنجره إلى «على خوجة» الذى أولاه الجند...). وموضع العبرة في هذه الحادثة أن الوالى المغلوب على أمره نفسه هو الذي أسلم نفسه إلى الجند ليخنقوه!!

على أن أغرب ما في هذه الصور الاجتماعية التى حدثت في القرن الماضي هو ذلك التزوير لقوائم مرتبات لجنود وهميين لا وجود لهم في عالم الحقيقية، وبهذا الزيف الحقير يستولي لصوص مزورون على أموال تصرف من خزانة الدولة لأشخاص خياليين. وقد كان من حسنات الوالي الجزائري محمد باشا الذي تولى إمارة الجزائر سنة ١٨١٤م أنه أمر بتصحيح دفاتر الجيش، وإلغاء مرتبات الذين لا وجود لهم.. ولكن ذلك أفضى إلى اثارة الفتنة بين من يهمهم بقاء الفساد في البلاد.

ومن حسنات الحكم في عهد ولاية على باشا سنة ١٨١٦م أنه عزم على العمل بحكم الله، وشريعة الإسلام، فأمر بأبطال الزنا والخمر، (ومن وجدوه مخمورا، أو زانيا، فيبعث به للقاضى لاجراء الحد الشرعي. وأمر الناس بالصلاة مع الجماعة، ونادى مناديه: أن من يبقى بدكانه بعد الأذان، فلا يلومن إلا نفسه..)

وما أكثر الأفراح التى كانت تقام في الجزائر الشقيقة لكل مناسبة سعيدة، فعندما كان الوالي الجديد يقَلّد فرمان السلطان العثماني بتوليته، كانت تقام لذلك حفلات ومهرجانات، أوجزها صاحب المذكرات بقوله: (ثم جعلوها نزهة في تلك الليلة في باب الجاد. واجتمع الديوان والعلماء ونقيب الأشراف والمشائخ وأعيان البلد، ومن لزم حضوره من الكرام، ثم ألبسوا الخلعة للباشا وتقلد القلج - أي السيف - وقرىء الفارمان جهرا على رؤوس الملأ، وأطلقت المدافع باعلان البشارة، و بسطت الأكف بالدعاء، وابتهل كل الناس بالطلب من المولى المنان، دوام نصرة السلطان، ثم جلس الأمير على كرسي المملكة، وأجريت رسوم تقبيل يده، و بورك له بالأمر الذى استولى عليه. وكان يوما معهودا بالسرور، لم يشهد مثله في غابر الدهور..)

وقد كانت الصلات دائما وثيقة بين ولاية الجزائر العثمانية، و بين السلطان العثمانى، أو الباب العالي في استنبول. فكل فرح هناك يكون صداه فرحا هنا. فاذا ما ولد للخليفة التركي ولي للعهد، جاء البشير إلى الجزائر - كما كان يجيء إلى أى قطر عربي أو إسلامي آخر تابع للدولة - كما حدث في ١٢٤٠ هـ - ١٨٢٤ هـ حيث (قدم قبجي باشا - من الحضرة العالية - ببشارة ولادة السلطان عبد المجيد، فأنزلوا القبجي باشا، ومن الغد قرىء مكتوب بشارة السلطان. ففرح جميع المسلمين، ودعوا للسلطان بالنصر والتأييد، وللوليد الجديد بطول العمر، وأن يكون خليفة لأبيه من بعده، وضربت المدافع سبعة أيام صباحا ومساء، وكتب الأمير البشارة للبايات ولجميع العمال..) ص ١٤٥. وبمناسبة ضرب المدافع في المناسبات السعيدة والهدن والمصالحات مع العدو، ذكر

صاحب المذكرات في حرب دارت بين الجزائر وبين الانجليز سنة ١٨٢٢م وانتهت بمهادنة بينها أن القنصل الأنجليزي كتب لأمير البحر البريطاني المقيم بمالطة يومئذ وأخبره بالقضية، فبعث له أمير البحر بمركب من مراكب البحر وعليها قرصان، (فلما أرسى بالجون - كعادة قرصان النصارى - أطلق اثنين وعشرين مدفعا من غير كور - أي من غير قنابل فهي طلقات مدافع لا غير - وردّت عليه مدافع باب الجهاد بأحدى وعشرين طلقة، كما هي عادة النصاري مع المسلمين) ويزيدنا مؤلف المذكرات رحمه الله علما بالسبب في اطلاقنا نحن واحدا وعشرين طلقة، بينما يطلق النصارى اثنين وعشرين، فيقول: (لأننا نتمثل لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وتر يحب الوتر»)

وبعد ! فان كتاب (مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، نقيب أشراف الجزائر) هو إضافة ثمينة نفيسة إلى المكتبة العربية، بما فيه من تسجيل دقيق لتاريخ الجزائر في حقبة دقيقة من تاريخها المشرف الطويل، وبما فيه من تدوين واع لأحداث الاحتلال الفرنسي لهذا القطر الجليل، وبما رصعت به هوامشه وحواشيه وخواتم فصوله بتعليقات ثمينة أمينة واعية كتبها صديقنا العلامة المؤرخ المجاهد النجد «أحمد توفيق المدني»، أعز الله به وبأمثاله - المناضلين في سبيل الله والأوطان - ربوع العرب ودول الإسلام.

(١) و يعرف هذا الكتاب باتفاقية تسليم الجزائر.

المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن لابن مرزوق التلمساني

محمود بوعياد

● درس في جامعة القرويين بفاس بالمغرب ومعهد الدراسات العليا الاسلامية في جامعة الجزائر، حصل على ليسانس في الأدب والتاريخ، ثم دكتوراه الطور الثالث في التاريخ من جامعة الجزائر، ودرس المكتبات في باريس، يعمل حالياً مديراً للمكتبة الوطنية الجزائرية وأستاذاً مشاركاً في معهد علم المكتبات والتوثيق بجامعة الجزائر، له مؤلفات ومقالات في التاريخ والمكتبات.

ابن مرزوق التلمساني، محمد/المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا.- الجزائر: المكتبة الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١م، ٦٠٢ ص (النصوص والدراسات التاريخية - ٤).

حيـاة ابن مرزوق

ينتمي محمد بن مرزوق الخطيب مؤلف «المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن» إلى أسرة عريقة في المجد والعلم والصلاح من المغرب الأوسط (الجزائر الحالية)، وقد احتل عدد كبير من أفراد هذه الاسرة مراكز مرموقة في العلم، والقضاء، والفتيا، والخطابة، مدة ثلاثة قرون، في تلمسان مسقط راس اكثرهم، وفي عواصم أخرى من المغرب الاسلامي. ولكثرة عددهم وتشابه اسمائهم إذ حملوا كلهم الاسم العائلي، اضطر مؤلفو كتب التراجم أن يلحقوا بعض الألقاب والنعوت لكل واحد منهم، حتى يتمكن القراء من التمييزبينهم، فعرف واحد بالجد والثاني بالحفيد والثالث بالكفيف والرابع بحفيد الحفيد وهكذا.

وقد ولد محمد بن مرزوق الذى يعرف بالجد والخطيب والرئيس أيضا في تلمسان سنة ٧١٠هـ/١٣١٠م. واصطحبه والده معه وهومازال في بداية شبابه في رحلة إلى المشرق لاداء فريضة الحج، وقد اغتنم ابن مرزوق الشاب هذه الرحلة الطويلة للأخذ على اشهر علماء العصر. وقد بلغ عددهم مائة وخمسين شيخا، ولما عاد سنة ٧٣٧هـ إلى مسقط رأسه،وجد السلطان أبا الحسن من بني مرين، الأسرة المالكة في فاس بالمغرب الاقصي، محاصرا منذ سنتين تلمسان، عاصمة أبناء عمومتهم ومنافسيهم في الحكم، ملوك بني عبد الواد أو بني زيان كما يسمون أيضا. فاتصل بالعاهل المرينى الذى اعجب بغزارة علمه، وفصاحة لسانه. ولما انقضى الحصار واستولى أبو الحسن على تلمسان اصطحبه معه وضمه إلى حاشيته مع العديد من أهل العلم، إلا أن ابن مرزوق حظى بمكانة مرموقة في هذه الحاشية، فكان أقرب المقربين إلى

السلطان، فرافقه في حله وترحاله، وشهد معه أكبر الوقائع، ومكنته منزلته من خوض غمار السياسة فتولى عدة مناصب.

و بعد نكسة أبي الحسن في القيروان عرف ابن مرزوق حياة مغامرات لا استقرار فيها. فمرة يعرف العز والسؤدد، ومرة التقلبات والمحن. وقد خدم ملك تلمسان كما خدم خلفاء السلطان أبي الحسن، وانتقل بين اقطار المغرب الاسلامي من تونس إلى غرناطة. ومكنته مهامه ورحلاته من التعرف على معاصريه الكبير ين عبد الرحمن ابن خلدون ولسان الدين بن الخطيب.

ومن غريب الصدف أن حياة ابن مرزوق تشبه إلى حد بعيد حياة صديقيه، فعرف مثلهما الجاه والمناصب السياسية العالية كما تعرض مثلهما لسخط أولي الأمر وللمحن والسجن.

وقد أبعدته الفتن وتقلبات الدهر عن مسقط رأسه، وعن عاصمة بني مر ين، فالتجأ إلى تونس حيث استقبل أحسن استقبال. ثم رحل عنها بعد إقامة طويلة.. وكانت خاتمة المطاف في القاهرة حيث أكرمه أولو الأمر وولوه أعلى المناصب الدينية والعلمية، و بالعاصمة المصرية كانت وفاته سنة ٧٨١.

ابن مرزوق العالم والمؤلف :

وماكانت هذه الحياة السياسية الصاخبة بالنشاط - إذ يقال أنه خدم ثمانية ملوك في العواصم التالية: غرناطة وفاس وتلمسان وتونس والقاهرة - أن تحول بينه و بين العلم والتدر يس والتأليف. وقد لخص صديقه لسان الدين بن الخطيب الجانب العلمي والثقافي من حياة صديقه. فما قال عنه أنه كان «غاص المنزل بالطلبة منقاد الدعوة، بارع الخط انيقه، عذب التلاوة، متسع الرواية، مشاركا في فنون من أصول وفروع وتفسير، يكتب و يشعر و يقيد و يؤلف، فلا يعدو السداد في ذلك، فارس منبر غير جزوع ولا هياب» (ابن مريم، البستان، ص ١٨٦).

وقد خلف ابن مرزوق الخطيب عددا من التآليف ذكرها له اصحاب التراجم: منها كتب في الفقه والأصول والسيرة، إلا أن أشهرها هو الكتاب الذى خصصه لوصف الحياة في بلاط ولى نعمته السلطان أبي الحسن المر يني وهو: «**المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**» وقد مكنه تقربه من السلطان مدة طويلة من الاطلاع عن كثب على سيرته الخاصة، وعلى سلوكه في رعيته أعلاهم وأدناهم. وقد شرع ابن مرزوق في تأليف الكتاب في مهجره التونسي وأتمه سنة ٧٧٢هـ/١٣٧١م.

و يبدو واضحا من مقدمة المسند حيث بسط المؤلف أهداف كتابه، أن ابن مرزوق كان يقصد بكتابة هذا التأليف، نيل رضا حفيد أبي الحسن المتربع على عرش فاس، عله يسترجع مكانته في الدولة، و يعود إليه جاهه المفقود. إلا أن آذان البلاط الفاسي المنهمك حينذاك في اضرام فتن، واخماد أخرى، لم تصغ للنداء الصادر من تونس. وقد كان لهذا الهدف من التقرب إلى الدولة المر ينية الأثر الكبير في مضمون الكتاب إذ أن المؤلف قد اطنب كما سنرى في مدح أبي الحسن وذكر سجاياه.

وصرح المؤلف نفسه بهذه الأهداف في مقدمة الكتاب حيث قال بعد أن أعرب عن «لواعج الأشواق» و «ألم البعد والفراق» و بعد أن ذكر أن النفس قد حرمت من «مشتهاها ولم تدرك من مشاهدة ماهي مغرمة به متمناها..» (ص ٩٣)، واصل قائلا :

«بادرت، حين تعذر أملي وتغيرت في الوقت طرقي إلى محله الشر يف وسبلي، أن أتقرب إليهم بما يجدد في حضرتهم العلية ذكره، و يرى اسناد حديثي الصحيح وخبري، ورأيت أني قد حصلت مناقب مولاى المرحوم مالم يحصله من صنفي غيري، فأهديت حلاهم إليهم، وقدمتها وسيلة بين يديهم..» (ص ٩٣-٩٤).

وهكذا نرى أن محمد بن مرزوق ارتأى كوسيلة للعودة إلى منصبه في البلاط المريني أن يؤلف للحفيد كتابا عن مناقب الجد. ومن المعروف أن الدولة المر ينية المازيغية الأصل التى لم يكن نسبها يمت بصلة إلى النسب الشر يف خلافا للأدارسة، ولم تأت بفكرة دينية أو مذهبية جديدة خلافا للمرابطين ثم بعدهم الموحدين الذين دخلوا التار يخ بفكرة مذهبية جديدة، حاولت أن تحيط المؤسسين الأولين للدولة بهالة من الورع والتقوى والخصال الحميدة، فوصف الخلف منهم أسلافهم من الملوك الأولين بالتعبد والصلاح والتفاني في الجهاد لرد المعتدين من المسيحيين على الاسلام في الاندلس، ولاشك ان ابن مرزوق كان على علم بهذه الظاهرة فابتغي مجاراة هذا التيار السائد في البلاط المر يني، وعند المؤرخين الرسميين للدولة بكتابة تأليف خصصه لذكر مآثر ومناقب أبي الحسن عله يجلب له عطف الحفيد.

محتوى المسند :

وهل يعني هذا أن «المسند» هو كتاب مناقب وكرامات كغيره من صنف هذه التآليف؟ أن كتاب ابن مرزوق رغم تأكيده على تبجيل ولى نعمته السابق، ورغم أنه يهدف إلى ابراز

خصال العاهل الراحل في كل مجالات الحياة، جاء مشحونا بالاخبار التاريخية عن الدولة، وعن بلاد المغرب والمعلومات المتنوعة الفريدة من نوعها في اكثر الأحيان، عن الدولة من عدة جوانب سياسية، وادارية، وروحية، وثقافية، وعمرانية. وكان أكثر ما حكى ابن مرزوق ثمرة مشاهداته الخاصة، والقليل الباقي رواه له شاهد عيان أيضا. وهذا ما أكسب المسند القيمة التوثيقية الكبرى عند الباحثين المعاصرين من عرب وغربيين، إذ يعتبر تأليف ابن مرزوق في المكتبة العربية على غناها، أثرا فريدا من نوعه، تطرق إلى حياة دولة اسلامية من الداخل. فكان ذلك أكبر ميزة للكتاب.

تقسيم الكتـــاب

بعد المقدمة، وفصل خصصه للحديث عن الخلافة ومفهومها، شرع المؤلف في تقديم الأبواب الخمسة والخمسين التي يضمها الكتاب، والتي قسمها بدورها إلى فصول. وقد تناول في كل واحد منها جانبا من جوانب حياة أبي الحسن الغنية بالأحداث، وقد تعرض المؤلف لجوانب حياة السلطان كلها في هذه الأبواب. فبعد الكلام عن كمال صورته، وتربيته، وحسن خلقه، خصص بابا لكل ظاهرة من ظواهر خلقه، ومعاملته للناس. فما تطرق إليه حلمه، وصبره، وبره بوالديه، وعدله، وتودده إلى الناس عموما وخصوصا، كما تطرق إلى علاقته بمن حوله من أهل العلم، ورعاية ذوى الأقدار والأحساب.

أما من الناحية السياسية. فقد خلف لنا ابن مرزوق تقارير نادرة المثيل عن ميل السلطان إلى الشورى، وعن جلسائه، ووزرائه، وكتابه، وعن حروبه، كما وصف السلطان في حياته اليومية من يقظته إلى أن يعود إلى النوم ليلا. فلم يترك لنا خافية في هذا الوصف. فذكر لنا أوجه نشاطه اليومي كلها وسائر أعماله وتصرفاته. ومما تناوله أيضا بالحديث المنشآت العمرانية الكثيرة التي أنشأها. ويعتبر أكثرها من روائع الفن المغربي، كانشائه للمساجد والمدارس، والمارستانات، وبنائه القناطر والمحارس في السواحل لمراقبة سفن الاعداء المغيرين على شواطئ البلاد، وتمهيده طرق المسافرين، وطرق الحج.

ويعود المؤلف في آخر كتابه إلى الكلام عن خصال صاحبه ومزاياه المحمودة، فيتحدث على سبيل المثال عن علو همته، وعن سيرته في أسفاره، وعما اختص به من نسخ لكتاب الله. وأنهى ابن مرزوق كتابه بخاتمة خصصها للحديث عن ظروف اتصاله بالسلطان، وعن كيفية معاملة العاهل له وعن علاقتهما. فكان هذا القسم الأخير بمثابة مذكرات.

طريقـــة التأليف :

يستهل المؤلف أكثر الأبواب والفصول بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية والأدب العربي في هذا المجال، ثم ينتقل إلى صميم الموضوع وهو الكلام عن أبي الحسن، وهذا أيا كان الموضوع خلقيا أو سياسيا أو خاصا بالعلاقات الاجتماعية. فعلى سبيل المثال نراه يسلك هذا المسلك عند ما يتناول موضوع وزراء أبي الحسن. فانه يستهل الباب بفصل يذكر فيه أحاديث نبوية في موضوع الوزارة. كقوله ص: «ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، والمعصوم من عصمة الله» ثم يأتي بحديث ثان في الموضوع نفسه، ينتقل بعده إلى الكلام عن عدم الاستغناء عن الوزير ويستشهد لذلك بقوله تعالى: «واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي» ويذكر أن موسى عليه السلام نبه إلى حكمة الوزارة بقوله: «اشدد به أزري واشركه في أمري» ويضيف إلى ذلك أقوالا للمفسرين. وبعد كلام الله وحديث الرسول (ص)، يذكر كتاب «كليلة ودمنة»، ثم قصصا من التاريخ الاسلامي. ولعل المؤلف لم يجد أبياتا من الشعر العربي يستشهد بها في هذا الموضوع. غير أننا نلاحظ أنه يكثر من رواية الشعر في أكثر الفصول الباقية من الكتاب، إلا أنه أحيانا يشرع في الموضوع مباشرة، وهذا ما فعله مثلا في الباب المخصص لبناء المارستانات، وكذلك في الباب الذي تحدث فيه عن إنشاء القناطر والسقايات.

ومما زاد من قيمة المسند أن ابن مرزوق كتب كتابه كله بما في ذلك الفصول الاستهلالية باسلوب مرسل بسيط لا سجع فيه ولا زخرفة، وهذا في عصر ساد فيه هذا النوع من الكتابة المنمقة. فهو أشبه في ذلك بابن خلدون منه بابن الخطيب الذي أكثر من استعمال الاسلوب المزخرف، وقد برهن في فصول الكتاب كلها على اطلاعه الواسع في جميع مجالات العلم والأدب المعروفة في زمانه، كما أبان قدرته على الاستدلال بالنصوص والحجج الموضوعية. فهو أحسن ممثل للثقافة الاسلامية بالمغرب في القرن الثامن الهجري.

القيمة التوثيقية للكتاب :

يورد مؤلف «المسند» كلما تحدث عن حياة صاحبه أبي الحسن، وعن معاملته للناس افرادا وجماعات، وكلما تحدث عن سياسته وانجازاته المعمارية والعلمية والاجتماعية، أخبارا ومعلومات ذات قيمة توثيقية لانجد مثيلاتها في المؤلفات القديمة إلا نادرا. إذ يذكر حسب الموضوع، نوع الأنظمة الادارية والسياسية، وأسماء المسؤولين، وأسماء الاقاليم والأماكن. فهذا اسم وزير أو اسم امام أو اسم قنطرة. و يصف وصفا دقيقا المنشآت، كما لا يغفل عن ذكر العلاقات الاجتماعية والعادات. وقد تخللت كل هذه القصص والمذكرات، تفاصيل تاريخية قلما نجدها في كتب التاريخ بالمعنى التقليدي إذ أن مفهوم التاريخ قد تطور في زماننا ولم يبق يعنى فقط كما هو معروف سير الأحداث وتسلسل الملوك والمعارك التي خاضوها، والثورات التي أخمدوها أو اتت عليهم، بل أصبح التاريخ اليوم يهتم بحياة الشعوب، وأساليب معيشتها، في ملبسها ومأكلها ومسكنها، ويهتم بعقائدها واخلاقها وعاداتها، وقد جاء كتاب المسند زاخرا بمثل هذه المعلومات، وهذه التفاصيل التي يحتاجها المؤرخ بالمعنى التقليدي، وكذلك مؤرخ الأنظمة السياسية والادارية، ومؤرخ الاقتصاد، ومؤرخ الهندسة المعمارية، والإختصاصي في الحياة الاجتماعية والازياء والاسلحة وهكذا.

ومن الأمثلة الكثيرة التي يمكن ذكرها لاعطاء فكرة عن محتوى هذا الكتاب، ما حكاه في الباب الخاص بمحو بعض المكوس، وهو باب بالغ الأهمية من عدة جوانب وخاصة من الناحية الاقتصادية والمالية والعسكرية فمّا ذكر:

«أما ما أحفظ له مما رفعه بمدينة فاس المحروسة، فأولها ما كان يرفع من فوائد المروس، كان يؤخذ عن ذلك مال جسيم، يصرف في مرتبات النصارى الملازمين للخدمة، وهو مال طائل ينتهي عدد النصارى إلى ثلاثة آلاف فارس وإن قلوا فإلى ألفين، ورواتبهم كبيرة من الخمسين دينارا من الذهب إلى خمسة دنانير ذهبا في كل شهر غالبا، فينفذ ذلك كله مما ذكرناه. فرفعه رضى الله عنه، ومحا أثره، ولم يبح لهم من الخمر إلا مايسوغ لهم، ومن ظهر عليه أنه باعه لمسلم أو استظهر به، بولغ في عقوبته وجعل عبرة للمعتبر، وعوض لهم مرتباتهم من بيت ماله لانتفاع المسلمين بهم..» (ص ٢٨٢).

فان المؤرخ وغيره من الباحثين يستخرجون من هذه القصة عدة فوائد لا سبيل إلى ذكرها الآن، وقد اخترنا مثالا ثانيا له فائدته العسكرية والمعمارية، وقد جاء في الباب الخاص «بانشاء المحارس والمناظر في جميع بلاد السواحل وهي مواضع الرباط». فمّا ذكر ابن مرزوق:

«أنشا هذا المولى رضى الله عنه من المحارس والمناظر ما لم يعهد مثله في عصر من الاعصار. وحسبك أن مدينة آسفى وهي آخر المعمورة إلى بلد الجزائر، جزائر بنى مزغنان آخر وسطى الغرب وأول بلاد افريقية، محارس ومناظر، إذا وقعت النيران في أعلاها تتصل في الليلة الواحدة أو في بعض ليلية، وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحوا من شهرين، وفي كل محرس منها رجال مرتبون، نظار وطلاع، يكتشفون البحر، فلا تظهر في البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين، إلا والتنير يبدو في المحارس يتحذر أهل كل ساحل من السواحل ساحلهم، فأمنت السواحل في أيامه السعيدة، ما كان يستمر فيها من أسر أهل البوادى وتصبيحهم والاستيلاء على كثير من أهل العمود الذين يأوون إلى البلاد الشطية والسواحل». (ص ٣٩٨)

ولا شك في أن الفوائد الجمة الكثيرة التي بامكان المؤرخين استخلاصها من مثل هذه القصص والاخبار هي التي دعت المؤرخ الفرنسي الشهير ليفي بروفانسال الاختصاصي في تاريخ الاندلس والمغرب الاقصى إلى القول: إن أهم المؤرخين للمغرب الاسلامي في الفترة الأخيرة للعهد الوسيط هم ثلاثة: ابن الخطيب، وابن مرزوق، وابن خلدون..»

ومما يزيد من قيمة هذه المعلومات أنها تخص سلطانا لدولة قوية تمكن من توحيد المغرب الاسلامي كله للمرة الثانية والأخيرة في التاريخ، ولو لفترة قصيرة، بعد عبد المؤمن بن على الذي تمكن قبله من فرض سلطة الموحدين على أرجاء المغرب كلها. والمؤلف من جهة أخرى أحد أبناء هذا الجزء من الوطن العربي، يحمل ثقافة واسعة في مجالات متعددة، وجاب أطراف العالم الاسلامي كما سبق ذكره، وليست المشاهدات والأحداث التي دونها مفيدة لمؤرخ الدولة المرينية فحسب بل هي مفيدة أيضا لمؤرخ الدولة الزيانية في المغرب الأوسط ولمؤرخ الدولة الحفصية بافريقية. فامكانهم أن يغترفوا من هذا السجل الحافل بالاحداث التي عاشها المغرب الاسلامي في أواسط القرن الثامن، فلا هذا النوع من الأحداث التي سجلها ابن مرزوق الفراغ الموجود في الكتب التاريخية الأخرى التي لم تهتم إلا نادرا بمثل هذه المشاهدات والأخبار.

وإن كان هدف ابن مرزوق من تأليف «المسند» هو التقرب إلى السلطان الحاكم في فاس كما ذكرنا سابقا، قد يدفعه إلى أن يتغاضى عن عيوب أبي الحسن وإلى أهمال ذكر كل ما يسيء بسمعته. إلا أننا لا نستطيع أن نتهمه بأختلاق هذه الحكايات والأحداث ليشيد بخصال صاحبه، و يبين محامده ومزاياه لأنه لا يروى الطرائف والنكت، بل يحكى ماشاهد عياناً. وهذا مما يز يد من قيمة هذه المعلومات فان كتب التاريخ الأخرى التى تناولت بالحديث بنى مر ين قد بينت من جهتها عظمة أبي الحسن وتفوقه على كثير من نظرائه، وأكدت عددا من الأحداث التى أدرجها ابن مرزوق في كتابه، كما ذكرت المنشآت التى شيدها العاهل المر يني، وخصها مؤلف المسند بوصف دقيق. ونذكر من هذه المؤلفات «كتاب العبر» لعبد الرحمن بن خلدون، «والذخيرة السنية» لمؤلف مجهول «وروضة النسر ين» لابن الأحمر وغيرها.

تحقيق الكتاب ونشره :

وقد ذكر عدد من المؤرخين المتأخر ين كتاب «المسند» ومنهم أحمد المقرى في «نفح الطيب» الذى ذكره ونقل عنه أكثر من مرة، كما ذكره غيره إلا أن الكتاب لم يحظ برواج كبير، والدليل على ذلك أن النسخ المخطوطة للمسند قليلة جدا. فلم يعرف منها في عصرنا إلا نسختان إحداهما في الخزانة العامة في الرباط. والثانية في دير الاسكور يال باسبانيا.

وأول من نبه إلى «المسند» ونشر أقساما منه وترجمها إلى الفرنسية المستشرق الفرنسى ليفى بروفسال المتقدم الذكر. وذلك سنة ١٩٢٥م في مجلة «هيسبير يس» الصادرة في الرباط.

وفي سنة ١٩٧٣م قدمت الآنسة الأسبانية مار يا خيسوس بيغيرا رسالة دكتوراه إلى جامعة مدر يد موضوعها «المسند» لابن مرزوق، قدمت ترجمته إلى الاسبانية وتسبقها دراسة ضافية عن المؤلف وآثاره. وقد نشر نص الرسالة المعهد الأسبانى العربى للثقافة في مدريد. ثم عرضت الآنسة على المكتبة الوطنية الجزائر ية نشر نص المسند المحقق ضمن منشورات المكتبة التى اكتسبت بعد سنوات قليلة من نشأتها، سمعة طيبة في عالم البحث والنشر الجامعي. وتم الاتفاق وقامت الدكتورة بيغيرا بتحقيق كتاب «المسند» تحقيقا علميا يشرفها، معتمدة على النسختين المعروفتين. وقد خصصت المحققة قسما كبيرا من الكتاب إلى دراسة حياة ابن مرزوق وآثاره وخاصة منها «المسند» وأردفت النص المحقق بكشافات مختلفة.

وهكذا ازدانت سلسلة «النصوص والدراسات التاريخية» لمنشورات المكتبة الوطنية الجزائر ية بهذا المولود الجديد فأتحفت هكذا المكتبة العربية بأثر نادر المثال.

كتاب العدد

كتب الأطفال في الدول النامية لآن بيلوسكي

محمد بسام ملص

• بكالوريوس في اللغة الانجليزية وآدابها من الجامعة الأردنية عام ١٩٧٤م
يعمل في مكتبة جامعة موته بالأردن.

هذا الكتاب .. عن كتب الأطفال في الدول النامية.

من سلسلة Books about Books اصدرته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة UNESCO عام ١٩٨٠ وعنوانه Made to measure: children's books in developing countries للمؤلفة آن بيلوسكي Anne Pellowski باللغة الانجليزية. والكتاب هو من ضمن جهود المنظمة لاثارة الانتباه حول العوامل المحددة التي تحول دون نشر كتب الاطفال في الدول النامية. يقع الكتاب في ١٢٩ صفحة من القطع المتوسط بالاضافة إلى ١٦ صفحة لنماذج عدة كتب للاطفال في تلك الدول.

عملت المؤلفة في مجال قراءة القصص في المكتبات العامة وتنقلت كثيرا في العديد من دول افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية واوروبا. وقد أنشأت وادارت

The Information Centre on Children's Culture of the United States Comittee for Unicef

مركز معلومات يضم مكتبة ومتحفا وقاعة درس، و يعتبر واحدا من أهم الأماكن للمواد المرجعية حول ثقافات الأطفال في الدول النامية. وللمؤلفة كتب منها (١٩٦٨) The World of Children's Literature و (١٩٧٧) The World of Storytelling والكتاب هو ثمرة تجربة خاضتها المؤلفة مع أدب الأطفال في العالم لمدة ٢٥ عاما. يشمل الكتاب كلمة عن المؤلفة ثم مقدمة تمهيدية لاجزاء الكتاب الثلاثة ثم قائمة كتب ومقالات استعانت ببعضها المؤلفة.

الجزء الأول تاريخ مختصر لأدب الأطفال Part I
A brief history of children's literature

تقع كتب الأطفال ضمن ثلاثة أنواع :

١ ـــ كتب دينية واخلاقية واجتماعية

٢ ـــ كتب مدرسية وكتب مساعدة للمناهج المدرسية

٣ ـــ كتب ترفيهية ومعلومات عامة.

و يتناول الكتاب النوعين الاخيرين مع التركيز على الكتب الترفيهية.

ولمعظم الدول النامية بعض الانتاج في الكتب الدينية أما الكتب المدرسية فهي قليلة في حين أن الكتب الترفيهية تكاد تكون نادرة.

وما زال الآباء غير مقتنعين بأهمية شراء الكتب لاطفالهم كما أن أطفال هذه الدول لا يتمكنون من شراء الكتب بسبب ارتفاع اسعارها. وتقف الكتب العالمية ذات النوعية الممتازة من الدول المتقدمة عقبة أمام كتب الأطفال في هذه الدول.

و يصعب تقديم احصائيات وثيقة حول كتب الأطفال في الدول النامية، كما يصعب تقديم نماذج جيدة تشير إلى اتجاهات متقدمة في النوعية بسبب ضعف التوزيع.

الجزء الثاني Part II

وقسمته المؤلفه إلى ثمانية أقسام قدمت في كل قسم أسئلة محدودة اتبعتها بنظرة تاريخية ثم باسئلة موجهة إلى المختصين في كتب الأطفال مع اجابات عليها.

١ ـــ الاختبار Testing

لا يتجاوز عمر أدب الأطفال المكتوب المائة عام. وغالبا ما كان اختبار المواد حول ما يمكن أن يقرأه الأطفال لا حول ما يرغبون في قراءته. وقد ظهرت مشكلة اللغة المحكية واللغة المكتوبة (في الدول العربية مثلا). وفي السنوات الأخيرة برزت مضامين تلبي حاجات الأطفال وخاصة فيما يتعلق بالتاريخ الثقافي المحلي لكل دولة.

٢ ـــ الكتابة Writing

يضم أدب الأطفال الشفهي قيماً ترفيهية وقيماً أخلاقية واجتماعية. ومع تحول هذا الأدب إلى الكتابة في مجال التعليم اعتبر عنصر الترفيه غير ملائم. ونتيجة لذلك ظهر نوعان من كتب الأطفال: كتب لأوقات الفراغ وكتب للمدرسة. وقد ظهرت مؤلفات John Newbery (١٧١٣ - ١٧٦٧) ولاقت نجاحا كبيرا، ثم كانت هناك محاولات إبتدأت من القرن السابع عشر واستمرت حتى القرن التاسع عشر. وخلال هذه الفترة أجبر الأطفال على قراءة قصص تعليمية وعظية وقصص مأخوذة من أدب الكبار.

ومن النقاد الذين اهتموا بأدب الأطفال بول هازارد Paul Hazard وقد اعتبر أن أدب الأطفال هو ما يكتب خصيصا للأطفال مع كتب الكبار التي تناسبهم، بينما قالت ايزبيل جان Isabelle Jan إن ما يكتب للاطفال هو فقط أدب الأطفال. وقد نادى مكسيم جوركي Maxim Gorky من بأن يكون هذا الأدب عالمي النزعة. أما المربي الصيني لوهان Lu Hsun (١٨٨١ - ١٩٣٦) فطالب باختيار القصص الشعبي مع ترجمة الأعمال العالمية في أدب الأطفال.

وخلال السبعينات اتجه أدب الأطفال في الدول الناطقة باللغة الانجليزية والدول الاسكندنافية وفي اليابان إلى الاهتمام بمواضيع واقعية.

٣ ـــ التزويد بالرسوم التوضيحية Illustration

يعد كتاب Orbis Pictus لـ Comenius عام ١٦٥٧ أو (١٦٥٨) من أوائل الكتب ذات الرسومات المصممة خصيصا للأطفال. وقد بدأ أدب الأطفال المصور يظهر بطريقة منتظمة في أوائل القرن التاسع عشر. والاستثناءات في هذا كان بالنسبة لكتب الأطفال في أفريقيا وأمريكا اللاتينية والمناطق التي تأثرت بالاسلام، فالمناطق الأخيرة كانت لها مواد متوفرة برسومات توضيحية قليلة في حين أن المناطق الأولى كان لها القليل من المواد ذات الرسومات.

وما زال موضوع الرسومات، حتى في الدول المتقدمة في حاجة إلى دراسات حول مدى تجاوب الأطفال مع الرسوم التوضيحية. ومن حسن الحظ أن بعض الدول ذات التقدم الواسع في مجال نشر كتب الأطفال قامت بنشر كتب لثقافات مختلفة.

٤ ـــ التحرير Editing

تشير بعض المصادر إلى أن Horace E. Scudder من بوسطن في الولايات المتحدة الامريكية هو أول محرر لأدب الأطفال باللغة الانجليزية، وكان معاصرا وصديقا لـ هانز تريستيان أندرسون Hans Christian Anderson (١٨٠٥ - ١٨٧٥) الذي كتب كثيرا للأطفال. لم يكن

Scudder متفرغا إلا أنه كان يحرر العديد من الكتب والمسلسلات والمجلات بعقود. أما لويس سيمان Louise Seaman والتي عرفت فيا بعد باسم Mrs. Bechtel فهي أول محررة متفرغة عملت لمؤسسة Macmillan في نيويورك عام ١٩١٩. ومنذ ذلك الوقت أصبح دور المحرر اختيار المخطوطات والرسامين والبحث عن نصوص تناسب الأطفال.

٥ ــ التصميم Design

لم تهتم المواد المبكرة للأطفال باحتياجات الأطفال الخاصة في مجال اللون والوضوح المرئي وسهولة قراءة المادة، حيث كان اهتمام الناشرين منصبا على ناحية الشكل المادي للكتاب. ولم تكن المواد التي انتجت في القرن التاسع عشر سهلة القراءة. و يعتبر ادموند ايفانز Edmund Evans من بريطانيا من أوائل الذين صمموا كتاب الأطفال في القرن التاسع عشر.

وقد أجريت دراسات قبل الثلاثينات من هذا القرن حول رد فعل الأطفال لتصاميم الكتب ولكنها لم تساهم في معرفة تجاوب الطفل المادي مقارنة مع تجاوبه الشعوري. ثم ظهرت دراسات في الولايات المتحدة الامريكية اجرتها مجموعة من المربين والفنانين والكتاب والناشرين اسفرت عن كتب ممتازة باللغة الانجليزية. ومع ذلك مازال تصميم الكتاب أمرا ثانويا.

٦ ــ النشر Publishing

اعتمد النشر قبل القرن العشرين على افراد ومؤسسات وشركات خاصة إلى أن ظهر ناشرو كتب في بريطانيا والولايات المتحدة والمانيا واليابان في القرنين التاسع عشر والعشرين. وأسست بعض الدول دور نشر كما في الصين والاتحاد السوفيتي وبلغاريا وبولندا لانتاج كتب بكميات كبيرة وبسعر زهيد. أما أوروبا الغربية فقد اتجهت نحو الناشرين التجاريين من أجل الكتب المدرسية والمساعدة والكتب الترفيهية. وتوجد في معظم الدول الآسيوية دور نشر وطنية للكتب المدرسية والمساعدة. أما الكتب الترفيهية فلها دور نشر خاصة دون دعم من الدولة باستثناء سنغافورة وايران والصين.

وفي شمال افريقيا والشرق الأوسط (الدول العربية) حيث لغة التعليم هي العربية نجد أن مصر هي الدولة الوحيدة ذات الانتاج المتميز. وقد ظهرت محاولات تجارية متفرقة في لبنان إلا أنها توقفت. وتدعم تونس وسوريا انتاج كتب الأطفال ولكن بكميات متواضعة.

ورغم أن الكثيرين يعزون عدم قيام دور نشر لعوامل اقتصادية إلا أن عدم ادراك احتياجات الأطفال اليوم للأدب المطبوع والمرئي هو عامل مؤثر.

٧ ــ التوزيع Distribution

كان للمكتبات العامة دور في ازدياد بيع كتب الأطفال. ومما يلاحظ أن توزيع الكتب في وسط وشرق اوروبا يتم عن طريق الدولة. ويتم التوزيع في اليابان عن طريق مستودعات خاصة ومخازن كتب بالاضافة إلى الباعة المتجولين. وقد ظهر في الباكستان مشروع Paisa Library إذ يدفع الطفل Paisa (عملة باكستانية) ويحصل على كتاب، إلا أن هذا المشروع لم يستمر إلا لسنوات قليلة. وقد عملت ايران بنظام المكتبة العامة لتوزيع مواد الأطفال والاحداث كما قامت بنشر المجلات عن طريق المدارس، مراعية سنوات القراءة.

٨ ــ التعزيز Promotion

كانت عملية تعزيز الكتاب مقتصرة على الكتب الوعظية. وقد شهد القرن التاسع عشر زيادة في انتشار أدب الأطفال في اوروبا وأمريكا الشمالية. وقدمت بعض الكنائس مواد قرائية للاعارة. وفي العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر بدأت المكتبات العامة تضمّن كتبها مواد للأطفال باشتراك سنوي كما في بريطانيا وأمريكا الشمالية، ثم أصبح الاشتراك مجانا منذ بداية القرن العشرين. وهكذا اتيح للطفل لأول مرة أن يحصل على كتب للقراءة دون مقابل.

وفي ميدان التعليم اشتمل تدريب المعلمين على تعريفهم بأهم كتب الأطفال كما أدخلت حصة القراءة الصامتة في المرحلة الابتدائية.

الجزء الثالث : خطوات في الاتجاه الصحيح Part III
Steps in the right direction

في هذا القسم بينت المؤلفة الخطوات في الاتجاه الصحيح بالنسبة لكتب الأطفال وأكدت على ضرورة تخصيص مراكز في الدول النامية لاختيار المواد المراد تقديمها للأطفال بالاضافة إلى تشجيع الكتاب والرسامين والمصممين من خلال دورات تعقد لهم محليا ودوليا مع تخصيص ما يلزم من نفقات. وفي مجال التحرير

والتصميم دعت المؤلفة إلى ضرورة تعليم مهارات التحرير والتصميم للعاملين في هذا الميدان. وبالنسبة للنشر فان المؤلفة توصي بتبني فكرة النشر المشترك كما في برنامج The Asian Co-publication Programme برعاية مركز الثقافة الآسيوي التابع لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة في طوكيو.

ملاحظات حول الكتاب

يتميز هذا الكتاب بأنه يستقي معلومات مباشرة من المعنيين في الأمر. فقد وجهت آن بيلوسكي أسئلة إلى العديد من العاملين في الدول النامية وضمّنت أجاباتهم كل جزء من الاجزاء الثمانية التي تتناول جوانب مختلفة من كتب الأطفال. وقد أجاب على الأسئلة ١٤ متخصصا من ١٢ دولة نامية (غانا، سنغال، كينيا، نيجريا من افريقيا وايران، تركيا، لبنان، الهند والفلبين من آسيا وفنزويلا والبرازيل من امريكا الجنوبية بالاضافة إلى فيجي في المحيط الهادىء الجنوبي) قدموا ٦٩ اجابة كان نصيب الدول العربية إجابة واحدة فقط من لبنان. أما نماذج الكتب التي وردت في ١٦ صفحة فلم يكن بينها أي نموذج لكتاب عربي.

ولابد من الاشارة إلى تلك الجهود في الوطن العربي في مجال أدب الأطفال والتي نذكر منها على سبيل المثال جهود مصر الطليعية، وقد أشارت المؤلفة إلى هذا، ثم لبنان الذي أخذت دور النشر فيه على عاتقها الاهتمام بكتب الأطفال فكانت نتاجات دار الشرق والمؤسسة العربية للدراسات والنشر ودار الفتى العربي، والاخيرة دار نشر متخصصة وذات انتاج متميز وطليعي على صعيدي الشكل والمضمون. كذلك ظهرت في سوريا اهتمامات على صعيد الدولة وإن كان الانتاج فيها لا يهتم كثيرا بالشكل في مجال الرسومات والتصميم، كذلك ساهم اتحاد الكتاب العرب في سوريا بتقديم العديد من كتب الأطفال.

ولو أن المؤلفة اطلعت على انتاج دار ثقافة الأطفال التابعة لوزارة الثقافة والاعلام في العراق لاشارت إلى تميز هذه التجربة العربية. هذه مجرد أمثلة من انتاج أدب الأطفال في العالم العربي.

و يبقى كتاب آن بيلوسكي إضافة جيدة في ساحة ما كتب عن أدب الأطفال.

العرض و التحليل

ابو الطيب المتنبي في آثار الدارسين لعبد الله الجبوري

روكس بن زائد العزيزي

● من أدباء المملكة الأردنية الهاشمية.

الجبوري، عبد الله/أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين.- بغداد: وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٧م، ٧٩١ص.

يحق لنا أن نُسَمِّي هذا الكتاب (مَعْلَمة أدب) لأن المؤلف الفاضل، نهج في تأليفه نهجاً شاملاً، متكاملاً، حيث جمع كل ما وصلت إليه يده من دراسات، واخبار، وتراجم. خاصة بالمتنبي، وعرَّف إلى القارىء اصحاب تلك الدراسات، والاخبار والتراجم، بأسلوب حصيف بارع، وذكر سني وفاتهم. وعرف بالكتب التي ورد فيها ذكر المتنبي، طبعاتها، و بالمخطوطات، فجاء الكتاب، بلا مبالغة (مَعْلَمةَ) فيها خلاصة لكتب ودراسات خاصة بالمتنبي. وقد قسم الكتاب قسمين:-

أ ــ القسم الأول يضم التراجم، والديوان وشروحاته، ومختصراته، وطبعاته، ثم المتنبي في كتب اللغة والعروض، والبلاغة والنقد، والبلدان.

ب ــ والقسم الثاني، التقط فيه دراسات الأدباء والعلماء للمتنبي في المعلمات، ومعاجم الرجال، وتاريخ الأدب العربي:

●××●

وقد اعتمد على مايلي : ــ

١ ــ خمس وستين ترجمة،

٢ ــ على خمس مخطوطات من الديوان.

٣ ــ على أحد عشر رواية.

٤ ــ على واحد وخمسين شارحاً للديوان، بينهم عالم هندي،

٥ ــ على خمس وعشرين دراسة خاصة عند الاقدمين.

٦ ــ على ثمانية عشر مرجعاً في كتب اللغة والنحو.

٧ ــ على ثلاثة مراجع في العروض والشعر.

٨ ــ وعلي واحد وثلاثين مرجعاً في البلاغة والنقد.

٩ ــ وعلى خمسة مراجع من معاجم الأمكنة والبقاع.

١٠ ــ وعلى أربعة وثلاثين مرجعاً سماها : (أبو الطيب في مرآة الشعر العربي)

●××●

ولم يكتف بهذه الكنوز التي أحياها في أذهان القراء، بل عرف بها، و باصحابها، فجاء الكتاب تحفة بارعة، ومَعْلَمة جيدة.

وهو عمل يدل على:ــ

أ ــ دقة العالم الثبت.

ب ــ وحصافة البحاثة المحقق.

ج ــ والمعية الأديب الملهم، الذي يعرف أن يعبر عن نفسه بأبرع أسلوب، وأوجز لفظ.

●××●

افتتح الكتاب بلمحة موجزة، تُعرف بالشاعر العملاق، ثم تقدم إلى ما للمتنبيء وما أخذ عليه، وما سرق منه الشعراء، وما سرق هو منهم. و ببعض ما تكرر في شعره من المعاني، وقبح بعض المطالع عنده، واتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء، واستكراه اللفظ، وتعقيد المعني، عسف اللغة والاعراب، والخروج عن الوزن، واستعمال الغريب الوحشي، والركة والسفسفة، بالفاظ العامة، والسوقة، ومعانيهم، وابعاد الاستعارة، والخروج بها عن حدها، والاستكثار من قول ماذا، والافراط في المبالغة والخروج فيه إلى الاحالة وتكرار اللفظ في البيت الواحد، من غير تحسين، واساءة الأدب بالأدب، ومنها ضعف العقيدة ورقة الدين. ثم وضع الكلام بغير موضعه، وامتثال الفاظ المتصوفة. واستكراه التخلص، وقبح المقاطع. و بعد أن ذكر كل هذه المساويء، تقدم إلى المحاسن:ــ التي منها:ــ

حسن المطالع، وحسن الخروج والتخلص، النسيب بالاعرابيات، وحسن التصرف في سائر الغزل، وحسن التشبيه بغير اداة التشبيه، ومنها الأبداع في سائر التشبيهات، والتمثيلات. والتمثيل بما هو من جنس متاعته. ومنها المدح الموجه، وحسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السبقيه ومنها الابداع في سائر مدائحه، ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب، والصديق، مع الاحسان، والابداع. ومنها استعمال الفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب، والجد. وحسن التقسيم. وحسن سياقة الاعداد، وارسال المثل في انصاف الابيات، وارسال المثلين في مصراعي البيت الواحد، ومن محاسنه : ارسال المثل، والاستملاء والموعظة، وشكوى الدهر، والدنيا، والناس ومايجرى مجراها! ومنها افتضاضه ابكار المعاني، في المراثي والتعارزي. والايجاع في الهجاء، وابراز المعاني اللطيفة، وحسن المقطع، وذكر آخر شعره.

●××●

وقد أورد المؤلف الفاضل في (مَعْلَمته) هذه كل ما قيل على المتنبي من آراء مختلفة، بأسلوب علمي موضوعي محايد. فقال: «إن أبا العلاء المعري، ينكر ادعاءه النبوة، و ينكر حبسه في العراق»

و يورد كلام من اثبتوا نسبة المتنبي إلى (عبدان) السقا وأنه جعفي صحيح النسب وأنه ادعى أنه علوي وادعى النبوة، وأن له قرآناً، وأنه لما سئل عن نسبه انكره، قائلاً:ـ «أنا رجل احيط القبائل، واطوي البوادي وحدي، ومتى انتسبت، لم آمن أن يأخذني بعض العرب بطائلة بينها و بين القبيلة التي انتسب إليها، ومادمت غير منتسب إلى أحد، فانا اسلّم على جميعهم. ويخافون من لساني» ص ١٤٢، ص ١٤٣.

وقد تكرر مثل هذا القول في كثير من المراجع التي استند إليها المؤلف. وقد كاد يجمع القوم على أن مقتل المتنبي كان بالقرب من (النعمانية) وقد حقق الاستاذ (يعقوب سركيس) مكان القتل فقال معقّباً على الدكتور عزام، إن مقتل المتنبي كان في (بيْزع) راجع مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد الخ.. الصفحة ال ٧٣ ــ ٨٢ القسم الثاني مطبعة التجارة والطباعة المحدودة ١٣٧٤ هـ-١٩٤٨م

●××●

حقاً، إن المؤلف، لم يترك شاردة، ولا واردة من حياة المتنبي إلا ذكرها في مرجعها، وعين المؤلف، والكتاب وطبعته إذا كان مطبوعاً، ومخطوطته إن كان مخطوطاً، فهو يذكر غيظ (سيف الدولة) من تعالي المتنبي، يوم ابى أن يمد يده إلى المال كما فعل (ابن خالويه) و (أبو الفرج عبد الواحد بن نصر البيغاء) فلكي يكيد (سيفُ الدولة) (المتنبي) نثر المال على الغلمان، فأخذ (المتنبي) يزاحم الغلمان على المال، ففخرهم (سيفُ الدولة) على (المتنبي) فداسوه، وركبوه، وصارت عمامته طرطورة في عنقه واستحى ومضت عليه ليلة عظيمة وانصرف. الصفحة ال ١٤٨ نقلاً عن المفاوضة (لابن نصر الثعلبي).ـ وكتاب (المفاوضة) من الكتب الجليلة، وهو مفقود، والنص مقتبس من (انباه الرواة) ج١ ٣٢٦ ــ ٣٢٧. وغيره من المراجع التي ذكرها المؤلف الفاضل.

●××●

و يذكر تطير (عضد الدولة) من قول المتنبي في قصيدته (الكافية) التي ودعه بها لقوله:ــ

وأماً شئتِ باطرفي فكوني   اذاةً، أو نجـاةً، أو هلاكـا!

فقال (عضد الدولة): «يوشك أن يصاب في طريقه،» فكانت منيته فيه وقد أشار إلى المرجع وهو (رسوم الخلافة) لأبي الحسن، هلال الصابىء، تحقيق (ميخائل عواد) بغداد الصفحة ال ٦٢ ــ ٦٣ مطبعة العاني ١٣٨٣هـ ١٩٦٤م

●××●

وعندما أراد أن يبين منزلة المتنبي في نفوس الأدباء بالقياس إلى غيره من كبار الشعراء، جاء بقول (ابن ناقيا البغدادي) يوم سئل عن (المتنبي)، و (ابن نباتة) و (الرضي) فأجاب:ــ

«إنَّ مثلهم عندي، مثل رجل بنى أبنية شاهقة، وقصوراً عالية، وهو (المتنبي) فجاء آخر، وضرب حولها سرادقات وخيماً، وهو (ابن نباتة) ثم جاء (الرضي)، ينزل تارة عند هذا، وتارة عند ذاك!» معجم الأدباء ٢١٨/٥ المتنبي في آثار الدارسين ص ١٥٠.

ولما أراد أن يذكر اعجاب الاندلسيين بـ (المتنبي) أورد اعجاب (المعتمدبن عباد) اللخمي ـ صاحب (قرطبة) و (اشبيلية) به:ـ

ويحكي أن (المعتمد بن عباد اللخمي) صاحب (قرطبة) و (اشبيلية) انشد يوما في مجلسه بيت (المتنبي) وهو من جملة قصيدته المشهورة، التي مطلعها:ـ

وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه،   بان تسعدا والدمع، اشفاه ساجمه.

والبيت هو : ــ

إذا ظفرت منك العيون بنظرةٍ   اثاب بها، معيي المطيِّ ورازمُه!

فقد اخذ المعتمد يردده استحساناً له، وفي مجلسه (أبو محمد عبد الجليل بن وهبون)الاندلسي، فانشد ارتجالاً:

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما   تجيد العطايا، واللُّها تَفْتح اللُّها

تنبأ عجبا بالقريض ولو درى   بأنك تروي شعره، لتألها!

المتنبي في آثار الدارسين ص ١٨٩.

نقلاً عن نفح الطيب ٣:١٩٤،٢٣٥ طبعة صادر

وقال (الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد) في ـ العبر في خبر من عبر ـ ليس في العالم أحد أشعر منه ـ المتنبي ـ وأما مثله، فقليل!»

●××●

ولما أراد أن يبيِّن بخل المتنبي أورد هذه الحكاية:ـ وكان مع كثرة ماله، وأخذ الجوائز العظيمة، على جانب من البخل.. حكي عنه، أنه طلب نداقاً يعمل له جباباً لغلمانه، ولحفاً وفرشاً، فاقام عنده سبعة أيام، فاعطاه سبْعة قراريط ذهباً، فصعب ذلك عليه، فقال له: «كم ظننت أني اعطيك؟»

فقال : «سبعة دنانير!» فقال له (المتنبي): «والله لو وضعت احدى رجليك على (طورسينا) والأخرى على (طوز يتا) وتناولت قوس قزح، وقائمة العرش بيدك، وندفت قطن الغمام على جباب الملائكة، أعطيتك سبعة دنانير ـ ولعل الصواب، ما اعطيتك ـ وذكر سبعة اشياء يفتخر بها، في بيت واحد:ـ

الخيل، والليل، والبيداء تعرفني   والسيف، والرمح، والقرطاس، والقلمِ!

ص ٢٣١ نقلا عن (سكردان السلطان) لابن أبي حجلة المغربي، أحمد بن أبي بكر التلمساني القاهرة، ١٣١٧، المطبعة الأدبية، على هامش كتاب (المخلاة) للعاملي بهاء الدين.. ص/١٨٦ ـ ١٨٨.

●××●

ولعل المتنبي معذور في بخله، إذا عرفنا نشأته الفقيرة، وإذا علمنا أن (على بن منصور الحاجب) أعطاه لما مدحه بقصيدته التي أولها: ــ

بأبي الشموس الجانحات غوارباً..

اعطاه ديناراً واحداً، فسميت قصيدته تلك (الدينارية) إن مثل هذا الموقف قد استقر في عقله الباطن، وظل يفرض عليه البخل، لا بل الشح، وهو في أوج الثراء، والمال ينهال عليه بلا حساب!

وفي أمثال العامة: «ابن الفقر تظل ريحة الفقر فيه لما يموت، ولو صار المال عنده مثل التراب، وابن الفناة بتظل ريحة الفناة فيه، لو مه ظل معه اللي يشتري فيه عشاه!» وقد ذكروا انها وقعت منه قطعت نقد صغيرة في شق حجر فظل يعالجها، إلى أن اخرجها!..

●××●

وقد ذكر له (ابن خلكان) في (الوفيات) بيتين من الشعر، ليسا في ديوانه هما:-

أبعين مفتقرٍ اليك نظرتني ... فاهنتني، وقذفتني من حالق؟
لست الملوم، انا الملوم لانني ... انزلت آمالي بغير الخالق!

وذكر ان (النامي) قال: «إن المتنبي سبق الشعراء إلى معنيين، لم يسبق إليهما. وهما:-

رماني الدهر بالارزاء حتى ... فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا اصابتني سهام ... تكسرت النصال، على النصال!

وقد ذكروا من منزلته عند (سيف الدولة) أنه كان ينشد مدحه قاعداً. وذكروا من معرفته لشوارد اللغة، أموراً تدخل في باب الغرائب، من ذلك أن (أبا علي الفارسي) سأله عن الجموع التي ترد على وزن (فِعلى) في اللغة العربية، فاجاب على الفور: «حِجلى، وظِربي». قال (أبو علي):ــ فطالعْت كتب اللغة ثلاث ليال، علّي أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً، فلم أجد.»

●××●

● حكاية المتنبي مع الغلام المصري : ــ

وقد أورد ماياتي:ــ وحكي ان المتنبي كان ماراً في بعض ازقة مصر، فسمع صغيراً في مكتب يقول لشيخه: «يا استاذ! لم شبه المتنبي جسمه بالخلال، ولم يشبهه بالشعرة؟! مع أن الشعرة ادق من الخلال؟. فبهت الشيخ، ولم يأت بجواب» فقال الغلام: «إنما شبه المتنبي جسمه بالخلال، لان الخلال، كان أصله شجرة ضخمة، فلا زالت تلعب به الأيدى، حتى رق، ورف، فلما سمع المتنبي ذلك، تعجب، ودخل المكتب، فقبل رأس الغلام. ثم قال: «والله أنا ما لحظت ما لحظه هذا الغلام!» ص ٢٤٧.

●××●

● تسمية اشعار المتنبي؟ وعددها:ــ

أ ــ الشاميات ٢٣٥٢ اثنان وخمسون وثلثمائة والفان.
ب ــ السيفيات ١٥٤٠ أربعون وخمسمئة وألف.
ج ــ الكافوريات ٥٢٨ ثمانية وعشرون وخمسمئة
د ــ الفاتكيات ٣٥٧ سبعة وخمسون وثلثمئة
هـ ــ الشيرازيات ٣٩٦ ستة وخمسون وثلثمئة

فيكون المجموع ٥١٧٣ ثلاثة وسبعون ومائة وخمسة آلاف.

●××●

● ورودهُ ارَّجان:ــ وحدثنا (أبو الفتح) عثمان بن جنّي عن علي بن حمزة البصري قال: ــ كنت مع المتنبي لما ورد ارَّجان، فلما اشرف عليها، وجدها ضيقة البقعة، والدور والمساكن، فضرب بيده على صدره، وقال: «تركت ملوك الأرض وهم يتعبّدون بي، وقصدت رب هذه المَدَرة، فما يكون منه؟ ثم وقف بظاهر المدينة، وارسل غلاماً على راحلته إلى (ابن العميد) فدخل عليه وقال:ــ «مولاي أبو الطيب المتنبي، خارج البلد، وكان وقت القيلولة وهو مضطجع في دسته - فثار من مضجعه، واستثبته، ثم أمر حاجبه باستقباله، فركب، واستركب من لقيه في الطريق، ففصل عن البلد بجمع كثير، فتلقوه وفضوا حقه وادخلوه البلد، فدخل على أبي الفضل، فقام له من الدست قياماً مستوياً، وطُرِح له كرسي عليه مخدة ديباج، وقال أبو الفضل: «كنت مشتاقاً اليك يا أبا الطيب، ثم أفاض المتنبي في حديث شعره، وأن غلاماً له احتمل سيفاً وشذ عنه، واخرج من كمه عُقيب هذه المفاوضة دَرجاً فيه قصيدته:ــ

بادِ هواك، صبرت أم لم تصبرا !

فوحى أبو الفضل إلى حاجبه بقرطاس فيه مائتا دينار، وسيف غشاؤه فضة، وقال: هذا عوض عن السيف المأخوذ، وافرد له داراً نزلها.

فلما استراح من تعب السفر، كان يغشى أبا الفضل يقرأ عليه ديوان اللغة الذي جمعه، و يتعجب من حفظه، وغزارة علمه، فاظلهم النيروز، فارسل أبو الفضل بعض ندمائه إلى المتنبي، كان يبلغني شعرك بالشام والمغرب، وما سمعته دونه، فلم يحر جواباً، الى أن حضر النيروز وإنشد مهنئاً ومعتذراً، فقال:ـــ

هل لعذري إلى الهمام أبي الفضـ	ـل قبول، سواد عيني مداده
ما كفاني تقصر ما قلت فيه	عن علاه حتى ثناه انتقاده
إنني اصيد البُزاةَ، ولكـ	ـنّ اجلَّ النجوم لا اصطاده
ما تعودت ان ارى كأبي الفضـ	ـل وهذا الذي أتاه اعتياده

وحمل إليه أبو الفضل، خمسين ألف دينار، سوى توابعها، وهو من اجاود زمان الديلم.

● عظمة المتنبي اللغوية. إن كتب اللغة برهنت على عظمة هذا الشاعر اللغوية وكتب البلاغة ازدانت بروائح المتنبي، فاكثر كتب البلاغة والنقد، تجد في اشعاره ملاذا لها ومعيناً لامثالها!..

● المتهمون بالدس على المتنبي لكي يقتلوه المعرف ان الذي قتله هو فاتك الاسدي، لكن بعض الذين بحثوا عن حياة المتنبي، جعلوا قتله بدسيسة. فجلال الدين السيوطي، جعل قتله بدسيسة من كافور الاخشيدي وقد تفرد بهذا الاتهام. المتنبي في آثار الدارسين ص ٢٥٧/ص ٢٥٨

وأبو الفرج ابن الجوزي يقول ان (عضد الدولة) هو الذى تسبب بقتله

● مخالفات لما في الديوان.

وردت أبيات في كتاب الدكتور النابه (المتنبي في آثار الدارسين) مخالفة لما ورد في الديوان منها:ـــ

أ ــ لك الله من مفجوعة بحبيبها	قتيلة شوق غير ملحقها وصما

وفي الديوان .... غير ملحقها وصما

ب ــ نهبت من الاعمار مالو حرمتها	لهنئت الدنيا بانك خالد

وفي الديوان ..... مالو حويته..

ج ــ ومن صحب الدنيا طويلاً تقلبت	على عينيه يرى صدقها كذبا

وفي الديوان على عينه

د ــ ومستلبس لم يحفظ الله ساعة	رأى سيف في كفه فتشهدا

وفي الديوان رأى سيفه

وغير هذه من التطبيعات التى يدرك صوابها بالقرينة

وبعد، هذه القراءة المتأنية لمعلمة الجبوري أرى من واجبي ان اهنيء المكتبة العربية بهذا الجهد الذي زاد خلود المتنبي في الاذهان رسوخاً، وعرف بكتب كثيرة نادرة، وبمؤلفين افذاذاً.

ولكننا - وبعد أن نفرغ من المقدمة وموضوعات الكتاب - نجد التجديد والابتكار والتوليد.. هي ميزة كتابة الضبيب. ولنستعرض كتاب **(الأعمش الظريف)** من المقدمة، وحتى نهاية الكتاب:

يطرح المؤلف في مقدمته مجموعة من الحقائق والمعلومات، منها أن ثمة مفهوماً خاطئاً عن جانب الظرف والمرح لدى علمائنا القدماء، وأن شخصياتهم العلمية هي **«مثال للتزمت وتكلف الوقار»**. وأن تلك الصفة لم تكن غالبة على علمائنا، لأن «كثيراً منهم يتصفون بالمرح... وتمثل شخصياتهم نماذج رائعة للتوازن النفسي الذي لا يذهب بهيبة العالم ولا يخدش وقاره وإنها لنظرة ثاقبة، وروح متطورة ومتجددة في التعامل مع التراث، وتجاوز الكثير من الجمود الذي طرأ على عقول الدارسين.. ولاسيما حين يستشهد المؤلف لنا بشيء من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.. ثم يذكر لنا نماذج من علمائنا المشهورين، الذين نجد في شخصياتهم جانباً كبيراً من خفة الروح، ومرح النفس... حتى يصل بنا إلى «شخصية الامام **أبي محمد سليمان بن مهران الأعمش** أحد كبار المحدثين والقراء في القرنين الأول والثاني الهجريين». ويذكر لنا مصادره عن نوادر الأعمش المثبوتة «في كتب التراث المختلفة، سواء كانت كتب رجال أو أدب أو طرائف أو غيرها». ثم يقف بنا عند نقطة رئيسية في موضوعه، يصوغها لنا على شكل سؤال: **هل كان الأعمش ظريفاً حقاً؟** وهل يمكن أن **ينطبق عليه اصطلاح «الظرف» كما بدا عند ظرفاء الحضارة العباسية؟!**. فيعرض علينا تغير وتطور مفهوم ذلك المصطلح وأنه «قد مر بأدوار مختلفة عند العرب شأن كثير من المصطلحات، حتى استقر لدى ظرفاء بغداد في أواسط العصر العباسي وأواخره، وذلك عصر متأخر عن عصر الأعمش».

ثم يقف على مفهوم الظرف عند الأعمش بأنه ظرف اللسان بما جاء عن **الأصمعي وابن الاعرابي في تعريف الظرف بأنه «البليغ الجيد الكلام» وما روي عن عمر بن الخطاب إذ قال: «إذا كان اللص ظريفاً لم يقطع»**، أي إذا كان بليغاً جيد الكلام دفع عن نفسه مايستوجب الحد. ثم يضيف المؤلف ألفاظاً أخرى لمصطلح الظرف كالكياسة، والحذق وذكاء القلب.. وأن تلك الصفات كلها متوفرة في شخصية الامام الأعمش.

ومنذ بدء الكلام عن **(حياة الأعمش وبيئته)**، وما أن تطأ أقدامنا أرض الكوفة في سنة إحدى وستين للهجرة - تاريخ ولادة الأعمش - حتى يرسم لنا الضبيب تلك الأجواء السياسية آنذاك بكلمات خاطفة سريعة وموحية بالقتامة والكآبة والقلق والخوف... ونعيش هذه المشاعر نتيجة تصور لما يضعه الضبيب في روعنا بأنها «السنة التي قتل فيها الحسين.. وفي ذلك الوقت لم تكن ذكريات صفين والجمل والنهروان، وغيرها من معارك الفتنة بعيدة عن الأذهان، بل كانت ماثلة أمام الجميع، فإذا كانت غدران الدماء التى زخرت في الأيام الماضية قد جفت أو كادت، فإن روائحها لم تزل تملأ الأنوف».

وإني لأري أن المؤلف يركز جيداً على الناحية السياسية، وبخاصة إذا كان لها انطباع نفسي سيء قائم في نفوس العامة والخاصة. لذلك فإنه منذ البدء، ومع أول كلمة في بحثه، يؤكد لنا حقيقة آثار الدماء والاغتيالات والفتنة على بيئة الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية... **فهو يقول**: «كانت ولادته خلال سنة حزينة أخرى من سنوات التاريخ الإسلامي.. ولعلها كانت تشبه، في شدة وقعها على النفوس كل سنة من السنوات الثلاث التي قتل فيها عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين».

وبعد أن ينقل إلينا **المؤلف** في حاشيته الكثير من الروايات عن تاريخ ولادته، ينتهي من جمع معلوماته واستقصائه إلى ما يرجحه ولكنه يقف عند المهم، حيث لا يطيل في مواضع الاختلاف، ومايهم هو أن الأعمش نشأ في **الكوفة** التي «كانت طوال حياته بقعة من أشد بقاع الدولة الاسلامية قلقاً واشتعالاً «وشب الأعمش وقد رأى الكوفة مسرحاً للصراع السياسي» ودائماً الضبيب في تصويره للبيئة السياسية يلتقط الأحداث والمواقف الفردية والجماعية التي لها وقع عنيف في نفوس العباد، إذ نراه يلتفت حيناً إلى الأجواء العامة، وحيناً يعرج بنا على الأعمش، فننسى كل شيء إلا هذا الطفل الذي أخذ يترعرع وينمو في تلك البيئة المضطربة «كانت الكوفة أثناء حياة الأعمش تؤوي المنشقين الطامعين في الحكم، وتنقاد للناقمين، وتحتوي الحركات السرية، فكانت لذلك تخضع لأشد أنواع الضبط والرقابة والتعسف». ويظن المؤلف أنه مازال لم يعط الكوفة حقها من التصوير، وأجواؤها المتوثبة مازالت تنبض في ذهنه ووجدانه، وأيامها الرهيبة مازالت تسبح فيها الدماء وتئن فيها من الارهاب وتتعرض فيها للهجمات والقتال «وكأنما كانت الكوفة تبحث عن شيء مفقود أو تدور في حلقة مفرغة».

وحين نصل مع المؤلف إلى عام ٦٦هـ فإن الكوفة كانت تلهج باسم (المختار بن أبي عبيد الثقفي)، وتعيش ثورته على الزبيريين، ثم هزيمة ومذبحة أعوانه، وحين نصل لعام ٧٢هـ، و يبلغ الأعمش الحادية عشرة، فإنه يشاهد عبد الملك بن مروان يدخل الكوفة منتصراً على مصعب بن الزبير و يقتله. كما يشاهد في عام ٧٥هـ قدوم الحجاج إلى الكوفة و يعيش أجواءه وخطبه ومواقفه القتالية من الخوارج، وتهديده لأهل الكوفة من مغبة انخراطهم مع الخوارج. و يظل المؤلف يسرد لنا أحداثاً سياسية هامة في تاريخ الكوفة الديني والعقائدي والسياسي، حتى يصل بنا إلى سنة ٨١هـ حين تشتعل ثورة (عبد الرحمن بن الأشعث الكندى) في خراسان، فَتَمدُّ الكوفة برجالها ولاسيا عبادها وقراؤها من الأخيار والمشاهير، ولكن الحجاج يتعقبهم منتصراً، إذ يقتل في ساحة المعركة معلم الكوفة الأول (سعيد بن جبير)، و يكون مقتله «خسارة» للأعمش أشد من الكوفة بأسرها، لأنه كان أحد كبار أساتذته. وفي سنة ١٠١هـ، يكون الأعمش قد ناهز الأربعين، وتكون الكوفة، «تحتضن البذور الأولى للدعوة العباسية» و يصل بنا المؤلف إلى عام ١١٨هـ، ليذكر لنا من جديد صفحات أخرى، تشهدها الكوفة، عن ثورة شيعية يقودها (زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب) وتستمر أربع سنوات، حتى يقتل بعد أن ينفض عنه كالعادة أعوانه الكوفيين. و بعدها بعشر سنوات يدخل الكوفة أبو العباس ليعلن قيام الدولة العباسية.

وفي سنة ١٤٨هـ يتوفي أبو محمد الأعمش في خلافة أبي جعفر المنصور.

و بعد تلك الجولة السياسية المشحونة بالأحداث الدامية التي عاشتها الكوفة يصل إلى النقطة البارزة التى ركز عليها المؤلف كثيراً هي «في هذه المدينة المضطربة سياسياً عاش الأعمش طيلة حياته».

وسنرى لهذا الاضطراب السياسي ـ وما سنورده بعد قليل من اضطراب اجتماعي ـ الانطباع العميق في نفس الأعمش، ووسم شخصيته بروح حادة مستفزة سافرة.

و يسرد لنا المؤلف أفكاراً عن الحياة الاجتماعية في الكوفة، و يقف أيضاً بنا عند نقاط هامة تقود إلى الاضطراب الاجتماعي، فيركز على موضوع نوعية السكان، والعناصر الجنسية التي تسوده، فيرى أن «عهد الأعمش لم تعد تحتوي العنصر العربي وحده، وانما شارك في سكناها أعداد هائلة من العجم أطلق عليهم العرب اسم: الحمراء، وكان هؤلاء ينتسبون إلى قبائلها العربية بنسبة الولاء. و يستخلص المؤلف «أن الكوفة كانت تسيطر عليها اجتماعياً ارستقراطية عربية»، ويجد فيها النفوذ والقوة، لكونها سليلة سراة العرب الفاتحين، ولتلك الأموال التي أفادها الله عليها من الفتوح، ومن الأملاك التي كانت تحتازها في سواد العراق. بينما يرى المؤلف أن العنصر الاجتماعي الثاني (الوالي من العجم الحمراء) ـ والذي كان الأعمش ينتمي إليهم ـ فقد كانوا يمثلون نسبة كبيرة من السكان «ولكنهم في معظمهم لم يكونوا يملكون في أيديهم الشراء ولا النفوذ»، لأنهم كانوا يعيشون في مستوى اجتماعي أقل من مستوى العرب.

و يفيض المؤلف في الكلام عن الوالي ومشاركتهم في الجيوش الفاتحة أو الثائرة، أو في احترافهم بعض الصناعات التى أهملها العرب، ثم انصراف البعض لميدان العلم والأدب والدين «وكان أبو محمد الأعمش من هذه الفئة التي اتجهت إلى العلم وجاهدت فيه، واكتسبت رغم كل شيء احترام الناس وشجيعهم» كما كان حريصا على التحدث بنعمة الله حين مَنّ عليه بالعلم، وإلا «لكان مصيره مصير أولئك الموالي المحتقرين».

وحين يصل بنا الضبيب إلى موضوع (بيئة الأعمش العلمية)، فإنه يجد أن الكوفة ليست بيئة سياسية نشطة فحسب، وإنما كانت أيضاً بيئة نشطة علمياً وثقافياً «فقد نزل بها مجموعة كبيرة من أجلة الصحابة أول الأمر». و يذكر لنا أشهر الصحابة الذين هبطوا الكوفة و بثوا العلم فيها، وعليهم تخرج أجلة التابعين «وفي عهد الأعمش كانت قد تكونت الشخصية العلمية للكوفة في مدارسها المختلفة في الحديث والاقراء والفقه واللغة، وعاش الأعمش أيامه في التحصيل، متنقلاً في حلقات أساتذة هذه المدارس». كما يذكر لنا المؤلف أيضاً مجموعة من الصحابة التى كان قد شهدها الأعمش وسمع عنها. وإن كان قد أورد لنا بعض الأخبار حول الخلاف في أمر سماع الأعمش من الصحابة، ولكنه يؤكد رؤيته لبعضهم «وأنه قد أدرك كبار التابعين الذين يعدون شيوخه المباشرين» و يعددهم، و يورد أخبارهم معه.

ومع (منزلة الأعمش العلمية) نجد الضبيب ينتهي إلى أن الأعمش بعد أن استكمل عدته الثقافية يتصدر الاقراء ونشر العلم «وقد أصبح من أعلام المحدثين، وكبار القراء، يقصده الطلاب من كل صوب»، و يستشهد لنا ببعض ماقاله أعلام الفكر العربي القديم عن الأعمش، فيورد قول الجاحظ الذي قال: [والذين بثوا

العلم في الدنيا أربعة: قتادة، والزهري، والأعمش، والكلبي]. ثم قول ابن المديني، والذهبي.. وغيرهم.. ليستخلص كعادته من تلك المصادر التي ترجمت له بأنها كلها «أشادت بمنزلته في العلم والحديث وأثنت عليه». ثم ينوه أيضاً بشهادات تلاميذه ومعاصريه، وتزكيتهم له ورفعه إلى أعلى المراتب.. وقد أصبح مرجعهم في العلوم الثلاثة: القرآن والحديث والفرائض. وللأمانة العلمية، فإن الضبيب لا يغفل عن المصادر أو الأخبار التي كانت تطعن بنزاهته في رواية الأحاديث، فيقول: «ومع أن كثيراً من العلماء قد وثقوه إلا أن بعضهم قد تكلم فيه، فوصفه التدليس في بعض الأحاديث». و يستشهد بأقوالهم ورواياتهم.

ثم ينهي موضوعه ببعض الاشارات الأخرى التي تضيء لنا جوانب جديدة عن شخصية الأعمش العلمية مثل: أنه كان فصيحاً لا يلحن، وله مشاركة في رواية التاريخ الاسلامي.

و يعتبر الضبيب موضوع (تلاميذ الأعمش) من الموضوعات التي تغني بحثه، وتضيف له مواداً جديدة في تكوين شخصية الأعمش الفكرية، حين نعرف أنه أستاذ لجمهرة من العلماء الكبار، وحين يعدد لنا أسماءهم، والأخبار التي قيلت عنهم. أما (أخلاق ومزاج الأعمش) أو شخصيته، فهي الموضوع الرئيسي في كتاب الضبيب، لأنها تمثل جوهر وصلب موضوع الأعمش، و بالتالي تمثل أيضاً نظرة المؤلف وشخصيته الفكرية، في الكتابة والتأليف والرواية. فيعرض علينا تحليلاً لشخصية الأعمش من خلال منظارين: الأول: انطباعات وآراء المعاصرين والمترجمين للأعمش، والثاني: رؤية المؤلف ونفاذه إلى أعماق الشخصية الانسانية من خلال حسه التاريخي والحضاري.

فعبر الأول نرى أن الأعمش اشتُهر «بين معاصريه بشخصيته الجادة التي تعبر عما بداخلها ببديهة سريعة ومنطق لاذع» و يضع أمامنا أقوالاً متناقضة عنه، ولكنه يقربها لنا فيقول: «وقد وصفه بعض مترجميه بأنه كان عسراً شيء الخلق. ووصفه بعضهم بأنه كان لطيف الخلق مزّاحاً. والحقيقة أن شخصيته تجمع الصفتين: الحدة والعسارة من ناحية، والظرف والميل إلى المزاح من ناحية أخرى. وهناك جانب ساخر نبيته عنده يتوزع بقدر مشترك بين هاتين الصفتين».

أما في المنظار الثاني، فإننا نرى منه شخصية الأعمش، التي يدرسها المؤلف، بوضوح، وإن تعتّمت الرؤية في البدء قليلاً حين قال: «وقد لايجد الباحث في سيرة الأعمش تفسيراً مقنعاً لتكون هذه الشخصية الحادة العسرة الساخرة المازحة التي تكاد لا ترضى عن شيء، وإنما تسخر من كل شيء حتى من نفسها». ولكن الرؤية تبدأ بالوضوح شيئاً فشيئاً، وتتكشف لنا معالم شخصية الأعمش، حين يذكرنا بما كان انتهى إليه من اضطراب سياسي واجتماعي وماكان لـه من آثار بعيدة في شخصيته.. إنه يفسر لنا شخصية الأعمش من خلال ظاهرة التناقض والمفارقات وروح التمرد والقلق النفسي التي يعاينها الأعمش.. إنه يرجع شخصيته الساخرة، و يعزيها لعامل البيئة وما تعج به من صراعات سياسية واجتماعية «ولكن الدارس لبيئة الكوفة المعارضة المصارعة، وللظروف التي مرت بها حياة الأعمش، قد يصل إلى بعض الدوافع النفسية الخفية التي كان لها أثر كبير في تكوين شخصيته».

وتتضح الرؤية أكثر حين يتعمق في تحليل شخصية الأعمش من خلال ذلك الصراع النفسي، ولقد استطاع الضبيب أن ينفذ إلى أعماق تلك الشخصية، و يتلمس جوانب عديدة من طبيعة ذلك الصراع الخارجي والداخلي الذي عاناه فيذكر لنا أن الأعمش بذكائه الفطري الذي «جعله يفتح عينيه مبكراً على مآسي كثيرة في مجتمعه، بعضها عاشه الأعمش شخصياً و بعضها راقبه في محيطه عن كثب.. فقد جرب حياة الرق والعبودية وما يتبعها من ذل واهانة وانكسار. . وكوارث الثورات والتمرد.. وكان وهو الرجل المسالم الذي نذر حياته لطلب العلم يأبي الدخول في متاهات الكوفة السياسية، ولكنه يراقب كل ذلك و يتفاعل معه تفاعلاً صامتاً، و يرفض أكثره رفضاً مطلقاً».

وهكذا يقف الضبيب عند هذا الجانب النفسي، المتمثل بموقف الرفض، كعامل بارز في تفسير شخصية الأعمش تفسيراً عصرياً، و يراه رفضاً سلبياً يعبر عن روح الأعمش العلمية «وكانت أقواله ونوادره ومواقفه من مجتمعه تمثل نوعاً من الرفض السلمي لكل ماكان دائراً في ذلك المجتمع المعقد» و «أن الاعمش بمثالياته التي استقاها من مداومة دراسته القرآن الكريم والحديث الشريف قد وصل إلى قناعات خاصة به ترفض كثيراً مما يدور حوله على الصعيدين السياسي والاجتماعي.. فعلى الرغم من أنه كان معتزلاً الاتصال بحكام عصره وولاتهم، إلا أنه لم يكن يرى التمرد عليهم، أو الانضمام إلى أعدائهم وكانوا يملأون الكوفة».

ولكي تتضح الرؤية لنا أكثر يعتمد على أخبار الأعمش ومافيها من مواقف أو أقوال له، وكأنه يريد بتلك النصوص التي يضعها أمامنا أن يكمل صورة الأعمش الفكرية والساخرة بكل

دقة ووضوح. فنعرف من خلالها أن موقفه من الساسة هو: أن فساد الحكم مرتبط بفساد الناس، وعليه أن يشارك في اصلاح القاعدة عن طريق نشر العلم.. وانه لم يكن يأبه باستفزازات السلطة، وله مواقف جريئة منها. و يعود الضبيب من جديد بطريقة أكاديمية إلى تلخيص أفكاره وتعليله لمواقف الأعمش الساخرة، وذلك عن طريق جمع كل الانطباعات والرؤى بكلام شامل هو أن «ذلك الوضع السياسي وتلك التناقضات الاجتماعية الكثيرة التي عاش فيها الأعمش وأثرت على حياته سلباً وايجاباً، والتي كانت تثير مشاعرهُ ادركنا، أن تلك الضغوط النفسية كانت من الأسباب المباشرة لتلك الحالة من الضيق والتبرم التي سيطرت عليه طوال حياته والتي نفسّ عنها بنوادره الفكهة وكلامه الساخر ومواقفه الصريحة التي تمتاز بالعسارة تارة و بالظرف أحياناً مع من يتعامل معهم».

ثم نصل مع الضبيب للموضوعات التي كانت تنطوي عليها نوادره، وأهمها تتعلق بحلقات التدريس وما ينشأ عنها من مواقف التلمذة الكثيرة مما تضايقه مثل: كثرة الأسئلة منهم، والمطالبة بالاعادة ونحو ذلك. واما تعبرعن بخل الأعمش الشديد بعلمه، وبخاصة حين كان يضن به على العامة أو ولاة عصره الذين لا يراهم أهلاً له، أو يرى في التعامل معهم انتقاصاً لكرامته وهو الحافظ المحدث. ثم هناك مجال آخر تدور حوله نوادره هو المجتمع بجميع طبقاته المختلفة وأعرافه وعاداته، ونماذجه البشرية التي يزخر بها.. «ولعل من أكثر نوادره فكاهة ومرحاً تلك التي تتعلق بالثقلاء كنماذج بشرية مثبوتة في المجتمع». ثم نوادره التي «يمكن أن نسميها بالنوادر السياسية تجوزاً» وهي احتكاكه بخلفاء عصره وولاتهم. ونوادر أخرى مع زوجته وأسرته، ومع أهل الحرف والصناعات.. و يدعم ذلك بالطريف من تلك النوادر. و ينتهي الضبيب منْ دراسته إلى (أنماط نوادر الأعمش)، وذلك فيما يبدو دراسة النوادر من الناحية الشكلية، فيلخص لنا أن نوادر الأعمش تتميز بالعناصر الفنية التالية: الحوار، والجواب المسكت، والحركة، والأحكام المقررة.

و يعرف لنا كل عنصر على حدة، ولاينسى أن يدعم تعريفه بنماذج ومواقف عن تلك العناصر.

ثم يختم المؤلف بحثه بنصوص منْ (أخبار ونوادر الأعمش)، وذلك عبرمائة وخمسة أخبار، موزعة حسب الموضوعات التالية: (الأعمش والمجتمع) و (الأعمش والثقلاء) و (في حلقات التدريس) و (من أقواله) وقد ورد قسم كبير منها خلال العرض والتقرير لمادة كتابه.

ويمكننا في نهاية استعراضنا لكتاب الدكتور الضبيب (الأعمش الظريف) أن نسجل بعض تلك النوادر.

ضمن نوادر الأعمش والمجتمع يقول: «قال محمد بن حميد، حدثنا جرير، قال: جئنا الأعمش يوماً، فوجدناه قاعداً في ناحية، فجلسنا في ناحية أخري، وفي الموضع خليج من ماء المطر، فجاء الأعمش رجلُ عليه سواد، فلما بصر بالأعمش وعليه فروة حقيرة، قال: قم فَعَبِّرني هذا الخليج. وجذب يده وأقامه، وركبه، وقال: (سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين)، فمضى به الأعمش، حتى توسط به الخليج فرمى به، وقال: (وقل ربِّ أنزلني منزلاً مباركاً، وأنت خير المنزلين)، ثم خرج وترك الأسود يتخبط في الماء».

وأيضاً من نوادر الأعمش والمجتمع يقول الضبيب نقلاً عن ابن خلكان أيضاً في وفيات الأعيان: «جرى بينه و بين زوجته كلام، وكان يأتيه رجل يقال له: أبو ليلى، مكفوف فصيح، يتكلم بالأعراب يتطلب الحديث منه، فقال: يا أبا ليلى امرأتي نشزت علي، وأنا أحب أن تدخل عليها فتخبرها مكاني من الناس وموضعي عندهم، فدخل عليها، وكانت من أجمل أهل الكوفة، فقال: ياهنتاه! إن الله قد أحسن قسمك، هذا شيخنا وسيدنا، وعنه نأخذ أصل ديننا، وحلالنا وحرامنا، فلا يغرنك عموشة عينيه ولا حموشة ساقيه، فغضب الأعمش وقال: يا أعمى! ياخبيث! اعمى الله قلبك كما أعمى عينيك، قد أخبرتهابعيوبي كلها، اخرج من بيتي».

ومن أخبار (الأعمش والثقلاء) «قال أبو الحسن المدائني: جاء رجل إلى الأعمش فقال: يا أبا محمد! اكتريت حماراً بنصف درهم، وأتيتك لأسألك عن حديث كذا وكذا. فقال: اكتر حماراً بالنصف الآخر وارجع» وأيضاً من أخباره مع الثقلاء: يقال أن الامام أبا حنيفة رضي الله عنه، عاده يوماً في مرضه، فطوّل القعود عنده، فلما عزم على القيام، قال له: ما كأني إلا ثقلت عليك. فقال: والله انك لثقيل علي وأنت في بيتك. ومن نوادره في حلقات التدريس «كان لطيف الخلق مزاحاً، جاء أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه، فخرج إليهم وقال: لولا أن في منزلي من هو أبغض إلى منكم ماخرجت إليكم»

وأيضاً «قال عيسى بن يونس أحد تلاميذه: قد خرجنا في جنازة ورجل يقود الأعمش، فلما رجعنا عدل به، فلما أصحر به قال: أتدري أين أنت؟ في جبانة كذا وكذا، ولا أردك حتى تملأ ألواحي حديثاً. قال: اكتب. فلما ملأ الألواح رده، فلما دخل الكوفة دفع ألواحه لانسان، فلما انتهى الأعمش إلى بابه تعلق به، وقال: خذوا الألواح من الفاسق، فقال: يا أبا محمد، قد فات، فلما أيس منه قال: كل ماحدثتك به كذب. قال: أنت أعلم من أن تكذب».

ومن أقواله: «من تمام الحج ضرب الجمّال».

ونقيضاً: «عن ابن يمينة قال: قال الأعمش: أرأيتم لولا أني تعلمت العلم، من كان يأتيني؟ لو كنت بقالاً كان يقذرني الناس أن يشتروا مني».

وأيضاً: قال الأعمش «إذا رأيت الفقيه يأتي باب السلطان فاعلم أنه لص»

وأيضاً: «وقال: شر الأمراء أبعدهم من العلماء، وشر العلماء أقربهم من الأمراء».

ولقد كنا نتمنى لو أن المؤلف علّق على بعض تلك الأخبار والنوادر، واستخلص منها مايضيف شيئاً لبحثه عن الأعمش ومجتمعه وظواهره وشخصيته ومواقفه وعصره، وتكوينه الفكري والنفسي. وإن كان يرى المؤلف - على ما أظن - أن تلك النوادر والأخبار هي ذاتها أكبر شاهد للأعمش وعصره، وأنها هي - لوحدها - كافية للإثارة بمعانيها التي تشع في النفس بدلالات ممتعة ومؤثرة وذات مغزى.. أو أنه يرى أن قسماً كبيراً منها كان قد ورد خلال سياق الدراسة والبحث والاستشهاد.

ولكنه لم يقف عندها طويلاً، ولم يشبعها تحليلاً، أو يستشف منها حقائق كثيرة بموضوعه من جهة وتمتد لأجيال وعصور متأخرة.. قد تتصل بواقعنا ومجتمعنا وحياتنا المعاصرة، من جهة ثانية.

فمثلاً إزاء الأخبار التالية التي تبلور لنا شخصية الأعمش القوية، لا يورد الكاتب سوى عبارات لا تروي غليل القارىء هي: «على الرغم من أنه قد تعرض إلى استفزازات كثيرة من قبل السلطة إلا أنه لم يستجب لذلك، سواء كان ذلك أيام الأمويين أو أيام العباسيين» و يعرض علينا تلك الاستفزازات:

ففي خلافة هشام بن عبد الملك يبعث إليه الخليفة قائلا:

«أكتب لي مناقب عثمان، ومساوىء علي»، فيأخذ الأعمش القرطاس، و يدخله في فم شاة عنده تلوكه و يقول للرسول: قل له هذا جوابك، فيقول له الرسول: إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آته بجوابك. و يتحمل عليه اخوانه قائلين: يا أبا محمد! افتده من القتل، فلما ألحوا عليه كتب له: «أما بعد! يا أمير المؤمنين، فلو كانت لعثمان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض مانفعتك، ولو كانت لعلي رضي الله عنه مساوىء أهل الأرض ماضرتك، مقليك بخو يصة نفسك، والسلام».

أما أيام العباسيين فيورد لنا: «ويمر أبو جعفر المنصور بالكوفة، فيبعث في طلبه، فيخرج إليه، فيقول له: يا أبا محمد ألك حاجة؟ فيرد عليه: أما أنا فليس لي إليك حاجة، وقد ترى ما الناس فيه من هذه الحال، فاتق الله فيهم».

كما كنا نتمنى أيضاً لو وقف المؤلف عند عاهة العمى وآثارها البليغة في نفس الأعمش، وانعكاسها على شخصيته الساخرة القلقة.. لأنها لابد إلا و يكون لها عظيم الأثر وتكمّل صورة الأعمش، التي رسمها لنا الضبيب، وهو يصارع في خضم مجتمع مضطرب متقلب.. تارة يظهر له الازدراء، وتارة أخرى الاحترام.

كما كنا نتمنى أخيراً لو أضاف لعنوان الكتاب صفة أخرى للظرف تتفق وشخصية الأعمش المتمردة.. الرافضة.. القلقة.. الساخرة.

على أننا في النهاية ندعو إلى قراءة هذا الكتاب بتأن، والاستمتاع بما جاء فيه، لأنه لابد للقارىء إلا وأن يخرج منه بأفكار جيدة ممتعة، تضاف إلى معارفه وفكره.. ولأن فيه أيضاً حافزاً قو ياً لتجديد ارتباطنا بتراثنا الفكري.

التزامن بين الحروب الصليبية والف ليلة وليلة

عبد العزيز الرفاعي

• أديب سعودي، من الرعيل الأول، صاحب دار الرفاعي، ودار ثقيف و (عالم الكتب).

التزامن بين الحروب الصليبية وألف ليلة وليلة/عبد الغنى الملاح.. بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨٠م، ٨٠ص (الموسوعة الصغيرة - ٧٣)

هذا الكتيب، عدد من السلسلة اللطيفة التى تصدرها وزارة الثقافة والاعلام في العراق باسم «الموسوعة الصغيرة»، وتحمل ألوانا من الثقافة، في حجم صغير، وعلى ورق ناصع، يشترك في تحريرها عدد كبير من المثقفين والأدباء والعلماء في مختلف الاختصاصات، والحقول، فلا غرو، بعد ذلك، أن اجتمع من هذه الكتب، موسوعة صغيرة، ولكنها كبيرة الفائدة.

من بين الحين والحين، اختار لمطالعتى، عدداً من اعداد هذه السلسلة، وربما ساقته إلي صدفة محضة، فينتفي حينئذ الاختيار.

ولكننى عمدت إلى اختيار هذا الكتاب اختياراً، فقد استلفتنى عنوانه.. وإن بى لشوقاً قديماً، أن أعرف سر هذه الأعجوبة، أعنى (ألف ليلة وليلة)، وجدير بكتاب يحمل هذا العنوان، أن يحدث قراءه، عن شيء من اسرارها، أو يكشف عن بعض صانعى هذه القصص..

لقد أراد الاستاذ عبد الغني الملاح من وراء حديثه عن التزامن بين الحروب الصليبية وظهور ألف ليلة وليلة، أن يكشف عن علاقة بعض قصص ألف ليلة وليلة باحداث الحروب الصليبية.. فهو يذكر لنا في فصله التمهيدى الذى يدور حول «التزامن»، أن ألف ليلة وليلة، يضم ثلاث حكايات - في الأقل - استوعبت ١٤٨ ليلة، تتطرق إلى الحروب الصليبية تصريحا أو تلميحاً، وهي:

١ ــ حكاية الصعيدى وزوجته الفرنجية
٢ ــ وعلى نور الدين ومريم الزنارية
٣ ــ حكاية الملك عمر النعمان ووليده شركان وضوء المكان (ص ٨ من الكتاب)

ويحدثنا في نفس هذا الفصل، وبايجاز يقتضيه الظرف عن العلاقة بين الحدث، وبين المعاناة التى تدور حولها القصص.

ولكى تتضح الصورة للقارىء، يتحدث المؤلف في الفصل التالى عن «الغزو الصليبى» متى وقع، وبعض ظواهره... ثم يتحدث عن العلاقة بين التاريخ والحكايات، وتأثير الحضارة الاسلامية على الصليبيين، واستفادتهم منها، ثم يعقد فصلاً بعنوان لمحات صوفيه، وكأنما يشير فيه إلى تأثر المسلمين بالتفكير اللاهوتى المسيحى، وانعكاس ذلك على فلسفتهم وحكاياتهم في ألف ليلة وليلة، ويتكلم بعده عن (المسألة الاجتماعية) والتعقيدات التى تولدت في المجتمع الاسلامي ابان الحروب الصليبية وبعدها..

ويبدو أن أجمل فكرة طرحها المؤلف في هذا الفصل، هو شيوع ما يمكن أن نسميه الاحتراف العسكرى، وأن الجو العسكري الذى كان سائداً خلال الحروب الصليبية، جعل الجندية، مجرد حرفة مبنية على المصلحة، لا على العقيدة، أو بحسب ما يعبر المؤلف: «فالعلائق الاجتماعية أصبحت علائق مصلحة آنية بعد أن كانت في مطلع تأسيس الدولة الاسلامية علائق فكرة حتى الموت». وهو يذهب إلى أن هذا التأثير مسئول عن ضمور الفكر العربي عدة قرون.. هى التى سميت فيما بعد بالعصور المظلمة.

وعندى أن هذه الفكرة كانت في حاجة إلى ايضاح أكثر، وأن اضطرار المؤلف إلى الايجاز، جعلها غامضة حقاً.. ولكنى أود أن التمس له العذر، إذ يحكمه الحَيِّز.

وفي فصل (الصورة عند القبيلين) يضع المؤلف أمامنا صورة سريعة عما خلفته الحروب الصليبية من انعكاسات داخل دائرة الحكام والأمراء من تمزقات، تعطى هى بدورها انعكاساً على الحكايات الشعبية في ألف ليلة وليلة، فنجد ألوانا من الدسائس والخيانات بين الوزراء والملوك، وشيوع الجهل والخرافة..

ولكن.. هل كانت الصورة، بعد انجلاء غمة الحروب الصليبية قاتمة فحسب، أو كانت هناك صورة مقابلة مشرقة..؟ هذا مايحدثنا به المؤلف في فصل خاص بعنوان (الوجه المشرق) ص ٥٦، وهو فصل مهم حقاً ويشير فيه إلى اهتمام العرب بالعلوم في تلك الحقبة، في حين كان الغرب يرسف في الجهل والفوضى الاجتماعية، وأن ألف ليلة وليلة تصور هذا في حكاية (مريم الزنارية)..

وآخر فصول الكتاب هو فصل (الخسائر والأرباح)، فقد استفاد الغرب من تلك الحروب يقظة ونهوضاً، وتطوراً فكريا مقتبساً من الشرق، بينما كان الشرق يداوى آثار تلك الحروب، ولم يكد يفعل حتى تلاحقت ضربات التتار، فادى كل ذلك إلى نوع من الاستكانة، والركون إلى الكسل والتبلد والاتكالية.. فكان ما كان مما لا نزال نعانى من آثاره..

أفكار كثيرة يحملها هذا الكتاب، على رغم ضآلة حجمه، ولولا هذه (المحدودية)، لجاءنا بكثير من التفصيل والأيضاح..

الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري لعفيف عبد الرحمن

علي القاسمي

• يعمل في مكتب تنسيق التعريب بالرباط

عبد الرحمن، عفيف/الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجري.- بغداد: وزارة الثقافة والاعلام، ١٩٨١م، ٦٦٣ص.

احتفاء بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، أصدر الدكتور عفيف عبد الرحمن الأستاذ المساعد بدائرة اللغة العربية وآدابها بجامعة اليرموك الأردنية كتابة هذا للتنويه بالجهود اللغوية في القرن الرابع عشر الهجري، و يعد الكتاب ببليوغرافية للكتب والمقالات التي تناولت اللغة العربية وعلومها ونشرت في الوطن العربي والعالم الغربي الناطق باللغة الانكليزية. و يتألف الكتاب من مقدمة و بابين وخاتمة وعدد من الفهارس، على الوجه الآتي:

البـــاب الأول :

تناول الجهود العربية بصورة عامة و يقع في ثلاثة فصول:

الفصل الأول : وفيه عرض موجز لمجمع اللغة العربية بدمشق، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمي العراقي ببغداد، ومجمع اللغة العربية الأردني بعمان، ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، من حيث نشأتها وتطورها ومشروعاتها والكتب التي نشرتها والمجلات التي تصدرها. وفي هذا الفصل أيضا ثبت ببعض المؤسسات الأخرى المعنية باللغة العربية، والمؤتمرات والندوات والدورات التي عقدت حولها، وقائمة برسائل الماجستير وأخرى برسائل الدكتوراه التي أعدت في الجامعات العربية حول اللغة العربية.

الفصل الثاني : ببليوغرافية الكتب العربية، ورتبت هذه الكتب بحسب المؤلف ووزعت على الموضوعات التالية :

١ ــ دراسات متصلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف
٢ ــ التـــراث
٣ ــ اللغة العربية بين التأثر والتأثير
٤ ــ المعجم العربي
٥ ــ النحو والصرف
٦ ــ الخط العربي والكتابة
٧ ــ اللهجات العربية
٨ ــ الأمثـــال
٩ ــ علوم البلاغة
١٠ ــ التراجـــم
١١ ــ دراسات مقارنة
١٢ ــ اساليب تعليم اللغة العربية
١٣ ــ علـم اللغـة
١٤ ــ تنمية اللغة العربية

الفصل الثالث : ببليوغرافية المقالات والبحوث، ورتبت هذه المقالات بحسب كتابها موزعة على الموضوعات التالية :

١ ــ أساليب القرآن الكريم و بلاغته
٢ ــ في التاريخ اللغوي ونقد التراث
٣ ــ اللغة العربية بين التأثر والتأثير
٤ ــ المعجم العربي
٥ ــ النحو والصرف
٦ ــ الخط والكتابة
٧ ــ اللهجـات
٨ ــ دراسات مقارنة
٩ ــ اساليب تدريس اللغة العربية للناطقين بها وغير الناطقين بها.
١٠ ــ علم الأصوات الأدبية
١١ ــ علم الدلالة
١٢ ــ علوم البلاغة
١٣ ــ دراسات حول اللغة العربية خارج الوطن العربي
١٤ ــ ظواهر خصائص لغوية
١٥ ــ الاصلاح اللغوى الحديث
١٦ ــ مقالات منوعـة

الباب الثاني : الجهود الغربية باللغة الانجليزية وتشمل :

الفصل الأول : حركة الاستشراق وما قدمته في مجال التراث العربي ودراسته ونقده: و يشتمل هذا الفصل على قائمتين الأولى بكتب التراث اللغوي التي حققها المستشرقون وهي مرتبة بحسب مؤلف الكتاب لا محققه، والقائمة الثانية بالدراسات والبحوث التي أجراها المستشرقون وهي مرتبة بحسب جنسية الباحث، وهكذا تبدأ القائمة بالدراسات التي نشرها الاسبان، وتنتهي بالدراسات التي أجراها المجريون.

الفصل الثاني: ببليوغرافية الرسائل الجامعية في الجامعات غير العربية مرتبة بحسب مؤلفيها لا بحسب موضوعاتها.

الفصل الثالث: ببليوغرافية الكتب باللغة الانكليزية مرتبة بحسب مؤلفيها لا بحسب موضوعاتها.

الفصل الرابع : مقالات وبحوث باللغة الانكليزية مرتبة بحسب مؤلفيها لا بحسب موضوعاتها.

الخاتمة : ويحاول فيها المؤلف الفاضل تقييم الجهود المبذولة في الوطن العربي وخارجه لخدمة اللغة العربية، وتلمس الاتجاهات التي اتخذتها، وتحديد مواطن الاهتمام فيها، مستنبطا ذلك من حجم الدراسات في كل فرع من الفروع التي اصطنعها. فيستخلص أن «التراث والمعجم والنحو والصرف وتنمية اللغة العربية حظيت باهتمام الدارسين أكثر من الدراسات الأخرى. وهذا يعكس الاهتمام باللغة العربية، و يتمثل هذا الاهتمام في محاولة احياء التراث والاستفادة منه في رفد حاضر اللغة تمكينها من الصمود والاستمرار ومسايرة ومواكبة التقدم العلمي والفكري في هذا القرن، كما يتمثل هذا الاهتمام أيضا في محاولة تطوير المعجم العربي الحديث ليصبح ميسوراسهل التناول متخصصا في كل علم وفن..»

الفهارس : وتضم :

أولا : الفهارس العربية التي تتألف من :

أ ــ فهرس الاعلام، وأدرجت فيه أسماء جميع المؤلفين والكتاب مع أرقام الكتب أو المقالات التي نشروها ليرجع اليها القاريء.

ب ــ توزيع الرسائل الجامعية في الجامعات العربية، و يبين هذا التوزيع أن جامعة القاهرة انتجت ٣٣ رسالة ماجستير و ٧٨ رسالة دكتوراه وجامعة بغداد ٢٨ رسالة ماجستير و ٣٤ رسالة دكتوراه.

ج ــ قائمة بالجامعات العربية التي تضم أقساما للغة العربية مرتبة ترتيبا الفبائيا.

د ــ قائمة بالدوريات العربية التي تهتم بالدراسات اللغوية مرتبة ترتيبا ألفبائيا.

ثانيا : الفهارس الأجنبية ، وتضم :

أ ــ فهرس الاعلام، وادرجت فيه اسماء المؤلفين والكتاب مع ارقام الكتب أو المقالات التي نشروها باللغة الانكليزية.

ب ــ قائمة بالجامعات البريطانية والكندية والامريكية التي تدرّس فيها اللغة العربية.

ج ــ قائمة بالدوريات المهتمة بالدراسات اللغوية والعربية والاسلامية الصادرة باللغة الانكليزية في انكلترة، والولايات المتحدة الأمريكية، وأوربا، وباقي الأقطار. ومن هذه القائمة يتضح لنا ان هنالك ٥٨ دورية منها ٢١ في انكلترة، و١٨ في الولايات المتحدة، و ١٠ في أوربا، و ٩ في بقية الاقطار.

د ــ توزيع رسائل الماجستير والدكتوراه في الجامعات الأمريكية والبريطانية وفي بقية الاقطار. ومن هذه القائمة يتضح أن ٣٩ رسالة دكتوراه وخمس رسائل ماجستير تدور حول اللسانيات العربية اجيزت في جامعة لندن و ٢٥ رسالة دكتوراه وخمس رسائل ماجستير اجيزت في جامعة تكساس في اوستن، وتأتي بعد ذلك جامعة ليدز البريطانية التي اجازت ١٥ رسالة ماجستير وست رسائل دكتوراه.

هـ ــ كشاف بالمصطلحات اللغوية ويشتمل على أكثر من خمسمائة مصطلح باللغة الانكليزية ومقابلاتها بالعربية مرتبة ترتيبا ألفبائيا بحسب المدخل الانكليزى.

وبالقاء نظرة سريعة على هذا العرض الموجز لمحتويات كتاب (الجهود اللغوية خلال القرن الرابع عشر الهجرى) يتبين لنا بكل وضوح الجهود المضنية القيمة التى بذلها المؤلف الفاضل الدكتور عفيف عبد الرحمن في جمع مواد الكتاب التي بلغت ما يقرب من ثلاثة آلاف وستمائة مادة تتوزع بين رسالة جامعية، وكتاب ومقال باللغتين العربية والانكليزية. كما يتبين لنا الأهمية التي يتحلي بها هذا الكتاب بوصفه مرجعا لاغنى عنه لكل مكتبة ولكل باحث في العلوم اللغوية العربية. وسأبدى بعض الملاحظات حول هدف الكتاب، ومصادره، ومادته، وطريقة عرضها.

يتوخى المؤلف جملة أهداف نبيلة يمكن حصرها في هدفين رئيسيين: أولها، اطلاع الباحث على ما سبقه من دراسات في العلوم اللغوية بصورة عامة وفي مجال اهتمامه بصورة خاصة سواء كانت هذه الدراسات باللغة العربية أم باللغة الانكليزية. وثانيها، تقديم مسح شامل للميادين اللغوية المختلفة وللأبحاث التي اجريت فيها بحيث تستطيع المؤسسات اللغوية والجامعات ومراكز البحوث التخطيط للمرحلة المقبلة في ضوء ما انجز في القرن المنصرم.

واستقى المؤلف الفاضل مادته البيبليوغرافية من فهارس دور النشر والمكتبات العامة والجامعات والمؤسسات المتخصصة، ومما نشر من بيبليوغرافيات عامة أو خاصة في الوطن العربي، وكتب وأبحاث منشورة أخرى. ولعل من أهم البيبليوغرافيات التي استخدمها المؤلف الفاضل (معجم مصادر الدراسات اللغوية العربية) الذي صنفه الدكتور محمد حسن باكلا ونشر في لندن عام ١٩٧٥م، غير أن معجم الدكتور باكلا اشتمل على ما يقرب من الفين وثماني عشرة مادة صدرت قبل عام ١٩٧٥ وقد وصف معظمها بايجاز وإن كتاب الدكتور عفيف عبد الرحمن يشتمل على ما يقرب من ثلاثة آلاف وستمائة مادة من دون أي وصف لمحتوياتها. وعلى الرغم من أن التعريف الموجز بمضمون الكتاب أو المقال أمر لازم لتحقيق أفضل للأهداف التي تتوخاها أية ببليوغرافية، فان الدكتور عبد الرحمن لم يقدم هذا الوصف والتعريف الذي كان يطمح اليها «بسبب تضخم حجم الكتاب، وصعوبات نشر الكتاب الكبير الحجم معروفة» على حد قوله.

ومادة البيبليوغرافيا بمداخلها التي تبلغ ثلاثة آلاف وستمائة مدخل ليست شاملة لكل الدراسات والجهود التي بذلت في ميدان خدمة اللغة العربية خلال القرن الرابع عشر الهجري، وتتخللها ثغرات يدركها المؤلف الفاضل ويعزو هذا النقص إلى سوء توزيع الكتاب العربي، وعدم شمولية مكتباتنا، ونفاذ كثير من الكتب دون اعادة طباعتها.

ولقد توخى المؤلف الفاضل عرض مواد البيبليوغرافية بطريقة تفصيلية فصنف المواد أولا إلى كتب ومقالات ثم عاد فقسم كل قسم إلى أبواب موضوعية اقترحها بنفسه كما بينا ذلك في بداية هذا المقال. وكان بودنا لو أن البيبليوغرافية لم تفرق بين الكتاب والمقالة لأن ما يهم الباحث هو المحتوى وليس الشكل وقد يجد في مقالة ما لا يجده في كتاب، كما أن التقسيم الموضوعي الذي اقترحه المؤلف الفاضل في ببليوغرافية الكتب لا يطابق تماما التقسيم الذي اتبعه في ببليوغرافية المقالات بل إن التقسيمين لايطابقان التقسيم المعهود في المكتبات للمواد اللغوية.

ومن ناحية الاخراج الطباعي، بذلت جهود ملحوظة في الضبط والتصحيح، ومع ذلك فقد وقعت بعض الاخطاء المطبعية التي تؤدي الى تغيير المعنى أو تعسير مهمة الباحث الذي يستخدم هذه الببليوغرافية، ومن هذه الأخطاء، وعلى سبيل المثال لا الحصر، ما يأتي:

ــ في الصفحة ٣٢، السطر ٩، «معجم المصطلحات الجراحية» للأمير الشهابي، والصحيح «معجم المصطلحات الحراجية».

ــ في الصفحة ٢٦٣، السطر ١١، «اساليب تدريس اللغة العربية للناطقين بها وغير الناطقين. «والصحيح» وغير الناطقين بها».

ــ في الصفحة ٣٧٢، السطر ٥، «مجلة آداب جامعة الكويت ـ العدد الأول (١٩٣٧) والصحيح «١٩٧٣»».

ــ في الصفحة ٣٧٥، السطر ١٤، «مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ـ عدد ١٧ (   ) ولم تذكر السنة.

ــ وقد اختل الترتيب الألفبائي في بعض اجزاء الببليوغرافية كما حصل في الصفحة ٥٠٢ فظهرت المواد التالية بترتيب مختل:

437 AL-ANI, SALMAN
438 ANSHEN
439 AL-ANI, RIYADH

إن الدكتور عفيف عبد الرحمن يستحق الشكر والتقدير للخدمة القيمة التي أسداها للغة العربية وللباحثين في علومها باخراج هذه الببليوغرافية القيمة.

• انظر مقالي عن هذا المعجم في مجلة اللسان العربي، مج ١٦ ج ١ (١٩٧٨) ص ٢٢١ ــ ٢٢٢

لمحات في المكتبة والبحث والمصادر لمحمد عجاج الخطيب

حشمت قاسم

● دكتوراه في المكتبات من جامعة لندن، أستاذ مساعد في قسم المكتبات بكلية الآداب بجامعة القاهرة و يعمل في جامعة الامارات العربية المتحدة بالعين حاليا، له مؤلفات.

الخطيب، محمد عجاج/لمحات في المكتبة والبحث والمصادر.- ط ٧.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢، ٤٠٨ ص.

يحظى التعريف بالخدمات المكتبية في أوساط المستفيدين منها، واكساب هؤلاء المستفيدين القدرة على التعامل الفعال مع أوعية المعلومات باهتمام متزايد من جانب المتخصصين في تنظيم المعلومات والقائمين على تقديم الخدمة المكتبية. ومع تفاقم مايسمى الآن «بمشكلة المعلومات» بدأ تدريب المستفيدين يحظى بالاهتمام في الإنتاج الفكرى المتخصص في مجال المكتبات والمعلومات حيث يهتم هذا الانتاج الفكرى بأساليب التدريب و برامجه من حيث مبرراتها ومستوياتها وأسس تنظيمها ومحتواها وطرق تنفيذها ومعايير تقييمها.. الخ. و يستند هذا الاهتمام في الواقع إلى مبررين أساسيين، أولهما مانتج عن ضخامة «كم» ما ينشر من أوعية المعلومات وما يكتنف هذه الأوعية من تشتت يجعل من العسير على المستفيد تتبعها والاحاطة بمفرداتها وانتقاء ما يتصل منها باحتياجاته. أما المبرر الثانى فهو عجز نظم التعليم في معظم الدول في الوقت الحاضر عن تنمية القدرة على القراءة الواعية في سن مبكرة، وعدم تركيز هذه النظم على الكلمة المطبوعة باعتبارها مصدرا أساسيا للمعرفة.

وتتخذ محاولات اكساب المستفيدين المهارات الأساسية اللازمة للتعامل الفعال مع المكتبات ومصادر المعلومات أشكالا عدة، تتمثل فيما توفره المكتبات من خدمات ارشادية وما يصدر عنها من أدلة تعرف بمواردها وامكاناتها، وما تنظمه المكتبات الاكاديمية من جولات بين أرجائها، وما يوفره منتجو الخدمات الوراقية المتطورة من امكانات تدريبية خاصة، وما تنظمه الجامعات والمعاهد من مساقات دراسية.. الخ.

ومن الظواهر المبشرة في عالمنا العربى ما نلحظه من اهتمام متزايد بالمكتبات باعتبارها من أهم مقومات البحث العلمى. ولهذا الاهتمام جذوره الراسخة في أعماق الثقافة العربية الاسلامية بالطبع. ولا يكاد الآن كتاب عربى في «البحث العلمى» يخلو من اشارة إلى المكتبة وسبل الافادة منها. وتقتضينا

الأمانة الاعتراف بما يكتنف التأليف في موضوع «المكتبة والبحث» - رغم بساطته الظاهرة - من صعوبات، فالمؤلف مهما توافرت له من امكانات فنية وموضوعية يخاطب جمهورا أبعد ما يكون عن التجانس سواء من حيث المستوى الدراسى، أو من حيث الاهتمام الموضوعى، أو من حيث طبيعة النشاط ... الخ. يضاعف من هذه الصعوبة التعامل مع مجال لا يسلم نفسه طواعية للتأليف الموسوعي الغالب على أعمال معظم المؤلفين العرب المعاصرين في المجال. وخير شاهد على هذه الصعوبات ما نلحظه في الانتاج الفكرى الأجنبى من ضآلة عدد الأعمال التى تهدف للتعريف بالخدمات المكتبية وخدمات المعلومات على اطلاقها، بالقياس إلى عدد الأعمال الموجهة لفئات معينة من المستفيدين وغالبا ما يكون التوجيه على أساس التخصص الموضوعى كما في سلسلة How to Find out in أو أدلة الانتاج الفكرى المتخصص في موضوعات معينة. كذلك يمكن للتوجيه أن يكون على أساس طبيعة النشاط في مجالات موضوعية أو مهنية معينة. وفضلا عن كفالة ضمانات إصابة الهدف مباشرة يتيح هذا التوجيه فرصة التركيز الذى يكفل حداً معقولا من الشمول في المعالجة. وهناك ولا شك مواصفات ينبغي أن تتوافر فيمن يتصدى للتأليف في هذا المجال، فبالاضافة إلى التخصص في أحد الموضوعات ينبغي أن يكون المؤلف ملما بجميع متغيرات مكونات مايسمى بنظام الاتصال العلمي في موضوع تخصصه، بدءاً بانتاج المعلومات وفئات المنتجين من الافراد والمؤسسات، ومنافذ البث الرسمي وغير الرسمي للمعلومات، وتنظيم المكتبات وغيرها من المرافق القائمة على تجميع المعلومات وتنظيمها وتيسير سبل الافادة منها، وانتهاءا بالمستفيدين من المعلومات من حيث طبيعة نشاطهم واختلاف أنماط الطلب على المعلومات تبعا لاختلاف الانشطة ومجالات تسخير مايتم تحصيله من معلومات.

ونخرج مما سبق إلى وجود نمطين أساسيين للتأليف الهادف لمساعدة المستفيدين واكسابهم القدرة على أن يسلكوا سبيلهم بأمان في غابة الانتاج الفكرى. و ينضوى النمطان معا تحت راية مايسمى بالموجزات الارشادية لأن مابينهما من اختلاف إنما هو اختلاف في الدرجة لا في النوع. إلا أن النمط الأول وعر المسالك صعب المراس لأنه يحاول تقديم مجال فنى متخصص لقارىء لا يحفل كثيرا بفنيته، مما يؤدى إلى صعوبة التماس اللغة المشتركة بين المؤلف والقارىء. فالتأليف هنا في مجال المكتبات وتنظيم المعلومات لقارىء لا يهمه من المكتبات ونظم المعلومات أكثر مما يهم السائق العادى من هندسة السيارات. أما النمط الثانى فهو أيسر كثيرا حيث ضمانات اللغة المشتركة مكفولة. و يقتصر التحدى هنا على قدرة المؤلف على تحديد مجاله وما لهذا المجال من ارتباطات موضوعية. والقدرة على تتبع مختلف أنواع أوعية الانتاج الفكرى وتحديد مستويات الشمول أو معايير الانتقاء في تغطيتها، ثم تقديم نتيجة التتبع في شكل يكفل فعالية التعريف بها و بيان أنماط ومداخل الإفادة منها.

هذا وقد خطت الجامعات والمعاهد العربية خطى واسعة في مضمار تدريب المستفيدين من المعلومات، حيث بدأت المساقات الدراسية الموجهة لتحقيق هذا الهدف تحتل مكانها سواء ضمن المساقات الخاصة بمتطلبات قسم معين أو ضمن المتطلبات الأساسية للجامعة أو المعهد. وقد نشأ الكتاب الذى بين يدينا في ظل واحد من هذه المساقات، حيث اسندت عمادة كلية الشريعة بالرياض إلى المؤلف تدريس مساق «البحث والمكتبة» ومن أهداف هذا المساق كما ورد في مقدمة الطبعة الأولى من الكتاب «... ليتمرن الطالب على البحث العلمي، و ينطبع على المنهجية التى اتسمت بها أبحاث أسلافنا العلماء، و يطلع على أمهات المصادر والمراجع في علوم الاسلام والعربية وما يلحق بها...» ومن الطبيعي أن يكون لظروف النشأة انطباعها على هذا العمل وإن حاول الجمع بين خصائص النمطين اللذين سبقت الاشارة اليهما. إلا أننا رعاية لحق المؤلف أولا ومراعاة لما سبق عن خصائص النمطين ثانيا، نرى أن الكتاب أقرب إلى النمط الثانى منه إلى النمط الأول. فقد نشأ المؤلف في كنف الدراسات الاسلامية، ولا يزال يمارس جهوده في البحث والتدريس في هذا الميدان، فقد حصل على الدرجة الجامعية الأولى في الشريعة الاسلامية كما حصل على الماجستير في الحديث برسالة عنوانها «السنة قبل التدوين» كما نال الدكتوراه في نفس المجال برسالة عنوانها «نشأة علوم الحديث ومصطلحه مع تحقيق كتاب المحدث الفاصل بين الراوى والواعى للرامهرمزى» ثم عمل بتدريس العلوم الاسلامية في عدد من الجامعات العربية منذ تعيينه مدرسا بقسم علوم القرآن والسنة بجامعة دمشق عام ١٩٦٦ وحتى الآن حيث يعمل استاذا بقسم الدراسات الاسلامية بكلية الآداب - جامعة الأمارات العربية المتحدة - و يتركز جهده العلمي: تأليفا وتحقيقا كما نلاحظ في هذا المجال. فضلا عما ساقته إليه دراساته من تجوال في ربوع التراث العربي. وعلى ذلك فان مانتوقعه من هذا

الكتاب في المقام الأول جهدا يقيم جسرا متينا يعبر بالمختصين في الدراسات الاسلامية والمهتمين بها تلك الفجوة الفاصلة بين تراثنا بكل كنوزه والمتعطشين للكشف عن مطمور هذه الكنوز إلا أن إصرار المؤلف على أن يكون جهده لمحات قد تركنا ودوننا وهذا الهدف مسافات.

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول يتناول أولها المكتبة بينما يتناول الثاني البحث وأصوله أما الثالث فيتناول أهم المصادر والمراجع في العلوم الاسلامية. وربما كان في توزيع هذه الفصول الثلاثة على صفحات الكتاب ما يعطى صورة لحقيقة اهتمامات المؤلف، فبينما يحظي الفصل الأول بحوالى ١٩٫٨٪ من حجم الكتاب، نجد نصيب الفصل الثانى لا يتجاوز ٦٫١٪ من صفحات الكتاب بينما يستأثر الفصل الأخير بالبقية الباقية والبالغة حوالى ٧٤٫١٪ ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك على طبيعة ما يحظى به كل فصل من معالجة. و يقسم المؤلف معالجته لموضوع الفصل الأول إلى ثمانى نقاط، تبدأ بتمهيد يعرض فيه لموقف الاسلام من العلم ونشأة التدوين في الحضارة العربية، ثم المكتبة وما لها من أثر تربوى، ونشأة المكتبات، وأشهر المكتبات في الاسلام، وأشهر المكتبات في العالم في العصر الحديث، والمخطوطات العربية ومعهد احياء المخطوطات، والمراكز الحديثة لحفظ التراث العربي وإحيائه ونشره، وأخيرا المكتبة وفهارسها ونظامها. ولا أرى في طرح الكثير من المعلومات التاريخية جانبا ما يمكن أن يؤثر سلبا في ارتباط هذا الكتاب بالظروف العملية التى نشأ في ظلها، وربما كان من شأنه اعطاء المؤلف فرصة الاهتمام بالموضوعات الجارية، بدلا من أن يقدم المكتبة في صورة تقليدية أبعد ما تكون دلالة على ما حققته المكتبات العربية من تقدم فنى خلال ربع قرن مضى، خاصة وأن المؤلف أثناء تأليفه لهذا الكتاب كان يتعامل مع واحدة من أحدث وأكبر المكتبات الجامعية في الوطن العربى (مكتبة جامعة الرياض). ومن الغريب أن يجيء هذا الفصل خلوا من اشارة تذكر عما يمكن للمكتبات أن تقدمه من خدمات مباشرة للباحثين.

و يعرض المؤلف في الفصل الثاني بايجاز شديد للبحث وأصوله، حيث يتناول أهمية البحث والغاية من البحث وتعريف البحث وأهم ما ينبغى أن يتحلى به الباحث والمراحل التى يمر بها البحث. وتحيز المؤلف للبحث في الانسانيات بوجه عام والحديث وعلومه بوجه خاص واضح لا شبهة فيه. وربما كان أهم ما يميز هذا العرض التركيز على مثال تطبيقي في دراسة الحديث حيث تصدر المعالجة عن خبرة بالمجال.

و يتناول الفصل الثالث أهم المصادر والمراجع في العلوم الاسلامية. وقد أحسن المؤلف صنعا أن بين في مستهل الفصل مفهومه لكل من المصدر والمرجع، وهما مصطلحان تختلف علاقتها الدلالية اختلافا بينا من سياق لآخر. و ينقسم الفصل إلى عشرة مباحث يتناول كل منها واحدا من الموضوعات الاسلامية الأساسية، فضلا عن ثلاثة مباحث مخصصة لفئات معينة من الكتب. وترد موضوعات هذه المباحث الثلاثة عشر مرتبة على النحو التالى: القرآن الكريم وعلومه والحديث وعلومه، والسيرة النبوية، والعقيدة والفرق، والفقه، وأصول الفقه وتاريخ التشريع، والتاريخ الاسلامي والتراجم، وحضارة الاسلام، وحاضر العالم الاسلامى، واللغة والأداب، وكتب جامعة، وكتب في دراسات اسلامية، ومعاجم البلدان، ومراجع المراجع، و يقسم المؤلف محتويات هذه المباحث في تفريعات موضوعية أو شكلية وفق ما تقضى الضرورة.

و يشتمل «فهرس اسماء الكتب» الوارد بنهاية الكتاب على ٦٧٩ مرجعا إلا أن مجموع ما تناوله المؤلف بالشرح يبلغ ٥٠٦ مرجعا، موزعة كما في الجدول التالي:-

المراجع موزعة على المجالات :

المجال	عدد المراجع	النسبة المئوية
القرآن الكريم وعلومه	٧١	١٤٫١
الحديث وعلومه	٩٤	١٨٫٦
السيرة النبوية	١٧	٣٫٤
العقيدة والفرق	٣٦	٧٫١
الفقه	٤٩	٩٫٧
أصول الفقه وتاريخ التشريع	٢٧	٥٫٣
التاريخ الاسلامي والتراجم	٢٧	٨٫٥
حضارة الاسلام	١٩	٣٫٨
حاضر العالم الاسلامي	١٣	٢٫٦
اللغة والأداب	٦٤	١٢٫٦
كتب جامعة	٦٤	١٢٫٦
معاجم البلدان	٤	٠٫٨
مراجع المراجع	٥	٠٫٩
المجموع	٥٠٦	١٠٠

وما إذا كان هذا التوزيع النسبي يتفق ونصيب كل مجال من التراث العربي القديم والمعاصر أمر يحتاج إلى دراسة. وما يبديه المؤلف من اهتمام خاص بالحديث وعلومه واضح لا لبس فيه حيث يحظى هذا المجال بأكبر عدد من المراجع، يليه مباشرة القرآن الكريم وعلومه، ثم اللغة والأداب - إلا أن ما يلفت النظر حقا ضآلة عدد ما عرض له المؤلف من وراقيات في مبحث ما أسماه «مراجع المراجع» فما فات المؤلف في هذا الباب كثير، خاصة وأن التراث العربي حافل بالأعمال الوراقية، فضلا عن الجهود الوراقية المعاصرة التي تهدف إلى تغطية الانتاج الفكرى العربي بأبعاده الموضوعية والنوعية والجغرافية والزمنية.

والكتاب في جملته وعلى ضوء ما تكشف لنا من حقائق في هذا العرض السريع يعد أداة أساسية لاغنى عنها لمن يخطو أولى خطواته في محاولة التأقلم مع الانتاج الفكرى العربي القديم والمعاصر في الدراسات الاسلامية والعربية.

محمد عبد الحليم عبد الله حياته وأدبه ليوسف نوفل

ابراهيم محمد ابو النجا

● ماجستير في الأدب من جامعة القاهرة، يعمل محاضراً في قسم اللغة العربية بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض.

نوفل، يوسف/محمد عبد الحليم عبد الله حياته وأدبه.- الرياض: عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض، ١٤٠١ - ١٩٨١م،

تحرص جامعة الملك سعود على أن تزود مكتباتها بالمؤلفات الجادة، التي تفيد القراء بما تحمله بين طياتها من عطاء جديد في مجالات التخصص المختلفة. ومن هذه الأعمال القيمة التي صدرت عن عمادة شئون المكتبات بالجامعة حديثا دراسة واعية لأدب الكاتب «محمد عبد الحليم عبد الله» بقلم يوسف نوفل تحت عنوان: (محمد عبد الحليم عبد الله حياته وأدبه).

وقبل أن أقدم بين يدى القارىء عرضا لمنهج هذا الكتاب، ومعالجته الفنية لذلك العطاء الأدبي المتنوع يطيب لى أن أعرب عن تقديرى وإعجابى بما توصل إليه المؤلف من أحكام نقدية أنصف بها هذا الأديب بعد أن أوشكت بعض الأقلام الجائرة أن تسيء إلى رؤاه الفنية لحاجة في نفوس أصحابها.

ومما لا ريب فيه أن تناول الأعمال الأدبية يتطلب قدرات خاصة في صدارتها (من وجهة نظرى) الحاسة الفنية الصادقة التى مرنت على العطاء ومارست الإبداع الأدبى، والتى تميز بها صاحب هذه الدراسة، وكانت واحدة من الدوافع التى جعلته يقبل على تناول فن الأديب المذكور بحماسة وثقة إذ يقول في المقدمة: «ومن الحق أن أقرر أن هذه الصلة الأدبية تعد إحدى دوافع العمل، يضاف إليها هوى في النفس لفن القصة الذى أكتب منه القصة القصيرة»(1).

أما الكتاب المشار إليه فيتألف من خمس وستين ومائتى صفحة بعد المقدمة، وهو من الحجم الكبير، وقد أُخرِجَ إخراجاً جيّداً يستوجب شكر الهيئة المعنية بالطباعة. وتقوم خطة الكتاب على ثلاثة أبواب وخاتمة.

الباب الأول :

عالج الباحث في هذا الباب بفصوله الخمسة حياة الأديب (محمد عبد الحليم عبد الله) بابعادها المختلفة منذ وُلد في العشرين من مارس سنة ١٩١٣م في قرية (كفر بولين) بمحافظة (البحيرة) من جمهورية مصر العربية إلى أن توفي في الثلاثين من يونيو عام ١٩٧٠م.

ففي الفصل الأول تناول المؤلف نشأة صاحبه بحاسة فنية تنتقي من أحداث الطفولة ما يمكن أن يكون رصيدا زاخرا يستمد منه الأديب ما تحتاج إليه صوره الأدبية عندما تزهر موهبته، وتتهيأ للإبداع والعطاء. فنراه يركز على بناء الأسرة، وعلاقة الأديب بجميع أفرادها منذ حداثته لما لهذه العلاقة من أثر واضح في حياته الأدبية، فحبه لأمه أصبح مصدرا حيويا لتلوين عاطفته، وتعميق ارتباطه بالمجتمع البشرى من حوله، وقد عبر الأديب عن ذلك بقوله: «علمتنى حب الفقراء لأننا منهم على شرط أن يكون الحب دواء ناجعا لا جرعة مسكنة، وعلى شرط أن أنجح في أن أعمل ما يعجز عنه أولاد الأغنياء، وعلى شرط ألاّ أركب الحصان وأترك أخى يجرى ورائى بل أن نتقاسم الفرحة واللقمة والمكسب، وعشت معك يا أماه زهرة شبابى كله فرأيتك مثالا لإنكار الذات فتعلمت منك أن من الواجب أن نصنع الجميل، ونتصرف كمن يزرع شجرة على الطريق العام»(٢).

وعلى قدر هذا الحب السامي كان حزن الأديب وهلعه لفقد هذه الأم الرءوم، وكلاهما ترك أثره واضحا مع غيره من العوامل على صفحة حياته الأدبية والجِسْمية.

و يلم الكاتب في الفصل الثانى بعوامل تكوين شخصية أديبنا، تلك العوامل الخارجية التى تترسب في أعماق ذوى المواهب فتكون روافد شتى للعطاء على مختلف مراحل حياتهم.

ومن هذه العوامل التى أسهمت إلى حد كبير في تشكيل بناء صاحبنا فكريا ونفسيا بعد مراحل تعليمه قراءاته لأعلام الأدب العربى من أمثال: طه حسين، وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة، ومحمود تيمور، والمنفلوطى. كما اتصل بالآداب الأجنبية وقرأ لمكسيم جوركى، وتولستوى، و بلزاك، وستاندال، وتوماس هاردى وغيرهم كما كان لحياته العلمية منذ أن توظف بمجمع اللغة العربية دور بارز في صقل موهبته واتساع دائرة معارفه إلى غير ذلك من العوامل العاطفية التى تثير الوجدان وتلهب المشاعر.

أما الفصل الثالث فيذهب الكاتب إلى حصر أعمال الأديب الفنية المتنوعة فيقف على ثلاث عشرة رواية بدأها محمد عبد الحليم عبد الله برواية (لقيطة) في ١٩٤٧م وآخرها «قصة لم تتم» في ١٩٧٠م وفي مجال القصة القصيرة نجد لهذا الأديب تسع مجموعات قصصية بدأها بمجموعة «النافذة الغربية» ١٩٥٤م وختمها بمجموعة «جولييت فوق سطح القمر» عام ١٩٧٠م.

ومما تجدر الإشارة إليه أن كثيرا من أعمال هذا الأديب قد ترجم إلى عدة لغات أجنبية. وهناك فنون أخرى كالرسائل، والمقالات، والأحاديث الإذاعية لم يأل الباحث جهدا في سبيل تتبعها حتى وقف عليها جميعها مترسما منهجه التاريخى الفنى الذى سار عليه.

ولما كانت المواجهة بين الأديب والنقاد أمرا لا مفر منه، آثر المؤلف أن يخص الفصل الرابع بتفصيل القول في هذه القضية الهامة في حياة الحركة الأدبية، وحرص على أن يضع بين أيدينا كثيرا مما قاله الأدباء والنقاد، فيما نشره صاحبنا من روايات وقصص ولم يرض محمد عبد الحليم عبد الله عن موقف النقاد، وخاصة عندما تغيرت نبرة النقد ومالت إلى الترو يج لدعوة الالتزام منذ ثورة ١٩٥٢م، وجهر بما تمتلىء به نفسه الصافية من حب وإخلاص لفنه تحت شعار الحرية الذاتية إذ يقول: «فالحرية هى روح العمل الفنى، أما أن يُقاد الفنان من الأمام إلى هدف، أو يدفع من الخلف إلى هدف فهذه بِدْعة لا تلبث أن تختفى، وسيظل الكتاب الذين كتبوا من غير مذهبية يكتبون، وسيظل الناس يقرأون لهم على الرغم من حيلة النقاد الموجهين الذين يريدون أن يلغوا قسما كبيرا من الثقافة، وأن يهدموا في سبيل من يدعون إليهم كثيرا من الصروح حتى تستوى الأرض بالأرض، و ينزل الجيد إلى الردىء»(٣).

و يأتى الفصل الخامس إلى رحيل الأديب عن عالم الأحياء، و يسجل الباحث ملابسات الأزمة القلبية التى أدت إلى وفاة هذا الأديب في الثلاثين من يونيو عام ١٩٧٠م تاركا من بعده لزوجه وأولاده الثلاثة آلاما عميقه، ولعشاق فنه حزنا مقيما.

الباب الثانى :

وفي هذا الباب بفصوله الثلاثة دراسة متأنية يرسم فيها المؤلف ملامح المذاهب الأدبية التى تأثر بها الأديب الراحل، وتجلت

سماتها فيما صوره من أحداث، وانتقاه من نماذج بشرية توشحت بالرومانسية في المرحلة الأولى، حيث أغرق محمد عبد الحليم عبد الله في ذاتيته، واستوحى خياله، كما نلمس في «بعد الغروب» و «شجرة اللبلاب» و «شمس الخريف» ثم زاوج بين الرومانسية والواقعية في المرحلة الثانية بعد ما اتجه نحو القضايا العامة التى تهم الفرد، وتشغل بال الجماعة، ولعل من النماذج التى تمثل هذه الانتقالة الفنية «من أجل ولدى» و «الجنة العذراء» و «البيت الصامت» ومن نماذج هذا الاتجاه في قصصه القصيرة ثلاث مجموعات هى «الضفيرة السوداء» و «حافة الجريمة» و «خيوط النور».

وفي المرحلة الأخيرة أخلص الأديب إلى حد كبير للاتجاه الواقعى، متأثرا بالأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى شهدتها مصر مُنذ ١٩٦٧م وقد عبرعن ذلك في حديثه إلى المستشرقة (إنجا فاييقا) قائلا: «إذا كان هذا اليوم الخامس من يونيو ١٩٦٧م حداً فاصلا في التاريخ فكيف لا يكون حداً فاصلا بين عهدين فى شعور الناس وفي إحساسهم. وحين أقول الناس فأنا أقصد جميع الناس، فما بالنا بالكاتب والفنان الذى اتفقنا أولا على أنه إنسان غير عادى»([٤]).

ولعل روايتيه «للزمن بقية» و «قصة لم تتم» تنمان عن ملامح هذا الانتماء الواقعى بما تعالجانه من أحداث سياسية، وقضايا وطنية عاشها المجتمع المصرى بأسره. ولم يُغفل المؤلف الحديث عن الرمزية وآثارها في بعض أعمال هذا الأديب مشيرا إلى آراء النقاد في هذا الصدد، مُستشفاً سمات هذا المنحى من «ذكريات أجناس» و «حصاد ليلة» وغيرهما.

الباب الثالث :

و يتناول هذا الباب على امتداد فصوله الأربعة عناصر الأعمال الأدبية بالتشريح والدرس. فتتبع المؤلف النسيج اللغوى مسجلا عناية الأديب واهتمامه برصانة العبارة، والاقتباس من الشعر في فن الرسائل مما يشير إلى تأثره بأسلوب المقامات، والعمل على محاكاة ظواهرها اللغوية بصفة عامة، ثم تنوعت أساليب الكاتب في أعماله الروائية والقصصية، حيث استخدم الضمائر الثلاثة (الغائب، والمخاطب، والمتكلم) استخداما جيّداً ارتبط بالدوافع النفسية، ودلّ عليها دلالة واعية.

ومن الظواهر الأسلوبية التى نلمسها في نسيج أديبنا غيرما سبقت الإشارة إليه الميل للتعبيرات القديمة، والولع بالصور البيانية، واحتواء الأغانى والحكم والفكاهة الشعبية.

ولاشك أن تخصص «محمد عبد الحليم عبد الله» في اللغة العربية كان من وراء شغفه بهذه السمات التعبيرية التى تطالعنا في كثير من أعماله وأحاديثه. ويمثل الحوار ظاهرة فنية أخرى عمد إليها الأديب في كثير من رواياته وقصصه على أن حرصه على جودة الصياغة التى كلف بها أوقعه كثيرا في عيب ارتفاع الحوار عن مستوى الشخصية.

ومن الطبيعى أن تتنوع النماذج البشرية في الروايات والقصص تبعا لهذا العطاء الثر الذى أنتجه الأديب عبر مراحل تطوره، ونموه الفنى والتى أشرنا إليها من قبل.

فهناك النماذج السلبية والإيجابية، والنامية والمسطحة، والرئيسة، والثانوية وغيرها مما أبرزه مؤلف هذا الكتاب القيم، ويمكننا أن نستشف ذلك كله من عبارته إذ يقول: «و يبدو من خلال هذه النماذج تنوع شخصيات كاتبنا وأنماطه البشرية، وكثرة التفاته إلى جوانبها المتعددة، وإن أخذ على كثير من هذه النماذج أن وصفها جاء من الظاهر فاقد الاستبطان أو متعجلا لاأناة فيه»([٥]).

ونلتقى في الفصل الثالث بالحديث عن الوسائل الفنية الأخرى كاستخدام الأحلام والأساطير، والمعلومات على اختلاف مشاربها، والقفزات الزمنية، والاسترجاع الذى يتيح للشخصية أن تبرز بعض الأحداث الماضية التى تؤثر في نمو العمل الفنى وتطوره بطريقة التذكر، وتقسيم الرواية إلى أقسام والأقسام إلى فصول، والميل إلى التركيز إلى غير ذلك مما حرص المؤلف على إحصائه وذكره.

كما أورد في موضوعية ـ جملة من العيوب الفنية التى أخذها على صاحبه، ومنها كثرة المصادفات، وعنصر القدرية، والتمهيد للحدث، وتدخل المؤلف، وثبات شكل الأداء، هذا في الأعمال الطويلة، أما في القصة القصيرة فمن عيوبها في انتاج «محمد عبد الحليم عبد الله» الخضوع للسرد، والإسراف الزمنى، والاستطراد والحشو، والوعظ المباشر، وفقدان الصراع.

وفي الفصل الأخير من هذه الدراسة يعرض المؤلف الموضوعات والقضايا التى آثرها الأديب، وعمد إلى تصويرها بغية امتاع القراء، وحرصا على اقناعهم بما آمن به من أفكار. ومن

الموضوعات التى شغلت باله كثيرا حياة القرية والمدينة والشك، والموت، والحزن، والإنسانية والإنسان، ولقد لمس المستشرق الفرنسى (مونو) اهتمام أديبنا بالقضايا الإنسانية فقال: «والإنسانية هذه هى الصفة اللازمة لمحمد عبد الحليم عبد الله. إنه رجل يكتب للكائنات الحية، للبشر ليستزيدهم إنسانية»(٦). كما تناول في بعض نماذجه وخاصة في المرحلة الثانية والثالثة من حياته الفنية الثورات الوطنية، والمواقف السياسية التى كان لها دور في تغيير مجالات الحياة المختلفة في مصر.

ولعل خاتمة البحث تكشف عن كثير مما تضمنته هذه الدراسة الجادة الواعية وخاصة الفقره الأخيرة إذ يقول المؤلف: «وهكذا يلتقى قارىء البحث بدور فرد من أبناء جيل قصصي بحق، وقد تبين أنه لا ينبغي أن يكون هذا الفرد صريع تكتلات أو أحزاب، فهذا أبعد شيء عن الأدب والفن. ولما كانت حياة الأديب تمثله في نموه وتطوره، فقد دأب البحث على تلمس خيوط هذا النمو، وقد تبين أن كاتبنا كان يصعد درجات النمو الفنى ماوسعه جهده وقدرته، وأن من بين أعماله الطويلة والقصيرة ما يمكن أن يمثل وجها مشرقا لفن القصة العربية، استوعب فيه كاتبنا رؤيته الحضارية وثقافته القديمة والحديثة، والمحلية والعالمية»(٧).

ولا يفوتني في نهاية هذا العرض أن أشير إلى أن هناك بعض الأخطاء اللغوية التى ترجع في جملتها إلى الطباعة، وأرجو أن يتداركها المؤلف في الطبعات القادمة إن شاء الله.

صفحات الهوامش

١ ــ مقدمة الكتاب ص ز
٢ ــ الكتاب ص ٤
٣ ــ الكتاب ص ٥١
٤ ــ الكتاب ص ١٠٩
٥ ــ الكتاب ص ١٧٧
٦ ــ الكتاب ص ٢٣٢
٧ ــ الكتاب ص ٢٥٤

رسالة الجزائر الثقافية

يكتبها

محمد عيسى موسى

كتب حديثة

عموميـــات

أصوات متعددة وعالم واحد: الاتصال والمجتمع اليوم وغداً/شون ماكبرايد، ايلى آبل، بوجدان أوسونليك، فريد ايزاك اكبور وارو اومو... [وآخرون]؛ تقديم أحمد مختار آمبو.- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١م .- ٦٣٧ ص؛

النشرة الانجليزية Many Voices — One World

النشرة الفرنسية Voix Multiples — Un seul monde

الكتاب هو الترجمة العربية لتقرير اللجنة العالمية لدراسة مشاكل الاتصال برئاسة شون ماكبرايد. حاول المشاركون في التحرير تحديد المبادىء التي يجب اعتمادها لخلق نظام عالمي جديد للاعلام والاتصال يتميز بالعدالة والمنفعة العامة.

قسم الكتاب إلى عدة أقسام يضم الأول «الاتصال والمجتمع» في ثلاثة فصول: البعد التاريخي والبعد المعاصر والبعد الدولي. و يضم الثاني ستة فصول: وسائل الاتصال، توسيع نطاق البنى الأساسية، تكامل الوسائل، التركيز، التفاعل بين المشاركين في عملية الاتصال. أوجه التفاوت. و يضم القسم الثالث خمسة فصول: عيوب في التدفق الإتصالي، الجوانب المسيطرة على مضمون الاتصال، تحقيق الديمقراطية في مجال الاتصال، صوت العالم، الجمهور والرأي العام. وفي القسم الرابع ستة فصول: سياسات الاتصال، الموارد المادية، مساهمات البحوث، مهنيو الاتصال. حقوق الصحفيين ومسؤولياتهم، معايير السلوك المهنى.

وفي القسم الخامس استنتاجات وتوصيات. ثم قضايا تتطلب المزيد من الدراسة.

دروس الخط العربي: خط النسخ/محمد بن سعيد شريفي.- الجزائر: [د. ن]، ١٩٨١ .- ٤٠ ص.

الدكتور محمد بن سعيد شريفي مدرس للخط العربي بمدرسة الفنون الجميلة في الجزائر سبق أن قدم بحثاً للجامعة الجزائرية بعنوان **«خطوط المصاحف»** ثم أنجز كتابة **المصحف الشريف** بكامله طبعته الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. وكتاب دروس الخط العربي هو عبارة عن نماذج لتعليم كتابة الخط العربى وضعها الكاتب بخطه.

دليل الاطروحات والرسائل المتعلقة بالجزائر والموجودة بوهران/جمال حاج على.- وهران: مركز جمع الوثائق للعلوم الانسانية، ١٩٨١.- ٨٥ص، ٢٤٩ص، ٢٤ سم.- (دفاتر مركز جمع الوثائق للعلوم الانسانية؛ ٦).

يحصى الدليل ١٨٢ عملا باللغة العربية و ٧٢٧ باللغات الأجنبية. يقع الجانب العربي في ستة اقسام هي:

١ ــ القانون
٢ ــ علم الاجتماع
٣ ــ التاريخ
٤ ــ علم النفس
٥ ــ الآداب
٦ ــ الجغرافيا.

أما الرسائل المكتوبة باللغات الأجنبية فصنفت كما يلي: السكان ــ القانون ــ الاقتصاد ــ التاريخ ــ الآداب واللغات الحية ــ الطب ــ السياسة ــ علم النفس ــ علم الاجتماع ــ الفلاحة.

يحتوي الكتاب على ثلاثة كشافات:

الأول : كشاف بأسماء المؤلفين
الثاني : كشاف باسماء الأماكن
الثالث : كشاف الموضوعات .

الــديــن

التجويد الواضح/ أحمد فروخي.- ط. ٢.- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١. - ٨٣ ص.؛

ضم الكتاب أبحاثا ثلاثة:

١ ــ فن التجويد

٢ ــ مخارج الحروف

٣ ــ المرشد في فن التجويد وخلاصة المقرئين والقارئين

دراسات اسلامية في الأصول الإباضية/بكير بن سعيد أعوشت.- قسطنطينة: دار البعث، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .- ١٦٠ص.

بيليوغرافيا ص ١٥٣ - ١٥٦

يقع الكتاب في خمسة فصول:

الفصل الأول : الإباضية وكتاب المقاولات

الفصل الثاني : نشأة المذهب الإباضي

الفصل الثالث : الإباضية والخوارج

الفصل الرابع : الاصول العقائدية

الفصل الخامس : الأصول الاجتماعية

يتمثل المنهج الذي سار عليه مؤلف الكتاب كما بينه في مقدمته: «في اختيار النصوص التى كتبت من طرف أعلام الاباضية أنفسهم قديما وحديثا من القرن الأول الهجري إلى القرن الرابع عشر مبينًا أصولهم وعقائدهم فعالجت الفكرة المطروحة من عدة مصادر إباضية ذاتها».

«سلسلة أوراق اسلامية» و«تأملات ومواقف اسلامية»

شرعت دار البعث في قسطنطينة في اصدار سلسلتين جديدتين عنوان الأولى: سلسلة أوراق اسلامية

صدرت منها العناوين التالية:

١ ــ هذا يوم الحساب فاذا أعددت له/أبو جدة سلطاني

٢ ــ البرهان الديني والمكذبون/أبو جدة سلطاني

٣ ــ وليضربن بخمرهن: التزامات الحجاب/أبو جدة سلطاني

٤ ــ بصراحة عن حرية المرأة/النذير مصمودي

وعنوان السلسلة الثانية «تأملات ومواقف اسلامية» صدر منها عنوانان اثنان

١ ــ كيف صارت الجزائر مسلمة عربية/أحمد بن نعمان

٢ ــ لا عروبة بدون اسلام/أحمد بن نعمان

في سبيل العقيدة الاسلامية/عبد اللطيف بن على السلطاني.- قسطنطينة، دار البعث، ١٩٨٢.- ٢٦٣ ص.

تناول المؤلف العقيدة الاسلامية في كتابه ودرسها من خلال العينات البشرية التى اختارها وهي ذات قوة روحية غذاها ايمان كامل بالخالق فهم كما يقول المؤلف في مقدمته: «أبطال قصة الكفاح الديني والعقائدي ومصباح تاريخنا الاسلامي الذى يجب علينا أن لا ننساه أبد الآبدين أولئك هم: الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ورفيقه أول المؤمنين به أبو بكر الصديق و بلال الحبشي وصهيب الرومي وعمار بن ياسر واسرته كلها وفي مقدمتها أمه «سمية» وسلمان الفارسي وغيرهم ممن سنتكلم عن مواقفهم وما نالهم من التعذيب وصبرهم عليه».

في ظل الاسلام/محمد الصالح الصديق.- قسطنطينة: دار البعث، ١٩٨١.- ٣٢٠ ص،

تناول المؤلف في كتابه عدة موضوعات محورها الاسلام قدم لها بقوله: كتاب في «ظل الاسلام» مساهمة متواضعة في الدعوة إلى الحياة الكريمة التى يريدها الاسلام والتى تميزالانسان عن الآلة وعن الحيوان والتى توفق بين مطالب الروح والجسد وتؤاخي بين انسان الشرق والغرب، والتى تصل الحاضر بالماضي، وتعيد إلى الانسان طمأنينته وراحته وتشعره بوجوده وحقيقته وتأخذ بيده إلى حياة العزة والكرامة، ليمضى في الجادة المثلى على بصيرة من أمره.»

العلوم الاجتماعية

Economie du developpement de l'Algérie/Mohamed el Hocine
Benissad. — 2' éd. — Alger: O.P.U., 1981. — 287 p.; 24 cm.

التنمية الإقتصادية في الجزائر/محمد الحسن بن يسعد.- ط.٢.- الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨١.- ٢٨٧ص،

يعكس هذا الكتاب تجربة المؤلف الطويلة في ميدان البحث والدراسة ومتابعته لتطور الاقتصاد الجزائري ويحلل مشاكل بلد

ينتمي إلى العالم الثالث لم تعترضه مصاعب مالية معتبرة ومتوفرة لديه الامكانيات المادية الضرورية لتنمية ذاتية في المدى الطويل.

أقسام الكتاب هي: المدخل، التخطيط، الفلاحة، التصنيع، التجارة، البنوك، العملة، السكان، ثم الخلاصة.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية ١٩٣١ - ١٩٤٥/بوالصفصاف عبد الكريم.- قسنطينة: دار البعث، ١٩٨١.- ٤٢١ ص؛

الكتاب في الأصل أطروحة نوقشت في جامعة قسنطينة سنة ١٩٧٨ تكون البحث من توطئة وسبعة فصول

الفصل الأول: المؤثرات الخارجية والتفاعلات الفكرية في الجزائر قبل سنة ١٩٣١ وأصول الحركة الاصلاحية التي دعا إليها قادة الفكر الاسلامي المعاصر.

الفصل الثاني : احتفالات الفرنسيين بمرور مائة عام على احتلال الجزائر وما صاحبها من استفزازات وتحديات لمشاعر الوطنيين الجزائريين.

الفصل الثالث : تنظيمات الجمعية ووسائلها.

الفصل الرابع : الطرق الصوفية ومكانتها في الحياة الثقافية والاجتماعية.

الفصل الخامس : علاقات الجمعية بالحركات السياسية الجزائرية خلال الفترة الواقعة بين ١٩٣١ ، ١٩٤٥.

الفصل السادس : أهمية الجمعية في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية.

الفصل السابع : نشاط الجمعية في الخارج.

تبين خلاصة البحث الأهداف التي حققتها الجمعية وهي أربعة في رأي الباحث

١ ــ تجديد الاسلام وإحياء الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر
٢ ــ ربط الجزائر بالأمة العربية حضارياً ولغوياً
٣ ــ ايقاظ و بعث الوعي الوطني بين الجزائريين
٤ ــ المحافظة على الشخصية الجزائرية

Le Tiers-Monde en jeu/Abdellatif Bernachenhou. — Alger: centre de rechrches en économie appliquée, 1981. — 217p., 24 cm.

العالم الثالث في خطر/عبد اللطيف بن اشنهو.- الجزائر: مركز الدراسات الاقتصادية، ١٩٨١.- ٢١٧ ص.

يقع كتاب «العالم الثالث» في ستة فصول بحث في الفصل الأول: نظرية التنمية والنظام الاقتصادي الدولي الجديد.

وفي الفصل الثالث : الوجهة الاقتصادية لعدم الانحياز

وفي الفصل الثالث : المواد الطبيعية

و يتساءل في الفصل الرابع عن نوع التصنيع الذي يصلح للعالم الثالث.

وفي الفصل الخامس : متطلبات الاكتفاء الذاتي في العالم الثالث في الميدان التقني.

وفي الفصل السادس : التعاون سبيل التطور أو التبعية.

الفكر الأخلاقي عند ابن خلدون/عبد الله شريط.- ط. ٢.- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١.- ٦٨٦ص بيليوغرافيا ص ص ٦٧٨ - ٦٨٦.

قال عبد الله شريط في مقدمة كتابه: «قسمت هذا البحث إلى ثلاثة أبواب كبرى يتناول الأول الفكر الاخلاقي والحضارة والثاني الفكر الأخلاقي والسياسة، والثالث الفكر الأخلاقي والثقافة وكل باب يشتمل على ستة فصول».

أما فصول الكتاب فهي:

الفصل الأول : الفكر الفلسفي عند ابن خلدون. الفصل الثاني: الأخلاق بين الفلسفة والعلم. الفصل الثالث: حديث في المنهج. الفصل الرابع: ابن خلدون وعلمية الأخلاق. الفصل الخامس: الانسان والصراع. الفصل السادس: مشكلة الانسان العربي. الفصل السابع: الدولة العربية بين مبادئها وواقعها. الفصل الثامن؛ ظاهرة التشتت في الدول العربية. الفصل العاشر: الدول العربية بين الشظف والترف. الفصل الحادي عشر: المجتمع العربي بين الدورية والتطور. الفصل الثاني عشرة مشكلة العمل في الدول العربية. الفصل الثالث عشر: التصوف بين يقظة الروح ورقدة الفكر. الفصل الخامس عشر: الفكر العلمي وأخلاقية الثقافة الاسلامية الفصل السادس عشر: اللغة العربية بين قواعدها ومجتمعاتها. الفصل السابع عشر: ضياع أدبنا بين الصدق الاجتماعي والكذب الفني. الفصل الثامن عشر: التربية بين المدرسة والمجتمع.

القانون التجاري الجزائري/أحمد محرز.- ط. ٢.- الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨١.- ٢٣٢ ص.

يعرّف أحمد محرز- بكتابه فيقول: «نبدأ دراستنا بتعريف القانون التجارى ثم نشير إلى خصائصه ومميزاته وسماته ثم نتناول نبذة عن تاريخه ومصادره. فاذا انتهينا من ذلك إنتقلنا إلى دراسة الأعمال التجارية من حيث تحديدها ومعايير التفرقة بين الأعمال التجارية والأعمال المدنية ثم نتناول بالبحث الأعمال التجارية بحسب موضوعها وشكلها وتبعيتها. بعد ذلك نتعرض لدراسة التجار من حيث الشروط اللازمة لاكتساب صفة التاجر والتزاماته طبقاً لاحكام القانون التجاري الجزائري.. ونعقب هذا بشرح الأحكام العامة للمحل التجاري.

ولذلك سنوزع هذه الدراسة بين باب تمهيدى وأبواب ثلاثة:

الباب التمهيدى: تعريف القانون التجاري وخصائصه وتاريخه ومصادره

الباب الأول: الأعمال التجارية

الباب الثاني: التجار

الباب الثالث: المحل التجارى

مشكلة الأمية في الجزائر/تركى رابح.- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١.- ٩٥ ص.- (مكتبة الشعب، ٣).

هذا الكتاب هو الثالث في سلسلة ثقافية جديدة مبسطة تهدف إلى وضع العلم في متناول الجميع شرعت الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في إخراجها يديرها جيلالى خلاص عنوانها «مكتبة الشعب» ثمنها ٥ دينارات جزائرية أى ما يعادل دولاراً واحداً امريكياً تقريبا ظهر منها حتى الآن:

١ ــ نظرية التنظيم/عمار بوحوش

٢ ــ قراءات في القصة الجزائرية/أحمد منور

٣ ــ مشكلة الأمية في الجزائر/تركي رابح

وسيصدر قريباً:

٤ ــ التنمية الصناعية وتحويل التكنولوجيا وتطويعها/عدنان كركور

٥ ــ القصة القصيرة العربية الجزائرية في عهد الاستقلال/محمد نصايف.

L'émigration maghrébine en Eui rope: exploitation ou coopération?/pub. din. par Rachid Amellal, Malik Kessal; introd. par Abdellatif Benachenhou.— Alger: Centre de recherches en économie appliquée,]1982[.— 672p.; 22 cm.

الهجرة المغربية في أوروبا: هل هي استغلال أم تعاون؟/انجز تحت اشراف رشيد املال ومالك كسال، تقديم عبد اللطيف بن اشنهو.- الجزائر: مركز الدراسات الاقتصادية [١٩٨٢].- ٦٧١ ص.

اشترك في كتابة هذا الكتاب أكثر من عشرين باحثاً من الجزائر ومن خارجها ضم أبحاثا ودراسات ميدانية تناول بعضها بالتحليل أوضاع الجزائريين في أوروبا وخاصة في فرنسا وتناول البعض الآخر وضع المغاربة عموما في أوروبا.

اللغة والأدب والشعر والقصة

أدب الأطفـــال

شرعت الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في نشر سلاسل ودوريات موجهة للأطفال هذه بعض منها:

١ ــ «سلسلة صور من الطبيعة» وهي أنيقة الاخراج مخصصة للأطفال بين ٧ و ٨ سنوات صدر منها حتى الآن:

١ ــ النحلة ٢ ــ النملة المُجدة ٣ ــ السحابة الخيرة ٤ ــ النونو ٥ ــ الخرفان ٦ ــ في السوق ٧ ــ على الشاطىء.

٢ «سلسلة أحكى لكم» وهي مجموعة قصص مخصصة للاطفال من ٦ إلى ٩ سنوات صدر منها

١ ــ البستان والأرنب ٢ ــ الغراب الأزرق ٣ ــ البومة والذئب ٤ ــ الثعلب الهارب ٥ ــ الثعلب المحتال ٦ ــ اللقلق والسمك ٧ ــ القنفذ وابن آوى ٨ ــ غرور الدعسوقة ٩ ــ الجدة والقط ١٠ ــ الكلب الوفي ١١ ــ العجل والأسد ١٢ ــ العنزة والذئب ١٣ ــ الذئب وابن آوى

٣ ــ «ألواني الجميلة» صممت خصيصا لتعويد الطفل على استعمال الألوان ظهر منها حتى الآن أحد عشر عدداً

٤ ــ «جريدتي» مجلة أنيقة للأطفال مسؤولها محيى الدين الأخضري ظهر منها ستة أعداد.

أغنيات النخيل : [شعر]/محمد ناصر.- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١.- ٩١ص.

هذا أول ديوان شعري ينشر للشاعر يضم الديوان قصائد كتبها الشاعر في الفترة بين ١٩٦٣ و ١٩٨٠ ومحمد ناصر معروف لدى القراء بنشاطه في مجال البحث والتأليف فمن كتبه:

ـ أبو اليقظان وجهاد الكلمة الذى خصصه لنشاط أبي اليقظان في ميدان الصحافة ضمنه كشافاً بعناوين المقالات ومؤلفيها الواردة في الصحف التى كان أبو اليقظان يصدرها وهي: وادى ميزاب - جريدة ميزات - جريدة المغرب - جريدة البستان - جريدة النبراس - جريدة الأمة - جريدة الفرقان.

ـ المقالة الصحفية الجزائرية في جزءين وهو في الأصل أطروحة دكتوراه الدور الثالث.

ـ الصحف العربية الجزائرية من ١٨٤٧ إلى ١٩٣٩. جمع في هذا الكتاب سبعا وستين دورية كانت تصدر في الجزائر باللغة العربية لغاية سنة ١٩٣٩ وصفها شكلا ومضمونا وفصّل القول في صراعها ومعاناتها من أجل بقائها في ظروف قاسية كانت تعيشها في ظل الاستعمار الفرنسي.

ألوان بلا تلوين/محمد الأخضر السائحي.- ط. ٣.- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١.- ١٣٥ص.

كتاب في الطرائف والنكت والنوادر جمعها الكاتب بحكم عمله الطويل - ولا يزال - في الإذاعة الجزائرية مشرفاً على الحصة اليومية من برنامج «ألوان».

تأثير الموشحات في التروبادور/عبد الاله ميسوم.- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١.- ٣١٩ص، .- (الدراسات الكبرى). ببليوغرافيا ص. ٣٢ ــ ٣١٦.

يقول مؤلف الكتاب في المقدمة: «بدأت البحث بمدخل تحدثت فيه عن شعر الحب والطرب في الأدب العربي القديم ببيان أصالة الحب عند العرب ومكانة المرأة العربية ومميزات الغزل العربي مع تطوره من الجاهلية إلى العصر الاموي وصلته بالفروسية والغناء ثم قسمت البحث إلى أربعة أبواب يحتوى كل باب على ثلاثة فصول تناولت في الباب الأول ظهور الموشحات.. وخصصت الباب الثاني للحديث عن عوامل تأثير الأندلس في جنوب فرنسا.. أما الباب الثالث فموضوعه التروبادور والبروفانسيون وفصله الأول تاريخ لحركة هؤلاء الشعراء... وأفرغت جهدي في الفصل الثاني للوقوف على حقيقة الأمر في الجدال حول أصول فن التروبادور معتمداً في ذلك على دراسة الواقع التاريخي للمجتمع البروفانسي ونصوص شعرائه الباقية.. وجئت إلى الباب الرابع لتوضيح مظاهر تأثير الموشحات في التروبادور. وأنهيت عملي بخاتمة استخلصت فيها النتائج... ثم رأيت أن أتبع ذلك كله بملحق يتضمن مختارات من أشعار التروبادور الأوائل».

الرمزية عند البحتري/موهوب مصطفاى.- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢.- ٤٧٩ ص.- (الدراسات الكبرى). ببليوغرافيا ص. ٤٧٠ - ٤٧٦.

يقول مؤلف الكتاب اهتممت أولا في هذه الدراسة بالحياة السياسية والثقافية والإجتماعية... ثم تعرضت لبيان الرمزية عند الغربيين... ثم تصديت للرمزية عند العرب قبل البحتري ودخلت بعد ذلك في صميم الموضوع بالحديث عن المذهب الرمزي عند البحتري... ثم أفضى بي البحث إلى الحديث عن مواقف شاعرنا من الشعراء الآخرين لأني وجدت ثلاثة منهم قد أثروا فيه وساعدوه على إبراز عبقريته فهم امرؤ القيس وأبو نواس وأبو تمام. ثم لاحظت أن طريقة البحتري قد اشتهرت وأخذت تسود حتى تأثر به اكثر الشعراء ممن عاصروه أو جاءوا بعده من شرقيين وأندلسيين ولاسيا أصحاب الموشحات.

الشعر الديني الجزائري الحديث/عبد الله ركيبي.- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١ .- ٧٥٥ ص. - (سلسلة الدراسات الكبرى) ببليوغرافيا ص. ٧٣٩ - ٧٥٥.

دراسة علمية جادة لهذا الجانب المجهول من الأدب الجزائري الحديث وهو في الأصل رسالة دكتوراه قدمت إلى جامعة القاهرة تحت اشراف الدكتورة سهير القلماوى اخرجتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع اخراجاً أنيقاً.

درس الباحث في كتابه فترة زمنية حددها ببداية ثورة المقراني عام ١٢٨٧هـ ـ ١٨٧١م ونهاية احتفال المستعمر بمرور قرن على إحتلال الجزائر سنة ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣٠م. و يقول الركيبي عن هذه الفترة في مقدمته: «أما الفترة التى اخترتها فانها تمتاز بطابع عام اصطبغ فيه الشعر بالصبغة الدينية فأصبح فيها الشعر الدينى هو النافذة الوحيدة التى بقيت للأدب العربي في الجزائر يتنفس منها. فالشاعر حين أحس بالتضيّق على حريته وحرية شعبه انكفأ على نفسه يجترّ أحزانه و يصوغها قصائد دينية يرثى بها واقعه أو عصره. أو أنه من خلال الدين كان يحث الشعب على المقاومة والنهوض وقد انعكس هذا كله على قصائد الشعر شكلا ومضمونا». انقسم الكتاب إلى:

التمهيد: خصصه للوضع السياسي والثقافي الذي تميزت به الفترة التى اهتم بها. بدأه بدراسة الصراع بين حضارتين وأثر الدين في هذا الصراع وانهاه بدراسة الحركات السياسية والإصلاحية وارتباط الجزائر بالعالم العربي.

الباب الأول: خصصه للشعر الديني الصوفي و يقع في أربعة فصول:

الفصل الأول: مدائح وتوسلات

الفصل الثاني: التصوف الخالص

الفصل الثالث: الشعر الديني الملحون

الفصل الرابع: الشكل في هذا الشعر

الباب الثاني: خصصه للشعر الديني الاصلاحي و يقع في فصلين

الفصل الأول: إرتباط الشعر بالفكر الإصلاحي

الفصل الثاني: تطور الشعر الإصلاحي

صور من البطولة في الجزائر: [مجموعة قصص]/محمد الصالح الصديق، فاضل المسعودى.- ط. ٣.- قسنطينة: دار البعث، ١٩٨٢.- ١٩٠ ص.

تضم مجموعة محمد الصالح الصديق القصص التالية:

امرأة من آيت خلقون - تحيا الجزائر - أم بطل - فتاة من تقزرت - امرأة وجريح وخائن - نسيمة تستشهد في المعركة - ضابط فرنسي ينفجر - كلنا مجاهدون - عندما يعود الربيع.

أما مجموعة فاضل المسعودى فتضم:

الساعة الخامسة - المرأة الحامل - لماذا أعدم المسيو جيرار؟ - مليكة.

التاريخ والتراجم

أم الحواضر في الماضي والحاضر: تاريخ مدينة قسنطينة/محمد المهدي بن علي شغيب.- قسنطينة: مطبعة البعث، ١٩٨٠.- ٤٧٩ ص.

لا يتقيد هذا الكتاب بمنهجية في التأليف والتنسيق وعرض المعلومات ولا ينقص هذا من قيمة المادة التاريخية التى يغطيها خاصة جانب التراجم والمؤلف نفسه يعترف بذلك فيقول: «إني لم أقصد بكتابة هذا الكتاب وضع تاريخ لحاضرة قسنطينة بالمعنى العلمي الاصطلاحي وإنما قصدت فقط فتح الباب لكتابنا الشباب وشحذ قرائحهم من أبناء الجيل الحاضر أو من يأتون بعدنا للاعتماد على أنفسهم في البحث والتنقيب لوضع تاريخ لبلادهم مطابقاً لواقعها الماضي والحاضر.»

التحريف والتزييف في كتاب حياة كفاح/محمد الطاهر فضلاء.- قسنطينة: دار البعث، ١٩٨٢.- ٤٦٩ ص.

أثار صدور الجزء الثاني من كتاب «حياة كفاح» والذي هو عبارة عن مذكرات الاستاذ أحمد توفيق المدني ضجة كبيرة ظهر أثرها على صفحات الجرائد في ذلك الوقت. وسيطرح هذا الكتاب بظهوره القضية مرة أخرى للنقاش ولكن في ثوب جديد فالاستاذ محمد الطاهر فضلاء أعد عدته للنزال فجمع في كتابه ملفاً كاملا للقضية مدعما بالوثائق والصور وشهادات الشهود. قسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

الأول: حقائق وأوهام

الثاني: مقالات (كل ما نشرته الجرائد والمجلات من تعليقات حول الجزء الثاني من كتاب أحمد توفيق المدني «حياة كفاح»

الثالث: لواحق.

التحفة الموضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية/محمد بن ميمون الجزائري، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم.- ط. ٢.- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١.- ٤١٣ ص.- (ذخائر المغرب العربي).

عاش مؤلف الكتاب في القرن الثاني عشر الهجري أيام العهد العثماني في الجزائر وعاصر المعارك التي دارت بين الاسبان

والداى العثماني محمد بكداش الذي استرجع بعدها مدينة وهران في شهر شوال ١١١٩هـ.

يقول المحقق في حديثه عن المؤلف وكتابه ص. ٨٣ وما بعدها: «تناول محمد بن ميمون في هذا الكتاب سيرة الداى محمد بكداش... وقد ركز على سيرته الذاتية إبان توليته وحكمه كما خصص جُلَّ الكتاب لقصة الفتح الأول لمدينة وهران على يد الداى وصهره أوزن حسن» و يصف منهج الكتاب واسلوبه بقوله «انتهج المؤلف في هذا الكتاب نهج المؤرخ من حيث التعبير عن الواقع الصريح وترتيب الحوادث، وانتهاج الأديب من حيث السجع والازدواج... واسلوبه يمتاز بمتانة اللفظ وقوة التعبير ونزعة الدين ويمتاز بترتيب الأفكار وتسلسل قصة الحوادث والوقائع..» وعن القيمة التاريخية والأدبية للكتاب يقول المحقق «يعد هذا الكتاب وثيقة تاريخية ذات أهمية كبرى.. اذ كل ما فيها قد عاشه المؤلف وشاهده بالعيان. والكتاب مصدر أدبي من مصادر الأدب الجزائري عن العهد العثماني اذ يحتوى على ست عشرة مقالة أدبية المبني واقعية المعنى كما يحتوى على سبعمائة وتسعين بيتا من الشعر كلها لأدباء جزائر يين عاصروا المؤلف وواكبوه في حوادث وقته.»

ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين/يحيى بوعزيز. ـ قسنطينة: دار البعث، ١٩٨٠.ـ ٥٥٠ص. ببليوغرافيا ص. ٥٣٦ ـ ٥٤٥.

يحيى بوعزيز له نشاط معروف في مجال كتابة التاريخ يقول في مقدمته عن هذه الدراسة: «وتدخل في إطار بعث وإحياء الجوانب الحساسة من تاريخنا وكفاحنا الوطني وهي بمثابة «بطاقة تعريف» للسلسلة الطويلة من الثورات المسلحة التى خاضها شعبنا ضد الاحتلال الفرنسي... فهي مجرد محاولة استكشاف وتعرف الهدف منها تعبيد الطريق وحفز المواهب والأقلام للاهتمام بهذا الجانب من تاريخنا القومي والوطني وليس البحث والتحليل والتمحيص.

وقد عالجنا فيها أوضاع الجزائر في عهد الاستعمار الفرنسي فتحدثنا عن كفاح شعبنا وثوراته المسلحة المتتالية طوال سبعين عاما تقريبا من سنة الاحتلال ١٨٣٠ إلى نهاية القرن التاسع عشر. واستعرضنا بايجاز التيارات السياسية الكبرى التى ظهرت في القرن العشرين كبديل للكفاح المسلح... وعالجنا أيضا ثورة أول نوفمبر الكبرى فاستعرضنا أسبابها البعيدة والقريبة وتتبعنا مراحلها العسكرية والسياسية في داخل الجزائر خارجها وفي أروقة الأمم المتحدة.»

ثورة أبي يزيد وجهاد لاعلاء كلمة الله/سليمان بن الحاج داود بن يوسف؛ تقديم عمر خليفة نامي، عبد الحليم عويس، عمار طالبي.ـ قسنطينة: دار البعث، ١٩٨١.ـ ١١٠ ص.

يقول عمار طالبي في مقدمة الكتاب؛ «تستحق هذه الثورة أن تبحث وتحلل وتستبين للناس أسبابها ونتائجها لاعلاء كلمة الله وأبويزيد مخلد بن كيداد الإباضى التكارى المولود حوالى ٢٧٠هـ. المتوفي في ٢٧ محرم ٣٣٦هـ. درس المذهب الإباضى وعمل ناظرا بمدرسة تيهرت ثم ذهب إلى جبال أوراس وانتصرت له قبيلة بنى كملان الهوارية.. وكان زاهدا ذكياً و بذلك توصل إلى اضعاف الدولة العبيدية والانتصار عليها في كثير من المواطن. وقد تناول الشيخ سليمان بن الحاج داود بن يوسف في رسالته هذه أخباره وسيرته والنصوص التاريخية المتناثرة في كثير من المصادر والمراجع فجمعها في هذا السفر ليكون مادة خصبة للباحثين وقد دافع الشيخ عن أبي يزيد دفاعاً حاراً لم يدافع بمثله أحد من المؤرخين... و يبدو أنه لم يهتم بتحليل الأسباب الاجتماعية والعقائدية والاقتصادية والسياسية التى جعلت أبا يزيد يثور على الدولة العبيدية».

الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية/ترجمة وتقديم وتعليق يحيى بو عزيز، ميكيل دو ايبالزا.ـ قسنطينة: دار البعث، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .ـ ١٠٣ ص، ٢٩ ص.

يحتوى الكتاب على المواضيع التالية:

أوضار الأمير العسكرية في سنواته الأخيرة

ملف الرسائل والوثائق ومحتواه

المدخل إلى هذه الوثائق

نصوص الوثائق (عددها ثلاثة وعشرون كلها رسائل ماعدا واحدة)

Le Mouvement national algérien: textes 1912-1954/Claude Collot, Jean-Robert Henry; pref. de Ahmed Mahiou. — 2' ed. — Alger: O.P.U., 1981. — 343p.; 24 cm.

الحركة الوطنية الجزائرية: وثائق ١٩١٢ ـ ١٩٥٤/كلود كولو، جان روبير هنري، تقديم أحمد محيو. ط.٢ .- الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨١ .- ٣٤٣ ص.

جمع كتاب الحركة الوطنية الجزائرية أكثر من مائة وثيقة مجهولة تعود إلى الفترة الممتدة بين سنة ١٩١٢ و ١٩٥٤ والكتاب يعرّف بالحركات الوطنية قبل بروز جبهة التحرير الوطني. وقد صدرت هذه الوثائق عَنْ مختلف الحركات الوطنية التى عبرت عن رفضها النظام الاستعماري.

والكتاب لا يمكن أن يعد تاريخاً للحركة الوطنية الجزائرية في هذه الفترة وإنما يقدم مجموعة من الوثائق التى تصلح أن تكون أساسا لمثل هذه الدراسة. يقع الكتاب في قسمين أساسيين: الأول ميلاد الحركة الوطنية ١٩١٢ - ١٩٣٩. الثاني الحركة الوطنية في القيد ١٩٤٢ - ١٩٥٤.

المغرب الاسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج: سياسة نظم/موسى لقبال .- ط.٢ مزيدة ومنقحة .- الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٩٨١ .- ٢٢٩ ص.

قال مؤلف الكتاب في مقدمته: «عالجت في كتابي هذا الجهود السياسية والعسكرية التى قام بها المسلمون ليدخلوا منطقة المغرب دائرة الدولة العربية وتحت تأثير الحضارة الإسلامية ثم تتبعت بذور التنظيمات الادارية ومظاهرها منذ أن اصبح للمسلمين مصر جامع وحقوق سياسية ثابتة إلى ما بعد منتصف القرن الثاني للهجرة. و يلاحظ أن العمل العربي في هذه البلاد يعد حاسما لأسباب أهمها:

١ ـ انه قرر مصير هذه المنطقة ولسكانها في إطار الدولة العربية.

٢ ـ وساعد على كسب جماعات كبرى لها ماضيها المجيد في الفروسية وفي النضال ضد من هو أجنبي دخيل تحملت - إلى جانب المسلمين - مسؤولية اتمام الفتح بوجهيه الثقافي والسياسي سواء في منطقة المغرب أو في أرض الأندلس..»

أبواب الكتاب خمسة هي:

الباب الأول : قاعدة القيروان

الباب الثاني : استكمال عملية الفتح ودور حسان بن النعمان (٧٤ - ٨٥)هـ

الباب الثالث : تأكيد السيادة العربية على المناطق المفتوحة، دور موسى بن نصير(٨٦ - ٣٢)هـ

الباب الرابع : الوضعية الإدارية للمغرب الإسلامي بعد انتهاء الفتوح

الباب الخامس : حركة الخوارج الصفدية والإباضية في افريقيا وبلاد المغرب منذ سنة ١٢٢ إلى ١٧٨ هـ.

النشاط الثقافي :

أ ـ المؤتمرات والندوات العلمية

ب ـ الدوريـــات

انتاج وتوزيع الكتاب المدرسى

يتولى المعهد الوطنى البيداغوجى انتاج وتوزيع الكتب المدرسية على المؤسسات التربوية ففي السنة الدراسية ١٩٨١/١٩٨٢ وزع المعهد حوالي ١٨ مليون كتاب ويخطط الآن لتوزيع ٢١ مليون كتاب في السنة الدراسية المقبلة ومن أجل بلوغ هذا الهدف وتوفير الوسائل والامكانات اجتمع مدراء مراكز التوثيق والنشر البيداغوجى يومي ٦ و ٧ جمادي الأولي ١٤٠٢ ٢ و ٣ مارس ١٩٨٢ جرى في اليوم الأول تحليل دقيق للتسيير الادارى والمالي للمراكز الموجودة في كل الولايات وتم في اليوم الثاني من الاجتماع مناقشة برنامج تحقيق وانتاج وسائل التعليم وهي ثلاثة:

١ ـ الوثائق المطبوعة

٢ ـ الوثائق السمعية البصرية.

٣ ـ التوثيق البيداغوجي العلمي والثقافي

الدورة الرابعة للجنة التقوم الهجرى. ٧ و ٨ جمادي الأولى ١٤٠٢ ٣ و ٤ مارس ١٩٨٢.

عقدت اللجنة اجتماعها بكامل اعضائها في الجزائر يومي الأربعاء والخميس ٧ و ٨ جمادي الأولى ١٤٠٢ ٣ و ٤ مارس ١٩٨٢، حسب مقررات مؤتمر اسطنبول حول تقوم الشهور

القمرية وتنفيذا لتوصيات مؤتمر وزراء الخارجية الذي انعقد بالكويت. درست اللجنة في اجتماعاتها الجداول المقدمة من طرف ممثلي اندونيسيا وتركيا وتونس والجزائر والمملكة العربية السعودية والكويت. وتم ضبط التقويم الهجرى لسنتي ١٤٠٣ و ١٤٠٤ والشهور الأربعة الأولى لسنة ١٤٠٥ حسب الجدول التالى

١٤٠٣

الشهور القمرية	بداية الشهر	عدد الأيام
محرم	الاثنين ١٩٨٢/١٠/١٨	٣٠
صفر	الاربعاء ١٩٨٢/١١/١٧	٣٠
ربيع الأول	الجمعة ١٩٨٢/١٢/١٧	٢٩
ربيع الثانى	السبت ١٩٨٣/١/١٥	٣٠
جمادى الأولى	الاثنين ١٩٨٣/٢/١٤	٣٠
جمادى الثانية	الأربعاء ١٩٨٣/٣/١٦	٢٩
رجب	الخميس ١٩٨٣/٤/١٤	٣٠
شعبان	السبت ١٩٨٣/٥/١٤	٢٩
رمضان	الأحد ١٩٨٣/٦/١٣	٣٠
شوال	الثلاثاء ١٩٨٣/٧/١٢	٢٩
ذو القعدة	الأربعاء ١٩٨٣/٨/١٠	٢٩
ذو الحجة	الخميس ١٩٨٣/٩/٨	٢٩

١٤٠٤

الشهور القمرية	بداية الشهر	عدد الأيام
محرم	الجمعة ١٩٨٣/١٠/٧	٣٠
صفر	الأحد ١٩٨٣/١١/٦	٣٠
ربيع الأول	الثلاثاء ١٩٨٣/١٢/٦	٢٩
ربيع الثانى	الاربعاء ١٩٨٤/١/٤	٣٠
جمادى الأولى	الجمعة ١٩٨٤/٢/٣	٣٠
جمادى الثانية	الأحد ١٩٨٤/٣/٤	٣٠
رجب	الثلاثاء ١٩٨٤/٤/٣	٢٩
شعبان	الأربعاء ١٩٨٤/٥/٢	٣٠
رمضان	الجمعة ١٩٨٤/٦/١	٢٩
شوال	السبت ١٩٨٤/٦/٣٠	٢٩
ذو القعدة	الأحد ١٩٨٤/٧/٢٩	٣٠
ذو الحجة	الثلاثاء ١٩٨٤/٨/٢٨	٢٩

١٤٠٥

محرم	الأربعاء ١٩٨٤/٩/٢٦	٣٠
صفر	الجمعة ١٩٨٤/١٠/٢٦	٢٩
ربيع الأول	السبت ١٩٨٤/١١/٢٤	٣٠
ربيع الثاني	الاثنين ١٩٨٤/١١/٢٤	٢٩

المعرض الدولي الأول للكتاب

فتح المعرض الدولي الأول للكتاب أبوابه للزوار يوم الجمعة ٢٢ جمادى الثانية ١٤٠٢هـ. ١٦ نيسان ١٩٨٢ الذى يصادف ذكرى وفاة المرحوم الشيخ الامام عبد الحميد بن باديس وقد أرادة وزارة الثقافة من وراء تنظيم هذا المعرض تطوير النشر في الجزائر عن طريق:

— شراء حقوق النشر والنشر المشترك وبيع الحقوق لأجل الترجمة
— توثيق العلاقة المهنية بين المؤلفين والناشرين وبائعي الكتب وأمناء المكتبات.

— تعريف الجمهور بماجدَّ في ميدان النشر في العالم
خصص الطابق الأرضى للعرض فقط يتعرف الزائر فيه على كل العناوين المعروضة ويتم البيع في الطابق الأول.

فكر منظمو المعرض استغلاله لوضع احصائيات تمكنهم من التعرف على رغبات القارىء الجزائري من خلال طلباته طيلة مدة المعرض وضُممت من أجل ذلك استمارات خاصة يتم عن طريقها طلب الكتب لتجمع بعد نهاية المعرض وتصنف لوضع احصائيات تساعد المشرفين على تزويد السوق الجزائرية بالكتب على توجيه سياستهم ليختاروا في المستقبل الكتب التى يرغبها القارىء الجزائرى.

المعرض بالأرقام

العناوين ١٨٠٠٠

الاجنحة ٣٠٠

عدد الكتب : مليون ونصف

دور النشر العربية ١٠٢

الدول المشاركة ٨ عربية ١٧ اجنبية

دور النشر الأجنبية ١٨٣

دعم الأسعار ٤٠٪ للكتب الأجنبية و ٤٥٪ للكتب الجزائرية

معرض الكتاب العربي ـ مدينة قسنطينة

أقيم معرض في مدينة قسنطينة للكتاب العربي في الفترة بين ١٠ و ١٤ جمادى الأولى ١٤٠٢ ٦ و ١٠ مارس ١٩٨٢ أشرف عليه ونظمه ديوان المطبوعات الجامعية وقد ضم المعرض كتبا جاءت من الجمهورية التونسية والمملكة العربية السعودية والجمهورية السورية ولبنان والكويت بالإضافة إلى الكتب الجزائرية.

اشتمل المعرض على أربعين ألف نسخة عدد عناوينها ١٣٥٠ حصة كتب الدين الاسلامي ١٥٠ عنواناً و ٤٠٠ للكتب العلمية و ٨٠٠ عنوان للعلوم الاجتماعية ومنشورات ديوان المطبوعات الجامعية وعدد عناوينه مائة وخمسون. لقي جناح التراث العربي إقبالا شديدا لشدة الطلب عليها وكون الأسعار التي بيعت بها الكتب كانت مدروسة بعناية ليصبح الكتاب في متناول الجميع وخاصة الطلبة منهم.

الملتقى الوطني الأول للبحث العلمي والتقني من ٢٩ ربيع الثاني إلى ١ جمادى الأولى ١٤٠٢ ـ ٢٣ ـ ٢٥ فبراير ١٩٨٢.

اعتمد الملتقى الوطني للبحث العلمي في جلساته على وثائق أعدها المجلس الأعلى للبحث العلمي كانت محوراً للنقاش الذي دار بين رجال البحث وعددهم ٦٥٠ مشاركا شكلوا أربع لجان درست الأولى السياسة العامة والتخطيط للبحث العلمي والتقني. وعكفت اللجنة الثانية على دراسة الوسائل المؤدية إلى تنظيم البحث العلمي والتقني و يتمثل في إعادة الهيكلة بالنسبة للانظمة الموجودة من جهة وانشاء أو وضع هياكل جديدة من جهة أخري بالاضافة إلى اقامة هيكل وطني دائم على أعلى مستوى ذو طابع وزاري متمتعا بسلطة إصدار القرار. أما اللجنة الثالثة فدرست تسيير البحث العلمي الذى شمل أربع نقاط هى: قانون مجموعات البحث وقانون مستخدمي البحث وطريق تمويل البحث والطرق الإجرائية الإدارية. أما لجنة الإعلام العلمي والتقني فانها ركزت على الدور الذي يلعبه الإعلام وهوما يتطلب إقامة نظام للاعلام العلمي والتقني يتولي تلقائياً نشرما تنتجه المراكز العلمية على إختلاف أنواعها.

وقد أصدرت الهيئة الوطنية للبحث العلمي بهذه المناسبة ملفاً وثائقياً عن البحث في الجزائر وهذا ذكر لبعضها:

١ ـ الهيئة الوطنية للبحث العلمي ومراكز البحث التابعة لها ـ في هذه الوثيقة معلومات عن عشرين مركزا: التعريف بها، الهدف من إنشائها، مجال نشاطها، الدوريات الصادرة عنها.

٢ ـ الحصيلة العلمية للبحث في الهيئة الوطنية للبحث العلمي من ١٩٧٥ إلى ١٩٨٠.

٣ ـ الهيئة الوطنية للبحث العلمي بالأرقام

٤ ـ المجالس العلمية التابعة للهيئة الوطنية للبحث العلمي

الملتقى الوطني للبحث في تاريخ المقاومة الجزائرية خلال القرن التاسع عشر. الجزائر من ٣ إلى ٥ جمادى الأولي ١٤٠٢. ٢٧ فبراير إلى ١ مارس ١٩٨٢.

شارك في هذا الملتقى باحثون ومؤرخون من العالم العربي ومن أوروبا عكفوا على دراسة هذه الفترة من تاريخ الجزائر طيلة الأيام الثلاثة للملتقى القوا خلالها محاضراتهم التي تناولت عدة جوانب تخص هذه الفترة وألقت أضواء على ثورة بوعمامة مثلاً وثورة الجنوب القسنطيني في الربع الأخير من القرن ١٩ وردود فعل الفلاحين أمام قانون اغتصاب أراضيهم ١٨٦٣ ـ ١٨٨١. كما حاولت بعض المحاضرات إلقاء نظرة شاملة على طابع الثورات عموماً في هذا القرن.

تعد هذه الأعمال في مجملها استعراض سريع للحوادث ترجمت بالخصوص وجهات نظر أصحابها وطريقة تناولهم للمعلومات التى تحصلوا عليها.

المهرجان الوطني الأول للشاعر محمد العيد آل خليفة ـ بسكرة من ٣٠ جمادى الأولى إلى ٣ جمادي الثانية ١٤٠٢ ٢٥ إلى ٢٨ مارس ١٩٨٢.

نظمت مدينة بسكرة وهي بوابة الجنوب في شرق الجزائر مهرجانا أدبيا كبيرا تخليدا لذكرى الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة أشرف على تنظيمه اتحاد الكتاب الجزائريين حضره الأمين العام السيد العربي الزبيري.

سطر للاحتفال برنامج درس بعناية من طرف لجنة شكلت خصيصا لهذا الغرض وحددت للمهرجان ثلاثة محاور رئيسية:

الأول ـ مفهوم الثورة والتحرير عند محمد العيد
الثاني ـ مفهوم الثورة والتحرير في الشعر الجزائري الحديث
الثالث ـ التجديد في الشعر الجزائري

حضر إلى مدينة بسكرة ٥٧ شاعراً ومحاضراً من الجزائر ومن بعض الدول العربية القوا محاضراتهم وقرءوا قصائدهم وشاركوا في الندوات.

...من الشعراء نذكر أحمد الطيب معاش وادريس بوذينة وعمر البرناوي وأبو القاسم خمار ومحمد الأخضر عبد القادر السائحي وأحمد حمدي ومحمد زتيلي وأحمد دوغان وحمدي بحري وأحمد فتاوي وآخرون كثيرون.

ومن الحاضرين :

أبو القاسم سعد الله عنوان المحاضرة: الوحدة الوطنية عند محمد العيد

أحمد بن ذياب عنوان المحاضرة: اسهامات محمد العيد في التمهيد للثورة

المؤرخ زهير الزاهري عنوان المحاضرة: منابت النخل مهد الشعر العربي

محمد الطاهر فضلاء عنوان المحاضرة: محمد العيد معلماً ورائدا.

الأديب الفلسطيني حسين أبو النجا. عنوان المحاضرة: الجانب الفني في شعر محمد العيد، ومحاضرات اخرى قيمة للاساتذة حمادي عبد الله ومصطفى نطور ونوار بو حلاسه وغيرهم.

□ صدر العدد ٦٦ من مجلة الثقافة التى تصدرها وزارة الاعلام والثقافة محرم صفر ١٤٠٢ تشرين الثاني كانون الأول ١٩٨١.

في ركن دراسات ووثائق ثلاثة مواضيع: كتب الأول الأستاذ على مرحوم عنوانه:

مرور خمسين عاماً على تأسيس جمعية العلماء (١٩٣١ - ١٩٨١). وكتب الموضوع الثاني الاستاذ محمد الطاهر فضل وعنوانه: من أعلام النهضة الوطنية: الشيخ الطيب العقبي وكتب الموضوع الثالث خير الله عصار عنوانه موتمر تحقيق الذات عند الشباب.

وفي العدد عرض مفصل لرسالة جامعية عنوانها: التواجد الفينيقي البوني في الجزائر كتبه صاحب الرسالة نفسه محمد الصغير غانم.

وفي العدد محاولات شعرية وقصصية مختلفة.

□ صدر عن مركز الأبحاث الجامعية التابع لجامعة قسنطينة العدد ١٦/١٥ كانون الأول ١٩٨١/مارس ١٩٨٢ من مجلته: Les cahiers de la recherche خصصت أغلب المقالات فيها لدراسة عدة جوانب تمس الوضع الصحي في الجزائر.

نذكر من بين الابحاث بحثا للسيد أ. بولدروة عنوانه: حقيقة الوضع الصحي في الجزائر.

وبحثين للسيد : ي . أ . لبي

موضوع الأول: الطب المجاني

وموضوع الثاني: الظروف الصحية وجانبها الإقتصادي: تكاليف العلاج.

وأخيراً نذكر بحثا للسيد ت. انترانيك عنوانه: دراسة تحليلية لنشاط المراكز الصحية.

رسالة مصر الثقافية

يكتبها : وديع فلسطين

عشرة كتب جديدة

(١) مدكور، إبراهيم بيومي/مع الخالدين.- القاهرة : مجمع اللغة العربية، ١٩٨٢م، ١٩٠ ص.

يحتفل مجمع اللغة العربية في القاهرة بعيده الخمسيني في العام الحالي، فقد أنشيء في عام ١٩٣٢ وإن كانت الرغبة في الاحتشاد لتنظيم هذا الاحتفال قد حدت به إلى إرجاء الاحتفالات الرسمية إلى العام المقبل. و باعتبار المجمع مؤسسةً علمية في المقام الأول، فقد ارتأى أن يكون المظهر الرئيسي للاحتفال إصدار كتب مجمّعية تتفق مع جلال هذه المناسبة وتعلن على الملأ العربي صنوفاً من الجهود العلمية الرصينة التي قام بها المجمع في صمت خلال نصف قرن من الزمان.

وقد كانت باكورة هذا الانتاج العلمي كتاب «مع الخالدين» الذي صدر للعلامة الكبير الدكتور إبراهيم بيومي مدكور الرئيس الرابع للمجمع، فقد سبقه في ر ياسته توفيق رفعت باشا والدكتور أحمد لطفي السيد باشا والدكتور طه حسين باشا.

وقد دخل الدكتور مدكور المجمع في عام ١٩٤٦ وله في الجامعة منزلة مرموقة كأستاذ للفلسفة الإسلامية وله في الحياة الاجتماعية منازل شتّى، منها عضوية مجلس الشيوخ، وتولّي الوزارة، والمشاركة في الحياة الاقتصادية والحياة الفكرية. فاجتمعت له بفضل ذلك خصائص أكاديمية وإدار ية أهلته لأمانة المجمع ثم لر ياسته. ناهيك عن أنه أدرك الجيل الأول من المجمعيين واتصل بالأجيال التالية فصار بشخصه تاريخاً حياً للمجمع، بل صار الذاكرة اليقظة للمجمع وأنشطته نحو أر بعين عاماً.

وكتابه الجديد «مع الخالدين» ينقسم إلى ثلاثة أبواب. فبابه الأول يشتمل على أحاديث عامة عن المجامع العلمية وتاريخها وتطورها، سواء في فرنسا، أو في سور ية أو في مصر أو في العراق أو في الأردن. كما يتحدث بنبرة يشعّ منها الأسي، لأن السياسة عطلت أنشطة اتحاد المجامع العربية، وكان ينبغي للمجامع أن تترفع برسالتها الثقافية السامية عن الماجر يات اليومية.

وأما الباب الثاني، ففيه أحاديث ألقاها الدكتور مدكور في استقبال الأعضاء الجدد كلما انتخب منهم عضو، وتعين استقباله استقبالاً رسمياً، جر ياً على التقليد المجمعيّ الحميد.

وأما الباب الثالث، ففيه نصوص الكلمات التي ألقاها الدكتور مدكور في توديع المجمعيين الراحلين متابعةً لسّنةٍ مجمعّية أخرى حميدة.

ومن الخالدين الذي تحدث عنهم الدكتور مدكور في هذا الكتاب الدكتور طه حسين والدكتور منصور فهمي والدكتور لطفي السيد ومحمد البشير الإبراهيمي وعباس محمود العقاد والشيخ على عبد الرازق والشيخ محمد رضا الشبيبي وحسن حسني عبد الوهاب باشا وزكي المهندس والدكتور جواد علي والشيخ أمين الخولي والشيخ محمد الفاضل بن عاشور والدكتور أنيس الخوري المقدسي والدكتور جميل صليبا والدكتور محمد كامل حسين والشيخ على الخفيف والدكتور عثمان أمين والمستشرق لو يس ماسينيون رحمهم الله، والدكتور محمد الفاسي والدكتور الحبيب بن الخوجة والدكتور عبد الرزّاق محي الدين أطال الله بقاءهم.

وكلمات الدكتور مدكور في زملائه الخالدين ثلاثيّة المحاور، فهي سيرة تاريخية، وهي ذكر يات شخصية، وهي تقييم للمجمعي وآثاره في موضوعيةٍ علمية كريمة.

وقد استمتعتُ بقراءة هذا الكتاب الرصين، لاسيا وقد أدركتُ وعرفتُ عدداً غير قليل من المجمعيين الذين أنصفهم الدكتور بأستاذيةٍ ماهرة.

× × ×

(٢) شوقي، أحمد/ديوان شوقي: قام بتوثيقه وتبويبه وشرحه والتعقيب عليه أحمد محمد الحوفي.- القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٨١م، ٢ مج.

ظلّ الناس يعرفون الشاعر الكبير الراحل أحمد شوقي - الذي بويع في عصره بإمارة الشعر - بديوانه ذي الأجزاء الأربعة الموسوم «الشوقيات» وبمسرحياته الشعرية وبآثاره النثرية.

وبعد وفاة شوقي بثلاثين عاماً فوجئت الدنيا الأدبية بالكتاب الضخم الذي أصدره صديقنا الراحل الدكتور محمد صبري السوربوني في جزءين (في عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢) بعنوان «الشوقيات المجهولة» أورد فيه عشرات من القصائد المنسوبة إلى شوقي استخرجها من الصحف والدوريات القديمة، ومنها ما ظهر بإمضائه الصريحة، أو بإمضاءات مستعارة، مما لم يرد في «الشوقيات» بأجزائها الأربعة.

واليوم يطالعنا الدكتور الحوفي بصنيع جديدٍ في شعر شوقي، حداه إليه عدم رضاه عن «الشوقيات» لاعتقاده بأنها خرجت مفتقرةً إلى أسباب التحقيق العلمي، سواء من حيث تبويب القصائد أو شرح مفرداتها وأعلامها، أو تاريخها، أو ضبطها على ألفاظ القاموس، أو ترتيبها وفقاً للأبجدية، أو اتّساق عنواناتها مع موضوعاتها، فضلاً عن أن «الشوقيات» تفتقر افتقاراً «أنيمياً» إلى الفهارس الحديثة التي تُسعف الباحث في الاهتداء إلى ضالته. عدا أن هناك قصائد لشوقي لم ترد في «الشوقيات» واهتدي إليها أستاذنا الحوفي بجهده الخاص.

وهكذا أصبحت «الشوقيّات» كالمخطوطة القديمة التي يتعين تحقيقها وفقاً لأصول التحقيق العلمي الحديث. وقد قام بهذا الجهد العنيف أستاذنا الحوفي، فأخرج «ديوان شوقي» في جزءين ضخمين جميع ألفاظها مشكولة، وهما ينوءان بالهواجس والشروح والتعليقات التي تساعد القاريء على قراءة القصيدة قراءة مضبوطة، وعلى معرفة مناسبتها والجو العام الذي نظمت فيه، وعلى معرفة معاني مفرداتها اللفظية والأعلام الواردة فيها، وعلى إدراك المعنى المُجتمع للقصيدة بأسرها. أما الفهارس فتدل الباحث في لحظة على مايريد.

وطلاّب الكمال في الأعمال الأدبية لابدّ أن يرضوا أعظم الرضا عن صنيع الدكتور الحوفي الذي جاء بعد نصف قرن من ارتحال الشاعر شوقي إلى الرفيق الأعلى. فنص «الشوقيات» لم يتناوله أي تغيير لأنه نصّ ذو قداسةٍ تراثية، ولكنّ التغيير لحق بالجوانب المكملة لصور الشعر، فقام عليها أستاذنا الحوفي بالضبط والإتقان حتي أتم عمله في أبهي صورة.

× × ×

(٣) العقيقي، نجيب/المستشرقون.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠ - ١٩٨١م، ٣ مج.

مهما يكن الرأي في مذاهب المستشرقين الذين يعالجون أمور المشرقيات، أدباً وتاريخاً وفناً وآثاراً وتراثاً، فان قراءة كتاب العلامة الكبير الراحل نجيب العقيقي (المتوفي في ٢٤ ديسمبر ١٩٨١) تورث العربي شعوراً بالاعتزاز لأنّ كل هذا العدد الغفير من العلماء في الغرب قد اهتمّ بالعربيّات وألف فيها وكتب وبحث ونقب، وترك مراجع تحصى لا بالآلاف بل بعشرات الآلاف.

وقد عرف العقيقي أن كثيراً من المآخذ تُنسب إلى المستشرقين، سواء من حيث نياتهم أو من حيث آثارهم وتحقيقاتهم، فعقد في خاتمة الكتاب فصلاً خاصاً أجري فيه تقييماً شاملاً لأعمال المستشرقين، فأورد مالهم وما عليهم، وناقش كل ما قيل عن المستشرقين بروح العالم الذي يريد أن يصل إلى الحقيقة بمقاييس العلم وحدها.

وكان كتاب «المستشرقون» في طبعته الأولي جزءاً صغيراً يقع في نحو مئتي صفحة، أما الطبعة الرابعة الجديدة - والتي كان العقيقي يعكف على التوسّع فيها لولا وفاته المفاجئة. فقد تجاوزت صفحاتها ١٧٠٠ صفحة من الحرف الدقيق، وتناول فيها المؤلف بعد تمهيد تاريخي عن حضارات العرب وحضارة الغرب مستشرقين من فرنسا وإيطاليا وانجلترا واسبانيا والبرتغال والنمسا وهولنده وألمانيا وبولونيا والدانمرك وسويسرا والسويد والمجر وروسيا والولايات المتحدة وبلجيكا وتشكوسلوفاكيا وفنلندا ورومانيا ويوغسلافيا وكذلك المستعربين من لبنانيين وسواهم، فالكتاب موسوعة فذّة في أعمال الاستشراق تضاهي الموسوعة الأخري التي أصدرها العقيقيّ عن «الأدب المقارن» في ثلاثة أجزاء.

ولئن كان العقيقي أورد ثبتاً بأسماء المستشرقين، فليته أضاف إلى ذلك فهارس أخري لسائر الأعلام والكتب والمجلات التي تناثرت في كل صفحات الكتاب وعزّ حصرها، كما فعل في الطبعة الثالثة من الكتاب.

وفي كتاب بهذه الضخامة، لابدّ من فلتات. ومن ذلك مثلاً أن العقيقي قد يورد تاريخ ميلاد مستشرق، ولكنه يهمل إيراد تاريخ وفاته، أو العكس. كما أنه يرسم أسماء المستشرقين في غالبيتهم بالحرف العربي وفي مقابله الحرف الافرنجي إلاّ في حالات قليلة أهمل فيها إيراد الإسم الفرنجي. كما انه يتوسّع في الحديث عن بعض المستشرقين، و يقتضب في الحديث عن بعضهم الآخر. وكلّ هذه براهين على مدى العناء الذي احتمله العقيقي في جمع مادة كتابة بالاتصال الشخصي، و بالمتابعة الحثيثة لأنشطة المستشرقين في الدنيا العريضة.

وممّا يذكر بالتقدير الكبير للعلامة نجيب العقيقي أن هذا الكتاب فريد في بابه، فليس في اللغات الأجنبية كلّها معجم للمستشرقين، وكتابه هو وحده الجامع لسيرهم وآثارهم بتفصيل معجب.

× × ×

(٤) أمين، عثمان وآخرون/خمسة من شعراء الوطنية.- جزء ٣.- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١م، ٣٠٠ ص.

هذا الكتاب حلقة ثالثة - وإن تكن مستقلة بموضوعها ومؤلفيها عن الحلقتيْن السابقتيْن عليها - من الكتاب الموسوم «خمسة من شعراء الوطنية».

أمّا الشعراء الخمسة الذين يُدرسون في هذه الحلقة فهم عباس محمود العقاد وقد عُني بدراسة شعره الدكتور عثمان أمين، وإبراهيم عبد القادر المازني، وقد درسته الدكتورة نعمات أحمد فؤاد، وعبد الرحمن شكري، وقد تناوله الأستاذ نقولا يوسف، ومحمد الأسمر، وقد توسّع في دراسته الدكتور خفاجي، وعلي أحمد باكثير وقد أنصفه الدكتور عبده بدوي.

وربّما تألفت من الشعراء الثلاثة الأوائل (العقاد والمازني وشكري) مدرسة أدبيّة يطلق عليها تجوّزاً اسم مدرسة الديوان، ولكن أساليبهم الشعرية تتفاوت، كما أن أسباب التفاوت تسري على الشاعريْن الآخرين المدروسين وهما الأسمر و باكثير. فالواقع أنّ كل واحد من هؤلاء الشعراء الخمسة متفرّد بخصائصه الشعرية الذاتية، ومن التعسّف تصنيفهم في مذهب شعريّ واحد.

ومن هنا الحكمة في أن يستقلّ بكل شاعر دارس، وأن يتخّذ كل دارس المنهج الذي يرتضيه في دراسة شاعره، فاختلفت الأساليب، ولم يحفل بعض الدارسين بإبراز الجانب الوطني في شعر الشاعر اتساقاً مع عنوان الكتاب.

ولا يعيب الكتاب تفاوت طبقات الشعراء، ولا يعيبه اختلاف مناهج الدراسة، ولا يعيبه إيجاز هنا وإسهاب هناك، وإنما يعيبه الخطأ المطبعي الذي فشا فيه فشوّاً رهيباً. فكيف باللّه يصدر كتاب عن لجنة الشعر في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ومعظم الشعر الوارد فيه مكسور، وأغاليط الطباعة تفسد المعنى في كثير من المواضيع.

والمؤكد أن لجنة الشعر قد أحسنت في التوفيق بين الناقد والمنقود، فاختارت لدراسة العقاد صديقة الدكتور عثمان أمين، واختارت للمازني مَنْ تبحرّت في دراسة حياته وأدبه وشعره وهي الدكتورة نعمات، واختارت لشكري تلميذه وناشر ديوانه المجموع نقولا يوسف، واختارت للأسمر صفّيه وزميله الخفاجي الذي تعتبر دراسته كتاباً مستقلاً لسعتها واستيعابها، واختارت لباكثير صديقه الدكتور عبده بدوي الذي أوقفنا على كثير من مخطوطات هذا الشاعر الناشر المغبون حيّاً وميتاً.

× × ×

(٥) المصرى، حسين مجيب/شوق وذكرى : ديوان.- القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨١م، ٢٧٠ ص.

لعل أستاذنا الدكتور المصري هو الأستاذ الجامعي الوحيد الذي استفاضت دراساته عن الآداب العربية والتركية والفارسية، كما نظم الشعر بهذه اللغات الثلاث وأخرج حتى اليوم إحدي عشرة مجموعة شعرية، أحدثها «شوق وذكري»، وهي باللغة العربية.

و يصح أن يُقال في شعر الدكتور المصري إنه يستلهم الشعر من هذه المصادر الثلاثة بأجوائها ورموزها وإيحاءاتها الحضارية وتراثها القديم، مع التفرد بشخصيته الخاصة كشاعر متميز له رؤاه وله قدرته التعبيرية عن مشاعره.

والديوان الجديد فيه غزل، وفيه وصف، وفيه خطرات، وفيه حكمة، وفيه اخوانيات وفيه حفاوة بذكري الأعلام كالأفغاني

وإقبال. والمصري في كل شعره ذاتي، بمعنى أنه يدور حول محور حياته وأمنياته واهتماماته ودنياه الخاصة. وكيف للشاعر أن ينفصل عن ذاته أو أن يستعير ذاتاً أخرى غريبة عنه؟.

ولو عُني مُنضِّدو المعاجم باستخراج الألفاظ المتواترة في ديوان المصري، لكانت أكثر تلك الألفاظ من قبيل «العطر» و«الزهر» و«المسك» و«الربيع» و«القيثارة» و«القلب» و«الحب» و«البسمة» و«البلبل» و«الواحة» و«الطير» وكلّها ألفاظ تنم على استبشار بالحياة وإقبال عليها، ولكنّ النغمة الشائعة في الديوان هي نغمة الحزن ـ وأكاد أقول البكاء ـ ولعلّ سبب هذه المفارقة أن الشاعر يعيش في حلم جميل ولكنه يستيقظ على واقع غليظ يبدّد آثار البسمات والفرحات.

فالشعر مرآة للشاعر، والمرآة لا تكذب.

(٦) العزب، محمد أحمد/عن اللغة والأدب والنقد: رؤية تاريخية ورؤية فنية ـ. القاهرة، دار المعارف ـ ١٩٨٠ ـ ٤١٠ ص.

عند الفرنجة تعبير يستخدمونه للدلالة على النظرة المشارفة هو «نظرة الطائر»، و يعنون به أن الطائر المحلق في الأجواء، السريع الطيران، لايرى من المعالم تحته إلا أبرزها وأضخمها، أما التفاصيل الصغيرة فلا يلمّ بها ولا يطلبها.

وهذا الوصف عينه يصدق على الكتاب الجديد للدكتور العزب، إذ أنه حاول أن يعيش مع الأدب العربي من عصر الجاهلية إلى يوم الناس هذا في صفحات معدودة. ولم يكتف بذلك، بل خرج من دائرة الأدب العربي إلى دوائر الآداب الغربية، واستوفي جميع اتجاهاتها البارزة في هذه الجولة السريعة اللاهثة.

والموضوعات العامة التي تناولتها فصول الكتاب هي اللغة، والأدب المعاصر، والنقد، وفي ثنايا هذه الموضوعات الشاملة تناول مذاهب النقد وفنون الشعر والقصة والمسرح، وتطوّر النثر، ومدارس الشعراء.

فالكتاب تلخيص شديد التركيز للظواهر الأدبية في كل تاريخ الضاد، وواضح أن العزب قد أرهق نفسه بمطالعات واسعة، ثم زاد في إرهاق نفسه بتلخيص هذه المطالعات العريضة في قوالب «برشامية» صغيرة تألّف من مجموعها هذا الكتاب.

وإذا كان الدكتور العزب قد ألّف هذا الكتاب وهو محلّق في أجواء الطير، فلنَدْعُ له بأن يهبط بسلام ليزيدنا من علمه المشبع وموائده الدسمة.

×××

(٧) ريان، أمين/المعابر وقصص أخرى ـ. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١ ـ ١٤٥ ص.

قوام هذا الكتاب عشر أقاصيص، الخامسةُ منها هي التي استمد المؤلف منها اسم كتابه «المعابر»، وكلها تدور حول حياة الفنانين وبُسطاء الناس وما فيها من أحلام الثراء والمجد، ومن واقع الفقر والصعلكة.

والأستاذ أمين ريان الفائز بجائزة الدولة في القصة يجمع في شخصه بين ثقافتيْن، ثقافة الفنان التي حصّلها من تخصصه الدراسي في الفنون التشكيلية، وثقافة الأديب التي استكملها في دراسة الأدب بعد دراسة الفن. وهو يعيش حياة «إبن البلد» الذي يغشى الأسواق والمقاهي ويتردد على دور الحِرَف، ويتحدث مع صنوف شتىّ من الناس. فإذا ألّف أقاصيصه، انعكست هذه الدراسات والتجارب في صورها ودقائقها، وأضاف إليها لمسة كاريكاتورية من لمساته. فمن شخوصه مثلاً «شكسبير وجه قبلي» و«سلفادور دالي» الذي يتشبه بسميّه الرسام الاسباني العالمي في شاربه المعقوف وحياته الشاذة.

ومع أن الجوّ العام لأقاصيص الأستاذ ريّان هو جو الحياة «البلدي»، لا جو الحياة المترفة في مجتمعات الأرستقراط، فإن الحوار في أقاصيصه يجري دائماً باللغة الفصحى الوسطي التي لا تنزل إلى مستوى العامية ولا تنحو إلى التعقيد. ثم ان صوره القصصية لا تتكرر، وشخوصه من سمكرية وعمال جراجات وخدم في المقاهي شخوص متميّزة. وهو يحسن تصويرها فيصور بذلك قطاعاً من المجتمع له همومه اليومية وأحلامه التي قد تنتهي به إلى الجنون أو إلى اختصار الحياة.

وصفوة ما يقال في أقاصيص أمين ريّان، إنها لا تُراد للتسلية بقدر ما تراد لمتابعة نواميس الحياة وكيف تعمل عملها في الناس، فترفع وتخفض، وتُفقر وتُغني في عشوائية غريبة.

×××

(٨) توفيق، أميل/الزمن بين العلم والفلسفة والأدب.- القاهرة: دار الشروق، ١٩٨١م، ١٩٠ ص.

الناس تتعامل مع الزمن دائماً دون أن تحسّ بوجوده إحساساً مادياً ملموساً، فترمز إليه بالماضي أو بالمستقبل أو بالحاضر، ولكنه في جميع الحالات يمثل لحظات خاطفة تنقل المرء - دون أن يحسّ - من حاضر إلى ماض، وتنقله بالخيال من حاضر إلى مستقبل.

والكتاب الجديد الذي أصدره الأديب العالم الأستاذ إميل توفيق يحاول فيه أن يدرس الزمن من جوانبه الفلكية والرياضية والفلسفية والنفسية والعضوية والحضارية والبيولوجية وكذلك الأدبية. وهذا النطاق العريض الذي اجتهد الأستاذ توفيق في الالمام به، قد اقتضاه أن يدرس كثيراً من النظريات العلمية والرياضية والفلسفية الجديدة ليستخرج منها المقصود بالزمن، وكيف يتمّ احتسابه، وهل يوجد الزمن مستقلاً بذاته أو يوجد مقترناً بالأحداث الجاريات.

فإذا انتهى الأستاذ إميل توفيق من هذه المصارعات الفلسفية لإدراك كنه الزمن، انتقل إلى ميدان الأدب يبحث فيه عن ضالّته المنشودة وكيف تناولها الأدباء في شعرهم ونثرهم ليدلّل بذلك على مقاصده. وربّما كانت قصيدة «القياس» للشاعر الكبير حسن كامل الصيرفي نموذجاً معبراً عن الزمن في اهتمامات الشعراء، وفيها يقول:

لأننا نعيش في دوائر القياس
في منطق الزمان والمكان
نقيس طول العمر بالثواني
تدقّ عن أفهامنا المعاني
نقيس كلّ ما نقيس بالدقائق
فتختفي وراء وهمنا الحقائق
لأننا نعيش في دوائر القياس

أما توفيق الحكيم، فبعض مسرحياته تدور في زمنٍ مطلق، أي أنها لا تمثّل ماضياً ولا حاضراً ولا مستقبلاً كمسرحية أهل الكهف، بل ان بعض الروائيين العالميين مثل جورج هـ. ولز قد أدار إحدى رواياته حول «آلة الزمن» وهي آلة مخترعة (لا وجود لها طبعاً) تنقل صاحبها كما يشاء إلى أي زمن يريده في الماضي أو في المستقبل. وقد فات الأستاذ إميل توفيق أن يشير إلى ما سمّاه بعض النقاد بنظرية «إنسان جميع الفصول أو الأزمنة» وهي التي عبّر عنها الشاعر محمود أبو الوفا بقوله:

إنما أبغيك فصلاً خامساً جامعاً كلَّ الفصول الأربع

أي أنه يريد لإنسانه الأمثل أن يجمع في شخصه جميع الفصول المناخيّة من صيف وشتاء وربيع وخريف، و يصبح بذلك إنسان الفصل الخامس الذي تتكامل فيه الفضائل و يعيش لكل العصور.

وكتاب الأستاذ إميل توفيق يبعث على كثير من التأمّل، وهو يعدّ فتحاً جديداً في اللغة العربية لأن الموضوع الذي طرقه لم يسلكه من قبله أحد بمثل هذا التخصص والاستيعاب.

وثقافة الأستاذ توفيق هي التي أهلته لإخراج مثل هذا الكتاب، لأنها ثقافة توافق فيها الأدب مع العلم توافقاً جيلاً.

×××

(٩) مجلة «فصول» - المجلد الثاني - العدد الثاني - يناير/فبراير/مارس ١٩٨٢ - عدد خاص عن الرواية وفن القص - رئيس التحرير الدكتور عز الدين اسماعيل - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ٣٤٠ صفحة منها موجز باللغة الانجليزية.

إن تخصيص عدد كامل من مجلة أكاديمية لموضوع الرواية العربية، يجعل من المجلة كتاباً وإن تعدّد المسهمون فيه، ولهذا لم نجد مانعاً من الحديث عنها في هذا الباب باعتبارها من الكتب الجديدة. ولئن ضمّت المجلة دراسات تمهيدية عن القصص العربي في التراث القديم أو في الأساطير، فقد انصّب معظم البحوث على الرواية المعاصرة في مصر في المقام الأول ثم في سورية بعد ذلك، وإن كان نجيب محفوظ حظي بالاهتمام الأكبر بين الروائيين من كل جيله، وسُلطت الأضواء كذلك على بعض شبيبة الروائيين.

تبحث في العدد عن روائيين كبار مثل يوسف جوهر وعبد الحميد جودة السحّار ومحمد تيمور وعادل كامل وابراهيم المصري وعلي أحمد باكثير فلا تكاد تعثر على أسماء بعضهم إلاّ بشقّ الأنفس، ومثلهم أيضاً سعد مكاوي وأمين يوسف غراب وفتحي أبو الفضل، في حين أن الدراسات انصبّت على قلةٍ قليلة من

المشتغلين بهذا الفن. وربما كان سبب ذلك أن المجلة لم تضع للعدد خطة معيّنة، وانها نشرت الدراسات التي تلقتها، فرجحت كفة بعض الروائيين، وشالت كفّات. وهو أمر لا يصح أن يكون في الدراسات الجامعية المنهجية التي تتوخاها المجلة «العملاقة» بحجمها ومادتها في ما تنشره من بحوث.

ولئن كانت المجلة عُنيت بالمنفلوطي فخصّته بدراسة في قصصه، فهي قد أغفلت الدكتور محمد حسين هيكل باشا إغفالاً عجيباً مع أنه من أوائل كتّاب الروايات في الأدب الحديث، كما أغفلت محمود تيمور إغفالاً مذهلاً، ولم تشر إلى العقاد صاحب رواية سارة ولا إلى المازني وهو من كبار الروائيين المبدعين. ولهذا نعتقد أن هذا العدد الخاص لا يمثّل الصورة الكاملة للرواية العربية المعاصرة، وإنما يمثّل جوانب منها يتعيّن استدراكها في دراسات مقبلة.

ومع هذا، فقد حاولت «فصول» أن تقدم دراسة جادّة - متعددة المستويات بتعدد كتابها - للأدب الروائي المعاصر وأردفتها بقوائم ببليوغرافية يُستعان بها في رصد الحركة الروائية في شطر من الوطن العربي.

×××

(١٠) ابراهيم، أحمد حلمي/عظماء في مسيرة التاريخ.- القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨١م، ٢٧٠ ص.

الذين عاصروا الحرب العالمية الثانية كانوا لا يستيقظون أو ينامون إلاّ والدنيا كلّها تضجّ من حولهم بأسماء هتلر وستالين وتشرشل ودي جول الذين آلت إليهم مقاليد الدنيا ومصائر شعوبها. فهم مؤججو الحرب، وهم مديرو دفتها، وهم الذين يسوقون الملايين إلى ميدانها، وهم الذين يأمرون بشّن الغارات على الشعوب المسالمة، وهم الذين يلقون بالدنيا كلها في جحيم من الموت والدمار والبؤس. يضاف إليهم طبعاً موسوليني وقادة اليابان وروزفلت.

وقد اختلفت أدوار هؤلاء الزعماء في الحرب، فمنهم المهاجم الطامع في إستعباد الدنيا، ومنهم المدافع عن بلاده وامبراطوريته، ومنهم الذابّ عن مستقبل البشرية كلها. وإن كانوا جميعاً يُلقون بأسلحة الدمار في ميدان الوغى تطلعاً إلى تحقيق أهدافهم.

ولكننا نسينا اليوم - أسماء هؤلاء الزعماء، ولم نعد نحفل بقراءة شيء عنهم لأنهم غابوا في دهاليز التاريخ وأصبحوا مجرد أسماء وسير.

وبعد انقضاء أكثر من ثلاثة عقود على انتهاء هذه الحرب الضروس، جاء السفير أحمد حلمي إبراهيم يدرس الأدوار المختلفة التي اضطلع بها هتلر وستالين وتشرشل ودي جول على مسرح الحياة، دراسة تتسم بالهدوء التاريخي والتقييم العلمي المتزّن. وهي دراسة مطلوبة لا من حيث تسجيلها لأحداث تاريخية مضت، بل من حيث الاستفادة من عبرها ودروسها. لقد جمعت الحرب بين هؤلاء الزعماء، ولكنّ أدوارهم في الحياة تفاوتت، ومصائرهم اختلفت، مات هتلر منتحراً لا يعرف له قبر، ومات ستالين زعيماً عظيماً ثم جرّد من أسباب عظمته ومحيت سيرته من التاريخ، ومات تشرشل بطلاً أسطوريا، وأنقذ ديجول فرنسا من أزماتها في عصر السلام ولكنه خرج من الحياة في جنازة صامتة! عجباً، لقد كنا في الحرب نقرأ أسماء هؤلاء الزعماء ونحن مذعورون، فصرنا اليوم نقرأها فلا تحرّك ساكناً. وهكذا الدنيا.